د. أغر الجمّال

المفكرات القاتلة

رواية

كتوبيا

ساحر الكتب

المذكرات القاتلة.
أغر الجمَّال.
رقم الإيداع: 2024-21903
الترقيم الدولي: 978-977-8896-17-6

جميع الحقوق محفوظة © **كتوبيا للنشر والتوزيع**

يمنع منعا باتًا الاقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة أو النشر الإلكتروني أو التصوير الضوئي للمحتوى أو أي جزء منه إلا بإذن كتابي من الناشر

+201005432405

kotopia

info@kotopia.org

كتوبيا
للنشر والتوزيع

العنوان: ١٤ شارع أبو نواس – ميامي – الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

يمكنكم طلب إصداراتنا عبر متجر كتوبيا الإلكتروني

https://kotopia.store

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«إذا كتبتَ مذكراتك وحرصتَ أن يقرأها الناس فـي حياتك.. فأنت تريد توثيق كذبك عليهم.. أمّا إذا كتبت مذكراتك وحرصت أن يقرأها الناس بعد مماتك.. فأنت تريد التطهر من كذبك عليهم»

اسمي وجيه الكيلاني، بعد شهرين سأبلُغ من العُمر سبعة وثلاثين عامًا، متوسط الطول، لي بنية رياضية، شعري بني قصير، وعيناي خضراوان، يصفني الناس بالوسامة والذكاء.

أنا الابن الوحيد لوالدَيّ، وبالرغم من نشأتي فـي أسرة ثرية، فلم أكُن طفلًا مدللا، فقد غرس أبي بداخلي بذور الرجولة منذ نعومة أظافري، تخرجتُ فـي الجامعة الأمريكية، بعدها التحقت بالعمل فـي شركة والدي الخاصة.

بعد التحاقي بالعمل مع والدي بعامٍ واحد، تعرّض لمؤامرة غدرٍ خسيسة، مكّنت منه أحد منافسيه الأنذال، فكبّده خسارة فادحة، وبين غمضة عين وانتباهتها فقد جُلّ ثروته، ولم يتبقَّ لنا سوى فيلّتنا التي نقيم فيها، لم يتحمل أبي الصدمة ففارق الحياة.

انتقلتُ مع أمي إلى شقة صغيرة بعد أن بعنا فيلّتنا، وَعَدتُ أمي أنني سأعمل ليل نهار حتى أستعيد حياتنا الرغدة الضائعة، استأجرتُ شقة صغيرة واتخذتها مكتبًا لاستيراد نفس البضائع التي كان يستوردها والدي.

طرقت أبواب كل مَن كان صديقًا لأبي طالبًا النصح والمساعدة، فلم أجد لديهم سوى النذالة والخِسة.

مرت الأيام، لم أستطِع تحقيق ما كنت أحلم به، بل ازدادت أحوالي المادية سوءًا، وازداد مشروعي تعثرًا إلى أن اضطررت إلى غلق الشركة، ولأن المصائب لا تأتي فرادى، مرضت أمي، مِمَّا اضطرني لبيع سيارتي؛ لتغطية مصاريف علاجها ونفقات العيش، ولم يمر على وفاة أبي عام حتى لحقت به أمي.

أصبحت وحيدًا فـي دنيا عجزت فيها أن أفهم إن كانت هي عدوي الشرس الذي يستمتع بتعذيبي، أم أن عدوي هم البشر الذين يعيشون فيها، لكنني خلُصت فـي النهاية لأمرٍ واحد:

«أنني أعيش فـي دنيا لا أمان لها.. وسط وحوشٍ.. تُسمُّونهم بشرًا».

***

-١-

(الأربعاء - الثالث من يوليو)

أمام فيلّا مُطلّة على شاطئ البحر الأحمر، جلس وائل على كرسيّ بحر مسترخيًا مُرتديًا شورتًا كحلي وقميصًا أبيض، يشاهد زوجته تسبح أمامه، ارتشف من كوب عصير ليمون مثلج بتلذذ ثم وضعه على طاولة صغيرة بجانبه، التقط إحدى الصحف الموجودة فوقها وبدأ يتصفحها، فجأة.. اعتدل في جلسته، خلع نظارته الشمسية، حملق في أحد مانشيتات صفحة الحوادث وعلى وجهه علامات الفزع، قرأ بصوتٍ أقرب للهمس:

«بعد مرور شهرين، الشرطة تنجح في القبض على قاتل رجُل الأعمال وجيه الكيلاني»

تراخت الصحيفة في يده، شَخصَ ببصره للأمام، فرأى زوجته تُلوّح له وصوتها يناديه لمشاركتها السباحة، ولكن كان صوت الماضي يرنُّ في أذنيه فلم يسمعها.

***

-٢-

بدا على وجه «سمير جوهر» وكيل النيابة الغضب، وبدأت نبرة صوته تحتد وقال:

- إلى متى ستظل تُنكر يا إسماعيل؟ صدّقني لن يفيدك الإنكار، فكل الأدلة ضدك، والأفضل أن تريحني وتريح نفسك وتعترف.

كان إسماعيل يجلس أمام وكيل النيابة دافنًا رأسه بين كفيه مُحملقًا فـي الأرض، ولم يُجِب عن أي سؤال تم توجيهه إليه سوى بجملة واحدة: «أنا بريء.. أنا لم أقتل وجيه بك»، عاد سمير ليسأله بتأفف عن سبب هربه طالما يعلم أنه بريء، فأجابه بصوتٍ مرتعش:

- اتصل بي الأستاذ خليل فجرًا، أبلغني بمقتل وجيه بك، وأن الشرطة تتهمني بقتله، ثم نصحني بالهرب حتى تعثر الشرطة على القاتل الحقيقي، انتابني الرعب وشُلّ عقلي عن التفكير، فسمعت نصيحته وهربت.

باستغراب سأله سمير: ولماذا رجعت الآن ولم تعثر الشرطة على قاتلِ غيرك؟!

إسماعيل: الأستاذ خليل أبلغني بظهور براءتي!

سمير: كيف؟

إسماعيل: عندما نصحني الأستاذ خليل بالهروب، أوصاني بالتخلص من شريحة تليفوني المحمول -وإلّا عرفت الشرطة مكاني من خلاله- والحصول على شريحة أخرى والتواصل معه كل أسبوع

عن طريق الرسائل وعدم الاتصال به مطلقًا، كنت أراسله أسبوعيًا أسأله عن الأخبار وتأتيني إجابته أن الأمور كما هي، فوجئت به أمس يرسل رسالة كتب فيها: «براءتك ظهرت، عثروا على القاتل»، فطرتُ فرحًا وعدت إلى منزلي، بعد عودتي بأقل من ساعة حضر رجال الشرطة وألقوا القبض عليّ.

سأله سمير عمّن هو خليل وعن علاقته به، فأفاد أنه سكرتير وجيه بك الخاص، واليد اليمنى له، وأضاف أن علاقته توطدت بخليل؛ لأنه كان حلقة الوصل بينه وبين وجيه في أوقاتٍ كثيرة، لنقل تعليمات خاصة بأمور مختلفة في الفيلّا.

سمير: كيف تعرّفت إلى وجيه؟ وما طبيعة عملك معه؟

أطرق إسماعيل رأسه لحظات، ثم رفعها، وبصوتٍ مرتعب أجاب:

- في الحقيقة تعرفت إليه إبّان ثورة يناير، فقد كان يشتري الأسلحة التي سُرقت من أقسام الشرطة، وساعدته كثيرًا في هذا الأمر، بل عرّفته فيما بعد بمَن يرغبون شراءها، ووثق فيّ بشدة بعد أن ساعدته حتى باع كل ما يملكه من أسلحة.

أنشأ وجيه بك شركة صغيرة، وفهمتُ منه أنه سيقاطع تجارة الأسلحة للأبد، كنت أتواصل معه بين الحين والآخر وعرض عليّ كثيرًا الانضمام معه للعمل في شركته، لكن للأسف فطريق الحرام دائمًا تُزيّنه الورود والربح فيه يأتي سهلا، فلم أستمع له، حتى وقع المحظور وتم سجني لمدة خمس سنوات، عندما خرجت صمّمت على ترك طريق الحرام، ولكن لم أجد مكانًا للعمل بسبب صحيفة سوابقي.

هداني عقلي للذهاب لوجيه بك، كان قد ترك شركته القديمة الصغيرة وانتقل إلى أخرى كبيرة، فبحثت طويلًا حتى عثرت عليه، رحب بي ومدّ لي يد العون، وعندما علم أنني تعلمت الطهي في السجن، اقترح أن أتولى مسؤولية حياته الخاصة في فيلّته من تنظيف وطهي وحراسة، فوافقت على الفور، كان - رحمه الله - يجزل العطاء لي ويشجعني على الاستمرار في توبتي، بل إنه أقنعني بضرورة الزواج وتكوين أسرة، ووعدني بمساعدتي في كافة التكاليف، وكنت بالفعل على وشك الزواج.

بدأت دموع إسماعيل تسيل، فمسحها بباطن يده وصرخ يقول: كيف أقتل الرجُل الوحيد الذي ساعدني في أن أكون إنسانًا شريفا!

أمر سمير بإعادة إسماعيل إلى محبسه، وضبط وإحضار خليل السكرتير لمواجهته بأقوال إسماعيل.

***

جلس خليل أمام سمير ترتعد فرائصه بعد القبض عليه، على الفور أعاد سمير على مسامعه كل ما قاله إسماعيل، فأنكره جملةً وتفصيلا مؤكدًا على طيب ومتانة علاقته مع إسماعيل، لكنه لا يجد تفسيرًا لادّعائه عليه بالأكاذيب.

لم تمضِ ثلاث ساعات حتى كان إسماعيل وخليل يجلسان أمام سمير بعد أن أمر بمواجهتهما معا، قبل أن يبدأ في توجيه أي سؤال إذا بخليل يصرخ قائلًا:

- كيف تتهمني يا إسماعيل وتدّعي عليّ بهذه الأكاذيب وأنا لم أرَك

أو أسمع صوتك منذ انتهاء الحفلة؟!

صرخ إسماعيل قائلًا: أُقسم أنك اتصلت بي ونصحتني بالهرب.

طرق سمير بيده على مكتبه طرقةً عنيفة، وبصوتٍ عالٍ يُغلّفه الغضب أمر الاثنين بعدم النطق إلّا بإذنه، ثم وجّه كلامه إلى إسماعيل وسأله إن كان خليل حدّثه من هاتفه الخاص، فارتبك إسماعيل، وبصوتٍ متلعثم أجابه:

- لا، من رقم لا أعرفه.

اندهش سمير، وباستنكارٍ سأله كيف عرف أنه خليل، فردّ إسماعيل على الفور:

- عندما اتصل بي فجرًا لينصحني بالهرب، استيقظت على رنين التليفون وكنت أغط في نومٍ عميق، رأيت على شاشة الهاتف رقمًا، فرددت وأنا بين اليقظة والنوم، قائلًا: مَن؟ فإذا بخليل يصرخ في التليفون قائلًا:

«استيقظ يا إسماعيل، أنا خليل، وجيه بك قُتل والشرطة تتهمك بقتله».

سمير: هل أنت واثق أنّ مَن حدّثك كان خليل؟

فكّر إسماعيل قليلًا قبل أن يجيب بصوت مرتجف:

- لا أعرف؟! فبمجرّد أن أخبرني بمقتل وجيه بك وأنني المتهم بقتله، شعرت أن الدنيا تدور بي.

هنا صرخ خليل مرةً أخرى قائلًا:

- أُقسم أنني لم أُحدّثه، ويمكنكم التأكد من رقم التليفون الذي اتصل به وتعرفون مَن هو صاحبه.

استفسر سمير من إسماعيل إن كان الرقم الذي أرسل له الرسائل هو نفسه رقم خليل الذي يعرفه، ففكّر إسماعيل وأجاب:

- لا، فقبل أن أتخلص من شريحة التليفون الخاص بي، كتبت في ورقة رقم خليل الذي هاتفني منه فلم يكن هو نفسه المُسجّل على هاتفي، وسجّلته على شريحتي الجديدة، وقد ظننت أنه يُحدّثني من رقم آخر؛ حتى لا يُتهم بمساعدتي في الهروب.

زفر سمير زفرةً طويلة وأمر بإعادة إسماعيل لمحبسه، وإخلاء سبيل خليل بضمان محل إقامته، كما أمر بسرعة الكشف عن صاحب رقم الهاتف الذي كان يتواصل مع إسماعيل.

***

-٣-

استفاق وائل من شروده الطويل على رنين هاتفه، فوجد رقمًا من تليفون أرضي لا يعرفه، فكّر قليلًا ثم قرّر أن يردّ، استمع إلى مُحدّثه لحظات ثم أغلق الهاتف، فـي هذه اللحظة كانت زوجته قد خرجت من البحر، وقفت أمامه يقطر الماء من شعرها وجسدها تقول ضاحكة:

- هل جئت هنا لقراءة الجرائد ومتابعة صفحات التواصل الاجتماعي؟!

نظر إليها بعينين سارحتين وقال بصوت يخرج منه بالكاد:

- قُبض على إسماعيل، واتصل بي الآن شخصٌ وقال جملة واحدة:

«خمسة ملايين جنيه حتى يبقى إسماعيل هو قاتل وجيه، وإلّا فدليل براءته عندي».

فسقطت على كرسيّ بحر بجواره، وبعد صمتٍ طويل بينهما، قالت بصوت شارد:

- لا بدّ من عودتنا للقاهرة الآن.

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«إذا جاءتك فرصة فلا تسأل عن مشروعيتها.. ولا تبالِ بمَن ينعتك بالانتهازي.. ولكن تشبث بها واستفد منها قدر استطاعتك.. فعندما تنجح.. سيتمنى مَن رآك انتهازيًا لو فعل مثلك»

قامت ثورة يناير، أصبحت الأحوال غير مستقرة في البلاد، اعتكفت في بيتي وحيدًا أراقب الأحوال التي تدور من حولي، فجأة.. تجلّت أمام عينَي صورة أغنياء الحروب، فصمّمت أن أنهج نهجهم، استغللتُ الانفلات الأمنى وحالة الفوضى التي عمّت البلاد لأكثر من عامين، فبدأت بشراء عدة قطع آثار مِمّا سُرق من المتحف المصري في بداية الثورة.

كنت منذ صغري شغوفًا بالأسلحة بأنواعها المختلفة، فقد اقتنى أبي عدة قطع منها وعلّمني الكثير عن خصائصها، فكان أول ما لفت انتباهي انتشار الأسلحة بغير رقيب في هذه الفترة، لم أُضيّع الفرصة وبدأت في شراء كل ما يأتي أمامي من أسلحة، ازدادت خبرتي مع الأيام، فوضعت كل ما أمتلكه من مال في جمع أكبر كمية منها وكانت تباع بأقل من أسعارها الحقيقية بكثير.

احتفظتُ بما امتلكه من آثار وسلاح لمدة عامين، ثم بدأتُ عملية البيع، نجحتُ في تكوين رأس مالٍ جيد استطعت به إنشاء شركة صغيرة، ولم تمر ثلاث سنوات حتى نجحت في إنشاء شركة عملاقة للاستيراد والتصدير بالتجمع الخامس.

***

-٤-

(الخميس - الرابع من يوليو)

كان أول يوم للعميد محمود في العمل بعد عودته من إجازة قصيرة، وضع فنجان قهوته من يده وكان أول ما فعله أن اتصل بضابط مباحث قسم التجمع الأول الرائد «عصام»، ليهنئه على نجاحه في القبض على قاتل وجيه الكيلاني بعد شهرين، فإذا بعصام يردّ بصوت مكتئب، ويبلغه أنه يفكر في فتح ملف القضية مرةً أخرى، اندهش محمود، فطلب منه الحضور إلى مكتبه فورًا وبصحبته ملف القضية.

بعد أقل من ساعة، كان الرائد عصام يجلس في مكتب محمود يحكي باندهاش واستغراب عمّا سمعه من سمير وكيل النيابة بشأن أقوال إسماعيل ومواجهته بخليل، وبعد فحص رقم الهاتف الذي تواصل مع إسماعيل، تم التأكد من أقواله، ولكن لم يتم الاستدلال على صاحب الهاتف لعدم وجود بيانات لدى شركة الاتصالات عن مالكه، كما تبين غلق الهاتف منذ أخر رسالة وصلت إلى إسماعيل.

قاطعه محمود قائلًا:

- ولكن كل ما حكيته لا يدفعك لفتح ملف القضية مرةً أخرى كما أبلغتني! فلماذا لم تضع في حساباتك أن إسماعيل يكذب وله شريك؟! أو ربما هو مَن يستخدم هذه الشريحة لكي يحبُك روايته؟!

وضع عصام كوب عصير يحتسي منه على طاولة صغيرة أمامه، اعتدل في جلسته وقال:

- فـي الحقيقة يا أفندم ما ذكرتُه بشأن فتح القضية مرةً ثانية لم تكن له علاقة برواية إسماعيل فـي النيابة، ولكن صباح هذا اليوم، فوجئتُ بشخص اسمه «وائل الحسيني» يأتيني، ويُعرّفني أنه كان الصديق المقرب لوجيه، ثم أخبرني أن شخصًا اتصل به، وطلب منه مبلغ خمسة ملايين جنيه حتى يُبقي اتهام إسماعيل قائمًا ولا يُظهر دليل براءته الذي يمتلكه.

لمعت عينا محمود وسأل عصام: هل التقيت وائل من قبل وقت قتل وجيه؟

عصام: لا، فهو لم يحضر الحفلة التي سبقت مقتل وجيه بسويعات، ولم يأتِ ذكره فـي التحقيقات، والحقيقة أن هروب إسماعيل فور مقتل وجيه، بالإضافة إلى العثور على مبلغ عشرة آلاف جنيه أسفل فراشه فـي غرفته التي كان يبيت فيها فـي الفيلّا، أكد لنا أنه القاتل، واستنتجت أن النقود وقعت منه فـي غفلة أثناء ترتيبه لحقيبته وهو يهرب خاصةً أن خزانة ملابسه بالغرفة وُجدت خالية، ومن ثم ركزنا جهودنا فـي البحث عنه ولم نوسّع دائرة الاشتباه أو التحقيق مع أُناسٍ آخرين، فقد بدت القضية سهلة، فقد عثرنا على الخزينة الموجودة فـي غرفة مكتب وجيه بالفيلّا مفتوحة وخالية، فاستنتجنا أن السرقة كانت الدافع للقتل، وكل القرائن تشير بأصابع الاتهام لإسماعيل، خاصةً أنه من أرباب السوابق.

طلب محمود من عصام أن يحكي له عن القضية بالتفصيل، فحكى:

«في تمام الساعة الثانية والنصف صباح يوم الجمعة الثالث من

مايو، تلقت شرطة النجدة بلاغًا من أحد الأشخاص يفيد بأنه جارّ لوجيه، سمع صرخات صادرة من داخل فيلّته أعقبها صوت طلق ناري، وأغلق الخط دون أن يُملي بياناته.

انتقلت إحدى دوريات الأمن إلى مكان البلاغ، وجد الضابط باب الفيلّا الخارجي مفتوحا، دخل منه فرأى الباب الداخلي مفتوحًا أيضًا، رنّ الجرس طويلًا فلم يتلقَ أية استجابة، دخل بصحبة رجاله ليتفقد الوضع بالداخل، وفي الطابق الثاني عثر على جثة وجيه في فراشه، اتصل على الفور بنا، انتقلنا في الحال لمعاينة المكان ومعنا رجال الأدلة الجنائية، وجدنا القتيل في فراشه راقدًا على ظهره بملابس خروج، ووجهه مُغطى بوسادة.

كانت أولى المفاجآت أن القتيل قُتل بطعنه في الصدر باستخدام سكين أو خنجر، ولم يتم بطلق ناري، بل لم نجد أي آثار لإطلاق نار داخل الفيلّا أو في محيطها، عندما استعلمنا من الجيران عن الحادث أنكروا جميعا سماعهم أصوات صرخات أو إطلاق نار صدرت من الفيلّا، وكانت المفاجأة الثانية أننا لم نعثر بين الجيران على الشخص المبلّغ، وللحق لم نهتم وقتها بهذا الشخص بسبب التأكد من جدّية البلاغ، واستنتجنا أنه لم يُعطِ بياناته خوفًا من الزج بنفسه في التحقيقات.

بتفتيش الفيلّا، عُثِرَ على الخزينة الموجودة في غرفة المكتب بالطابق الأرضي مفتوحة، كانت خالية ولا يعلم أحد شيئًا عن محتوياتها، كما عُثِرَ على مبلغ عشرة آلاف جنيه أسفل سرير بغرفة بالبدروم، تبيّن فيما بعد أنها غرفة إسماعيل، ولم يتم العثور على

أداة الجريمة.

عرفنا من أحد الجيران مكان شركة القتيل، فذهبث إلى مقر الشركة، ولأن اليوم كان الجمعة، فكانت الشركة مغلقة ولا يوجد بها أحد باستثناء حارس الأمن، التقيته وهو مَن دَلّني على «خليل الصفتي»، مُعرّفًا إياه بأنه سكرتير القتيل ويعلم عنه كل شيء، في الحال ذهبت إلى مسكن خليل، عندما أخبرته، انهار في البكاء، وحكى أن القتيل احتفل في الليلة السابقة بعيد ميلاده، وقد بدأ الحفل في التاسعة وانتهى عند منتصف الليل، ثم أفاد أن إسماعيل هو مَن يقيم معه بصورة غير منتظمة، ولا يعلم إن كان أقام معه هذه الليلة أم لا.

اصطحبته إلى سكن إسماعيل، طرقنا الباب طويلًا فلم يفتح، فأمرته أن يهاتفه، فإذا بهاتفه مغلقًا، أمرث بكسر باب الشقة، وُجد دولاب ملابسه خاليًا، ووُجدت بعض الملابس مبعثرة بين أرضية الدولاب وأرضية الغرفة، مما يعكس أن إسماعيل كان يلملمها بشكلٍ سريع وهو في حالة من التوتر.

وجود النقود أسفل سريره بغرفته في الفيلّا، وخلو دولابه بالفيلّا من ملابسه، بالإضافة إلى الحالة التي وُجدت عليها شقته، أكدت لنا أنه القاتل، وكان يهرب بغنيمته في عجلة.

أفاد الفحص الظاهري للجثة أن الوفاة لم يمرّ عليها أكثر من ساعتين (تم الفحص في الثالثة والنصف صباحًا)، وبناءً عليه حدّدنا أن الوفاة حدثت بين الساعة الواحدة والنصف والساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة وقت اكتشاف الجثة، وجاء تقرير الطب

الشرعي النهائي أن الوفاة نتجت عن طعنتين نافذتين فـي الصدر باستخدام سكين أو خنجر».

أنهى عصام حكيه، أمسك بكوب عصير الليمون يكمل شرابه، بينما بدأ محمود فـي تدوين بعض النقاط التي استخلصها من حكاية عصام فـي مفكرته الصغيرة، فتح ملف القضية يتصفحه، فأبدى غضبه لعصام بشدة؛ لأن الملف لم تتجاوز صفحاته عدد أصابع اليد الواحدة، مستنكرًا سرعة قناعة ضباط المباحث باكتشافهم القاتل، وإهمالهم لأمور عديدة، لم ينطق عصام بكلمة، اكتفى بهز رأسه بالموافقة ووجهه يغطيه الخجل.

بحدّة سأله محمود: هل لديك كشف بأسماء المدعوين فـي الحفل؟

عصام: نعم يا أفندم، أربعة أفراد فقط هم مَن حضروا، بخلاف خليل السكرتير.

***

فور مغادرة عصام، اتصل محمود بسمير وكيل النيابة، ناقشه فـي مستجدات القضية، فـي النهاية اتفقا على الإبقاء على إسماعيل كمتهمٍ أول فـي قضية القتل مع إجراء تحقيقات وتحريات حول واقعة ابتزاز المدعو وائل الحسيني من قِبَل شخصٍ مجهول.

قبل أن ينهي محمود الحديث، طلب منه استخراج إذن لتفتيش فيلّا وجيه، استغرب سمير بشدة لطلبه، فأفهمه محمود أنه يرغب فـي التأكد من أقوال إسماعيل، مما يستلزم تفقد مسرح الجريمة على الطبيعة وليس تفتيشها بالمعنى الحرفي، فوافقه سمير على

طلبه بالرغم من قناعته الكاملة من إدانة إسماعيل وعدم جدوى تفقد الفيلّا، لكنه كان يعلم جيدًا مدى كفاءة محمود.

سأله محمود إن كانت فيلّا وجيه ما زالت تحت تحفظ النيابة أم سُلّمت للورثة، فأجابه أن وجيه لم يكن له ورثة شرعيين، لكنه أوصى بكل ما يملك لشخص لا تربطه به أي علاقة! باستغرابٍ شديد سأله محمود عن اسمه، فردّ سمير:

«ياسمين الشهاوي».

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«تذكر دائمًا.. الدنيا لا تُهزم.. فأقدارنا سُطِّرَت فيها قبل أن نولد»

قرّرتُ عدم الزواج حتى لا تنتصر عليّ الدنيا مرةً أخرى وتحرمني من أحبتي، فاخترت العيش وحيدًا داخل فيلّا اشتريتها فـي التجمع الأول، وكان يؤنس وحدتي بعض العلاقات النسائية العابرة بين الحين والآخر.

في أحد الأيام، فوجئتُ بدخول فتاة مكتبي يقترب عمرها من الثلاثين، ممشوقة القوام، ينسدل شعرها الأسود الطويل خلف ظهرها، وبابتسامة ساحرة زيّنت وجهها الجميل، تحدّثَت بصوت جاء وقعه على أذنَي كصدح البلابل، عرّفتني بنفسها قائلة:

- «ياسمين الشهاوي - صحفية بإحدى الجرائد الخاصة».

رحبتُ بها وأذنت لها بالجلوس، سألتها عن مبتغاها، ففهمت منها أنها تقوم بعمل تحقيقات صحفية حول بعض رجال الأعمال الشباب الذين نجحوا فـي حياتهم وبدأوا من الصفر، وقد وقع الاختيار عليّ لأكون من بين هؤلاء.

وكأن قوة غليا كانت تحركني! فوافقت على الفور، بل واتصلتُ بسكرتيري ليلغي كل ارتباطاتي السابقة ويمنع أي مخلوق من الدخول.

جلست معها أحكي لمدة ما يقرب من ساعتين، وبعد أن انتهيت من الحكي، إذا بياسمين تضحك ضحكة عالية قائلة:

- «لقد حكيت لي يا وجيه بك عن نفسك كل شيء، ولكنك لم تحكِ شيئًا عن عملك!».

***

-٥-

(الجمعة - الخامس من يوليو)

عند التاسعة صباحًا، كان محمود يجلس برفقة الرائد عصام داخل أحد صالونات فيلّا ياسمين (فيلّا وجيه سابقًا)، استقبلتهما ياسمين بمزيج من الترحيب والاستغراب لهذه الزيارة المفاجئة لتفتيش الفيلّا، فأزال محمود استغرابها قليلًا بابتسامة عريضة مصحوبة بنفي صريح بشأن تفتيش الفيلّا، موضحًا أنه أراد فقط تفقد مسرح الجريمة بسبب ظهور بعض المستجدات فـي قضية مقتل وجيه.

وضعت الخادمة الأجنبية فنجانين من القهوة التركية أمام الضابطين، بدأ محمود فـي احتساء قهوته، وبطريقة مباغتة سأل ياسمين عن سبب كتابة وجيه وصية بكامل ثروته لها، فاعتدلت فـي جلستها، وبنبرة تُغلّفها الحدّة ردّت:

- هل جئت للتحقيق معي فـي مقتل وجيه بعد شهرين من موته والقاتل لديكم؟! أم جئت تعاين مسرح جريمة كنت باستطاعتك معاينته وأنت جالس فـي مكتبك بكل أريحية من خلال الصور الفوتوغرافية؟! فمن المعلوم أن مسرح الجريمة له أهمية قصوى فـي اكتشاف أدلة تساعد على إماطة اللثام عن الجاني، ولكن بعد هذه الفترة الطويلة واستخدام الفيلا للعيش فيها لمدة ما يقرب من شهر، لا يمكن إطلاق مصطلح مسرح الجريمة عليها! ومن ناحيةٍ أخرى أنا صحفية وأعلم جيدًا أن أيّ سؤال يتم طرحه يكون من ورائه مغزى، فأعود وأسألك: هل جئت للتحقيق معي فـي مقتل وجيه وقاتله

لديكم فـي محبسه؟

وضع محمود فنجان القهوة من يده، أسند ظهره على الكرسي، وضع ساقًا فوق ساق، وتكلم بنبرة تحمل تهديدًا مُبطنا قائلًا:

- فـي الحقيقة يا مدام ياسمين ما جاء الآن على لسانكِ يُسمى بالبديهيات، وكان لِزامًا عليكِ أن تعلمي أنّ من البديهيات أيضًا معرفة مدير مباحث بمتى تنتفي أهمية فحص مسرح الجريمة!

حاولت ياسمين مقاطعته، فأشار محمود بيده لها، ولم يُعطِها فرصة للحديث وأردف:

- وأهم البديهيات التي غابت عنكِ أنه كان بإمكاني الاكتفاء بفحص الفيلّا وفيما بعد أستدعيكِ لمكتبي لسؤالكِ عمّا أرغب معرفته، لكنني قصدت ألّا أكلفكِ عناء المجيء لمديرية الأمن، وأيضًا لتتأكدي أنني لا أقوم بأي تحقيق معكِ.

بدا الارتباك والتوتر على وجه ياسمين، حاولت أن تبدي اعتذارها مُعللةً أن الحديث عن ذكرى مقتل وجيه يصيبها بالتوتر، فأبدى لها محمود تفهمه، وعاد يسألها نفس السؤال عن السبب الذي دفع وجيه ليوصي لها بكل ثروته، فازدردت ريقها وأجابت بصوتٍ خفيض:

- أُقسم لك لا أعرف حتى الآن!

استفسر منها محمود إن كانت علمت بوصيته قبل موته، فانفعلت بشدة، ونفت بشكلٍ قاطع، مؤكدةً على عدم تصديقها للأمر عندما أُبلغَت به.

سألها محمود عن شكل العلاقة التي ربطت بينهما، فردّت بنفس

الانفعال:

- لم تكن هناك أي علاقة تربطني به! لقد عرفته لأول مرة قبل موته بثلاثة أشهر عندما ذهبت إليه لإجراء تحقيق صحفي حول رجال أعمال شباب بدأوا من الصفر وحققوا نجاحات مبهرة وكان واحدًا من بينهم، كانت لقاءاتي به محدودة وجميعها فـي مقر شركته، ومرة واحدة فقط أصر على دعوتي للغداء فـي أحد الفنادق الكبرى، وحتى فـي هذه الجلسة استكمل حديثه معي عن قصة نجاحه، فيمكنك أن تُسمّيها «غداء عمل»، وكان رحمه الله غاية فـي الأدب.

هزّ محمود رأسه مُتفهمًا ثم استأذنها فـي إلقاء نظرة على الفيلّا من الداخل، كانت تتكون من بدروم وطابق أرضي وآخر علوي يصلهم جميعًا سلم داخلي، بدأ محمود بالبدروم فكان عبارة عن غرفة مستطيلة مساحتها حوالي ٢٦ متر به بعض الخزين، أشار عصام إلى أحد الأركان موضحًا أنه كان يضم سريرًا صغيرا يبيت عليه إسماعيل فـي الليالي التي كان يبيت فيها فـي الفيلّا، بالإضافة إلى دولاب خشبيّ صغير من ضلفتين يحفظ فيه ملابسه، فأخبرتهما ياسمين أنها تخلصت من كل أثاث الفيلّا القديم.

صعدوا مرةً ثانية إلى الطابق الأرضي، فكان يضم مطبخًا كبيرا، وحمّامًا، وبهوًا فسيحًا يضم ثلاثة صالونات وحجرة سفرة كبيرة، كما يضم غرفة مغلقة بها مكتبة كبيرة تضم عددًا ضخمًا من الكتب والروايات، أوضح عصام لمحمود أنها كانت غرفة مكتب وجيه وكانت تضم مكتبًا خشبيًا - أشار إلى مكانه - وكرسيًا فوتيه بالإضافة إلى كرسيين أمام المكتب، وشاشة تليفزيون مثبتة على حائط أمام

المكتب، ثم أشار إلى خزينة حديدية صغيرة مثبتة في الحائط خلف مكان المكتب موضحًا أنها كانت من ممتلكات وجيه، أفادت ياسمين أن الشيء الوحيد الذي احتفظت به من مقتنيات وجيه هو المكتبة لِما تضمه من كتب وروايات قيّمة وهي قارئة نهمة، وأضافت أنها أضطرت للاحتفاظ بالخزينة لصعوبة نزعها من الحائط.

أنهى محمود فحصه لغرفة المكتب، صعدوا إلى الطابق العلوي، كان يضم أربع غرف تتوسطهم صالة مستطيلة بالإضافة إلى حمّام، بمجرّد صعودهم سأل محمود ياسمين عن الغرفة التي كان يقيم بها وجيه، فرمته بنظرة نارية، وأجابت بنبرة مستنكرة:

- كيف لي أن أعرف وقد دخلت هذه الفيلّا لأول مرة منذ أقل من شهر؟!

فاعتذر لها محمود بأدب، وعلى الفور تَدخّل عصام مشيرًا إلى إحدى الغرف موضحًا أنها كانت غرفة وجيه، دخلها محمود فوجدها خالية، ومُلحقًا بها حمّام، بدأ عصام في وصف الأماكن التي ضمت أثاث الغرفة، ومكان السرير الذي وُجد عليه وجيه مقتولا، اكتفى محمود بتفقد تلك الغرفة بعد أن عرف من ياسمين أن باقي الغرف خالية من الأثاث باستثناء غرفة نومها.

في طريقه إلى المغادرة، وقف محمود بصحبة عصام وياسمين أمام باب الفيلّا الداخلي، يلقي نظرة على الحديقة الصغيرة المستطيلة التي تَحفُّها أشجار عالية تحيط بسورها العالي، يتوسطها بوّابة الفيلّا الخارجية التي صُمّمت من الحديد والزجاج المزخرف، شكر محمود ياسمين على حُسن تعاونها معهما وقبل أن يتركها،

التفت إليها فجأة.. وسألها إن كانت تقيم فـي الفيلّا بمفردها، فنفت وأفادت أنها تقيم برفقة زوجها، ولكن اضطرته ظروف العمل للخروج مبكرًا اليوم، فسألها محمود عن اسمه، فأجابت:

- «وائل الحسيني».

***

وقع اسم زوج ياسمين على مسامع محمود وعصام وقع الصدمة، ركبا السيارة التي قادها عصام بينما جلس محمود إلى جواره والصمت ثالثهما، اختلطت الأفكار داخل عقل عصام بعد أن شعر أنه أهمل بشدة فـي هذه القضية، وأن أمورًا عديدة كان يجب أن يكتشفها قبل أن يكتفي بحصر الشبهة فـي إسماعيل ودافعه سرقة حفنة من المال مهما بلغت لن تزيد عن عدة آلاف من الجنيهات، وترك مَن آلت إليها الملايين وتزوجها الصديق المقرب لوجيه، ولا بدّ أن الشخص الذي يبتزه يعرف ما يدينهما، أمّا محمود فجال بخاطره سؤالٌ واحد:

- «ما الدافع الذي جعل وجيه يوصي بكل ثروته لياسمين ولا تربطه بها أيّة علاقة على حدّ قولها؟»

أخيرًا، قطع الصمت صوت محمود وهو يتحدث بنبرة شاردة كما لو كان يُحدّث نفسه قائلًا:

- هذه الجريمة تم تدبيرها بذكاءٍ شديد، ومن الصعب بل من المستحيل على شخص مثل إسماعيل أن يكون هو مَن دبّرها!

بلهفة سأله عصام: ومن أين نبدأ يا أفندم؟

انتبه محمود من شروده، ولم يُجِب عن سؤال عصام بل سأله إن كان قد فحص كاميرات المراقبة المثبتة على بابَي الفيلّا الداخلي والخارجي، فأفاد أنهم اكتشفوا عطل هذه الكاميرات، وكان أخر ما سجّلته قبل الجريمة بأسبوع.

فكّر محمود وقال: أريد أن أبدأ بالحديث مع إسماعيل الآن، فكما أراد القاتل أن تكون نهاية الخيط عند إسماعيل، فربما نجد بداية الخيط عنده!

***

-٦-

داخل مكتب عصام بقسم التجمع الأول، حضر إسماعيل من غرفة الحجز بالقسم، جلس مطأطئ الرأس أمام محمود، وعلى وجهه أمارات اليأس، خاطبه محمود بنبرة هادئة مؤكدًا له أن إثبات براءته تتطلب مصارحته بكل شيء، ثم بدأ حواره معه بسؤاله عن رأيه في وجيه، فردَّ بصوتٍ حزين:

- لم يعاملني مخلوقٌ طوال حياتي برفقٍ وطيبة مثلما عاملني وجيه بك، لم يكن يتعامل معي كخادم عنده بل كصديق، فلا أذكر أنه نهرني مرة طوال خدمتي لديه.

طلب منه محمود أن يحكي له بالتفصيل عن يوم الحفلة منذ الصباح، فرفع إسماعيل رأسه ناظرًا إلى السقف كأنه يسترجع ذكرى ذلك اليوم، ثم حكى يقول:

- «كنتُ أبيت في منزلي في اليوم السابق للحفلة، وصلت الفيلّا كعادتي في السابعة صباحًا، أعددت الإفطار لوجيه بك، تناوله في الثامنة كعادته، غادر إلى شركته بعد أن طلب مني تجهيز الفيلّا لعيد ميلاده، أخبرني أن الطعام سيأتي جاهزًا من أحد المطاعم عند التاسعة مساءً، وعليّ فقط إعداد المشروبات.

عاد إلى الفيلّا في السادسة مساءً، لم يتناول أي طعام وفهمت منه أنه تناول بعض الشطائر في الشركة، أغلق على نفسه غرفة مكتبه، أعددت له فنجان قهوة ولم يغادر المكتب حتى الثامنة، بعدها صعد إلى حجرته، ثم هبط إلى الطابق الأرضي قبل وصول المدعوين

بدقائق قليلة.

حضر المدعوون عند التاسعة، وبعد منتصف الليل بقليل غادروا جميعا، طلب مني وجيه بك الانصراف إلى منزلي والمبيت فيه في هذه الليلة، عرضتُ عليه أن أبيت حتى أرتب الفيلّا، لكنه أصرّ وطلب مني الحضور صباحًا عند العاشرة، وهذا كل ما حدث».

سأله محمود عن عدد الأشخاص الذين حضروا الحفل، فأفاد أنهم أربعة أفراد (الأستاذ شاكر المحامي - يسري بك - فايز بك - مدام ثريا)، بخلاف خليل السكرتير، ثم أضاف قائلًا:

- وجميعهم حضروا عدة حفلات سابقة بالفيلّا، باستثناء مدام ثريا، فهي الحفلة الأولى التي تحضرها.

سأله محمود إن كان وجيه اعتاد على إقامة حفلات في فيلّته، فأجاب بأنه يقيم حفلة كل ثلاثة أشهر يحضرها عدد كبير من المدعوين، ولكن هذه الحفلة كانت الأولى التي يحضرها عددٌ قليل.

محمود: هل كان وجيه طبيعيًا أثناء الحفل؟

إسماعيل: نعم، بل لاحظته أكثر مرحًا وسعادة في تلك الليلة.

محمود: ألم يحدث شيء لفت انتباهك؟

أحنى إسماعيل رأسه، فكّر لحظات بعدها أجاب: لا أتذكر يا أفندم.

سرح محمود لحظة ثم سأله إن كان يعرف المدعو وائل الحسيني، فوضّح أنه يعرفه جيدًا؛ لأنه صديق وجيه المقرب، ويأتي إلي الفيلّا كثيرا، فأبدى محمود له دهشته لأنه لم يذكر اسمه بين المدعوين،

فجاء جوابه أن وائل لم يحضر الحفل، وأضاف أنه استغرب عدم حضوره بشدة للدرجة التي دفعته ليسأل خليل، لكنه لم يكن يعرف السبب.

فكّر محمود ثم سأله: لماذا أصرّ وجيه على عدم إقامتك فـي الفيلّا بالرغم من احتياج الفيلّا لترتيب وتنظيف بعد الحفل؟

بصوتٍ خجل ردّ إسماعيل: فـي الحقيقة وجيه بك كانت له بعض النزوات العابرة، فتوقعت أنه ينتظر إحداهن فـي تلك الليلة، فهو لم يأتِ بأي امرأة فـي وجودي طوال خدمتي معه.

باندهاش سأله محمود عن كيفية معرفته بهذا الأمر إذا كان وجيه لم يأتِ بامرأة فـي وجوده على حدّ قوله، فنظر إسماعيل إلى الأرض متحاشيًا النظر إلى محمود، وأجاب بصوتٍ خجل:

- ذات مرة، كان من المفترض أن أبيت فـي الفيلّا، دخلتُ إلى وجيه بك فـي غرفة مكتبه أُقدّم له القهوة بينما كان يتحدث فـي هاتفه ويقهقه، بعد دقائق استدعاني وأمرني بالمبيت فـي منزلي هذه الليلة، فـي صباح اليوم التالي وأثناء تنظيفي للفيلّا، وجدت بقايا سيجارة ملقاةً أسفل أحد مقاعد الصالون وعليها آثار أحمر شفاه.

استفسر منه محمود عن أيام مبيته فـي الفيلّا، فأفاد أنهم أربعة أيام أسبوعيًا، يحددها وجيه بك.

محمود: ماذا فعلت بعد اتصال خليل بكَ لينصحك بالهرب؟

إسماعيل: بعد أن أنهى خليل اتصاله معي، كنت أفكر فـي أمر واحد هو الهروب السريع، فلملمت أشيائي على عُجالة، وخرجت مهرولًا

من منزلي، كنت أعرف أحد الأشخاص ربطتني به علاقة قوية في السجن، اتصلت به فأعطاني عنوانه في إحدى قرى البدرشين، ركبت سيارة أجرة وذهبت إليه، اختلقت له قصة وأمضيت عنده ليلة واحدة، بعد ذلك تنقلت من مكان لمكان داخل القاهرة وخارجها، ولم يكن لشخصٍ مثلي أمضى نصف حياته على الأرصفة وفي الشوارع، أن يجد صعوبة في العثور على أماكن يختفي فيها لمدة شهرين.

سأله محمود: عثرت الشرطة على مبلغ عشرة آلاف جنيه تحت فراشك في الفيلّا، فهل هذا المبلغ يخصك؟

صرخ إسماعيل: أُقسم لك لا أعرف شيئًا عن هذه النقود.

محمود: هل تواصلت مع أي شخص بعد عِلمك من خليل أن براءتك ظهرت؟

إسماعيل: لا، فبعد عودتي إلى منزلي بأقل من ساعة تم القبض علىّ.

أنهى محمود تحقيقه مع إسماعيل بعد أن حثّه على التواصل معه في حال تذكره أي أمر حدث أثناء الحفلة، ثم غادر قسم الشرطة عائدًا إلى مكتبه في مديرية الأمن بعد أن طلب من عصام استدعاء خليل مساءً في مكتبه.

***

-٧-

صعدت ياسمين إلى غرفتها مباشرةً بعد مغادرة محمود وعصام، دخلت من الباب فهبّ وائل واقفًا، وبحدّة شديدة خاطبها قائلًا:

- لا أعرف كيف وافقتكِ على هذا التصرف الأرعن؟! فماذا لو طلب الضابط الدخول إلى هذه الحجرة؟!

ضحكت ياسمين غير عابئة بانفعاله، تمددت على الفراش وقالت: أنت متزوج أذكى امرأة في العالم، ولكن ثقتك بي لم تصل بعد إلى درجة اليقين.

بغضبٍ بيّن علّق: غرورك هذا قد يصل بنا إلى الهاوية!

ضحكت ياسمين ضحكة عالية ورزّت: هذا ليس غرورًا يا حبيبي، هي ثقة بالنفس لا أكثر، أو تستطيع القول: «إنني أعرف إمكاناتي جيدًا»، وعليك أنت أن تهدأ فمن المؤكد أنهم يتساءلون الآن: «كيف تزوج صديق وجيه المقرب بالمرأة التي أوصى لها بثروته؟»، وإن لم تتحلَ بالثقة والثبات، فأنت مَن سيذهب بنا إلى الهاوية.

أشعل وائل سيجارة، أخذ نفسًا طويلًا، سألها وهو يمشي في الغرفة ذهابًا وإيابًا دون أن ينظر إليها:

- ولكن ألم يكن ذهابي وإبلاغي عن الشخص المُبتز غباء؟! فالآن سيستنتجون أن هذا الشخص يمتلك ما يُدينا؟

هبّت ياسمين جالسة في الفراش، ورزّت بحماس: على العكس! فنحن نعرف من البداية أن الشرطة ستعلم بزواجنا وبميراثي من

وجيه، فمبادرتك بإخبارهم عن هذا الشخص يضعك فـي موقف القوي الواثق من نفسه، وإلّا ما كنتَ تُسارع وتبلغ الشرطة عمّن يبتزك.

جلس وائل على مقعد فـي أحد أركان الغرفة، وبنبرة تحمل غضبًا خاطب ياسمين قائلًا:

- دائمًا تنظرين للأمور من جانبٍ واحد، فهناك جانبٌ آخر نسيتِه! ماذا لو كان هذا الشخص -الذي تعرفينه جيدًا- يمتلك دليل براءة إسماعيل كما ادّعى؟!

***

-٨-

عند السادسة مساءً، جلس خليل داخل مكتب العميد محمود زائغ البصر، مرتعش اليدين، فقد استدعاه الرائد عصام إلى مكتبه بقسم التجمع الأول، ثم اصطحبه لمديرية الأمن دون أن يفهم سببًا لِما يحدث معه، وهو الآن يجلس مع عميد لم يرَه من قبل.

تعمّد محمود تجاهله بعض الوقت، أخذ يتحاور همسًا مع عصام، وكلّما مضى الوقت ازداد توتر خليل، فجأة.. سأله محمود لماذا استخدم أحد الأشخاص اسمه ليضلّل إسماعيل، فأجابه بصوتٍ مرتعش:

- لا أعلم يا أفندم! ربما لأنني الوحيد فـي الشركة على تواصل مع إسماعيل.

حكّ محمود ذقنه بإصبعه، ثم قال: إذن هذا الشخص يعلم علاقتك بإسماعيل، فمَن هو فـي رأيك؟

خليل: لا علم لي!

سأله محمود عمّن فـي الشركة يعلم علاقته بإسماعيل، فأجاب: «وجيه بك، وائل بك، والأستاذ شاكر المحامي».

سأله محمود عن شكل علاقته بإسماعيل، فأفاد:

- كنتُ الوسيط بينه وبين وجيه بك، ففي أيام كثيرة كنت أتصل به وأخبره بنوعية الأطعمة التي يطهيها لوجيه بك، وفي المرات التي يتم فيها إقامة حفلات بالفيلّا كنت أذهب للإشراف على الترتيبات

النهائية وأعطيه أي تعليمات إضافية، وقد ساعدته فـي استئجار مسكن له قريبًا من سكني فـي الحي العاشر بمدينة نصر، ومرات قليلة كنت ألتقيه صدفة فـي أحد المقاهي التي أجلس فيها بالقرب من مسكني، ونجلس معًا نتسامر سويًا، لكننا لم نكُن أصدقاء، فلم أتصل به فـي حياتي إلّا لأُبلغه أمرًا من وجيه بك.

محمود: ما علاقة وجيه بالمدعو وائل الحسيني؟

خليل: الأستاذ وائل بدأ العمل فـي شركتنا من سنتين تقريبًا، بعد فترة قصيرة، عيّنه وجيه بك كنائبٍ له، وفهمت أن علاقة قديمة كانت تربطهما، وهو بمثابة الذراع الأيمن لوجيه بك فـي الشركة.

بنبرة خبيثة سأله محمود عن رأيه فـي وائل، فشهد بطيب أخلاقه، وحُسن تعامله مع الجميع، وأفاد أنه يدير الشركة الآن بعد أن أصبحت مِلكًا لزوجته، فسأله محمود إن كان التقى زوجته من قبل، فأفاد أنه التقاها لأول مرة قبل وفاة وجيه بثلاثة أشهر تقريبًا، عندما حضرت إلى الشركة لإجراء تحقيق صحفي معه، ثم تعددت زياراتها له.

استفسر منه محمود إن كانت ياسمين تعرّفت إلى وائل أثناء هذه الزيارات، فأفاد أنها فـي إحدى زياراتها لوجيه، كان وائل بصحبته فـي مكتبه.

محمود: ألم تستغرب عندما علمت أن وجيه أوصى بثروته لامرأة عرفها قبل وفاته بثلاثة أشهر فقط؟

بثبات شديد ردّ خليل: لم أستغرب مُطلقًا! فوجيه بك كان مُغرمًا

بها.

بانفعال واندفاع سأله عصام: وكيف عرفت؟

بحقة ردّ خليل: عندما كنت أدخل لوجيه بك بعد كل زيارة لمدام ياسمين، كان وجهه يفضحه، فأنا رجُل اقتربت من الخمسين وأفهم جيدًا هذه الأمور.

سأله محمود بخبث: وكيف كنت تقرأ وجه ياسمين؟

اهتز خليل قليلًا وردّ: أنا أتعامل باحترام شديد مع زائرات وجيه بك، ولا أُمعن النظر فـي وجوههن، لذلك لا أستطيع الحُكم عليها.

سكت محمود لحظة ثم سأله بطريقة مباغتة عن سبب تَغيُب وائل عن حفل عيد ميلاد وجيه، فأقسم بعدم معرفته للسبب مؤكدًا على دهشته لهذا الأمر.

محمود: هل حدثت مشاجرة بينهما فـي هذا اليوم؟

بدا الارتباك على وجه خليل، ثم أجاب بصوتٍ مرتعش:

- صباح هذا اليوم، خرج الأستاذ وائل من اجتماع مع وجيه بك وعلى وجهه علامات غضب شديد، لكني لا أعرف السبب، وأتمنى يا أفندم ألّا تحكي للأستاذ وائل حتى لا يطردني من الشركة.

طمأنه محمود ثم سأله إن كان قد لاحظ شيئًا غريبًا أثناء الحفل، ففكّر قليلًا قبل أن يجيبه قائلًا:

- حقيقةً كل ما حدث فـي تلك الليلة كان غريبًا، فبدايةً جاء الطعام من المكان الذي رتبت معه متأخرًا، كما لاحظتْ ليلتها أن الأستاذ

شاكر المحامي كان شاردًا معظم الوقت، أمّا بخصوص يسري بك وفايز بك فكانا يتهامسان كثيرًا والغضب يكسو وجهيهما، وأخيرًا وجيه بك فقد بدا عليه التظاهر بالسعادة، ولكن من طول عشرتي معه فلم تكُن سعادته حقيقية، حتى أنني علّقتُ لزوجتي بعد وفاته قائلًا:

«إن الرجُل كان يستشعر موته».

فكّر محمود ثم سأله: هل كان لوجيه نزوات نسائية؟

على الفور ردّ: لا أعلم يا أفندم.

محمود: مَن هي مدام ثريا؟

خليل: سيدة أعمال مبتدئة، لها شركة صغيرة تتاجر في بعض البضائع التي نستوردها، نشأت بينها وبين وجيه بك علاقة قبل وفاته بثلاثة أشهر تقريبًا، وتوطدت سريعًا.

سأله محمود إن كانت ياسمين دُعيت لحفل عيد الميلاد، فأجابه بالنفي، ثم سأله عمّن هما يسري وفايز، فأفاد أنهما رجُلَي أعمال وصديقان لوجيه منذ أكثر من عامين.

أذن محمود لخليل بالانصراف، ثم طلب من عصام تحديد موعد في الصباح مع ثريا، فسأله عصام:

- وماذا بشأن وائل؟

ابتسم محمود وقال: لم يحِن وقته بعد.

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«إذا نشأت علاقة بينك وبين شخصٍ لا يشبهك.. فـي مكانٍ ما.. فـي وقتٍ ما.. دون ترتيبٍ منكما.. فلا تظنها صُدفة.. ففي الأقدار.. كل شيء رُتِّبَ بدقة»

كنتُ أتسكع ذات يوم فـي ميدان التحرير أُشاهد أحداث الثورة عن بُعد، وإذا بمشاجرة على الرصيف بجواري، رأيت شخصين يُوسعان شخصًا ضربا، كان فـي بداية العشرينيات، ذو بشرة خمرية، يميل إلى الطول، نحيف، أشعث الشعر، يُميِّز وجهه جُرحٌ غائر بالخد يعكس إصابة قديمة، فأسرعت وخلصته منهما، كانت الدماء تسيل من شفتيه، اصطحبته لإحدى الصيدليات القريبة لتنظيف جروحه وتضميدها.

على الرغم أن شكله الخارجي يوحي بأنه بلطجي، فإنني لسبب لا أعرفه تعاطفت مع حاله، صممت على دعوته إلى الغداء، وفي إحدى الكافتيريات القريبة، جلسنا وأثناء تناول الطعام سألته عن اسمه وعمله، فأجابني: اسمي «إسماعيل السيد»، وإذا به فجأة يبكي قائلًا:

- فـي الحقيقة لا أعلم إن كان هذا اسمي الحقيقي أم لا! فهدّأته وطلبت منه أن يحكي لي حكايته فقال:

«لا أذكر من طفولتي إلّا أيامًا سوداء، أمضيتها فـي دار للأيتام، فأنا لا أعرف لي أبوين، وعندما بلغت السادسة عشرة انطلقت فـي شوارع القاهرة، ورفضت العودة إلى الدار مرة أخرى، عملتُ بحِرفٍ مختلفة ولكن لم أفلح فـي أيٍّ منها، جمعتني الصُدف مرةً أخرى

بزميلين كانا رفيقَي فـي الدار، تعجبت لمظاهر العز التي بدت عليهما، ففهمت منهما أنهما يعملان فـي توزيع المخدرات، لم يحتاجا أي وقت لإقناعي بالانضمام إليهما بل أنا مَن سعيت لذلك، كنت أمتاز بالقلب الميت فتفوقت عليهما فـى العمل، وعندما قامت الثورة، تعددت مصادر الخير، واليوم أرادا أن يتقاسما معي رزقي دون وجه حق، فتشاجرت معهما».

اختلطت الدموع بالضحكات فـي حكاية إسماعيل، وتأكدتُ لحظتها أننا نشترك فـي كراهيتنا وحقدنا على الدنيا، حتى وإن اختلفت أسباب الكراهية عندنا، هوّنتُ عليه وصارحته بما جال بخاطري، تشاركنا همومنا، فخفّت حمولتنا، وبدأنا نضحك بلا سبب كأننا نتحدى الدنيا ونعلن لها عدم استسلامنا.

عرفت منه أنه كان فـي طليعة مَن نهبوا المحلات والمتحف المصري، وتعرّف على تُجّار سلاح، وأصبح وسيطًا فـي تجارته إلى جانب نشاطه الأصلي كوسيط فـي تجارة المخدرات.

في الحال عرضت عليه شراء ما لديه من آثار، كانوا ثلاث قطع، اشتريتهم بثمنٍ يفوق أي ثمن عُرِضَ عليه، تركته يظن أنني شابٌ غنيٌ أبله، فسارع وعرض عليّ بعض الأسلحة، هنا أظهرت له خبرتي فـي أنواع الأسلحة، ولكن لم أُعلّمه حتى يبقى فـي احتياجٍ لي.

بالفعل على مدار عام كامل استطاع إسماعيل أن يجلب لي الكثير من الأسلحة واشتريتها بسعرٍ رخيص، كان يعرض عليّ بين الحين والآخر بيع ما أمتلكه من أسلحة وآثار بسبب زيادة سعرها، لكنني كنت أرفض، فقد خططتُ لعدم بيع أي شيء حتى تستقر الأوضاع

قليلًا، فعندها يرتفع الثمن أضعافا.

في نهاية عام ٢٠١٣، قلّ المعروض من السلاح وازداد الطلب، فبدأت استخدام إسماعيل فـي بيع جزء مِمّا اشتريته من أسلحة، وأعطيه عمولته، أمّا الجزء الأكبر فبعته بنفسي حتى لا يطمع إسماعيل بسبب المكاسب الهائلة التي كسبتها.

أمّا الآثار، فقد خدعته وأقنعته أن تاجر آثار أفهمني أنها غير أصلية ولا قيمة لها، حتى لا يقتلني عندما يعلم أنني ربحت من ورائه ملايين.

عندما فتحت شركتي، عرضت عليه العمل معي، لكنه رفض، فأمثال إسماعيل مِمّن وُلدوا فـي حضن الحرمان، عندما يكبرون، يتحول الحرمان فـي أعينهم إلى وحش، يسعون طوال حياتهم لقتله، ووسيلتهم الوحيدة لقتله هي المال، لذلك يلجأون دائمًا إلى كسب المال السريع أيًّا كان مصدره.

جاءني بعد خروجه من السجن، فألحقته بالعمل عندي، ولكن مع الأيام اكتشفت أن كراهيتنا للدنيا لم تكن هي العامل الذي جمعنا، فقد كان هناك أمرٌ آخر، لم أدركه حينها!

***

-٩-

(السبت - السادس من يوليو)

عند العاشرة صباحًا، جلست ثريا داخل شقتها الصغيرة الأنيقة بالتجمع الخامس، وأمامها جلس محمود إلى جوار عصام، بدا عليها الثبات والهدوء غير قلقة من الزيارة المفاجئة للضابطين، فبادرها محمود قائلًا:

- أرجو ألّا نكون تسببنا فـي إزعاجكِ بهذه الزيارة، فللأسف الشديد اتضحت لنا بعض الأمور التي دفعتنا للتحقيق فـي مقتل وجيه الكيلاني مرةً أخرى، وقد علمت أنكِ كنتِ ضمن المدعوين للحفل ليلة مقتله، ولأنكِ بعيدة كل البعد عن الاتهام، فقد فضّلت المجيء إليكِ فربما تكون لديكِ معلومات تفيدنا فـي التحقيق.

بهدوء شديد سألته ثريا إن كان إسماعيل تم تبرئته من تهمة القتل، فنفى محمود موضحًا لها اكتشافهم لاحتمالية وجود شريك له فـي الجريمة، فعادت ثريا لتسأله بنفس الهدوء والابتسامة الباهتة عن سبب استبعادها من الاتهام كما قال، فاندهش محمود وسألها:

- ولماذا ترغبين فـي وضع نفسكِ كمتهمة؟!

ثريا: بالطبع لا أرغب فـي هذا! ولكن من المفترض أن الجميع متهمون حتى تثبت براءتهم.

بنفس نبرة الدهشة سألها محمود عمّن تقصدهم بكلمة «الجميع»، فردّت بتلقائية:

- كل مَن حضر الحفل.

بنبرة خبيثة سألها محمود: ولكن وجيه قُتل بعد انتهاء الحفل! فلماذا تحصرين الشبهة فـي المدعوين؟

لأول مرة يبدو الارتباك على صوت ثريا، فردّت بنبرة مترددة:

- معك الحق! أظن أن أمر فتح التحقيق أصابني بالجزع فلم أُحسن التفكير.

ابتسم محمود بخبث، ثم طلب منها أن تحكي له عن الحفل منذ وصولها حتى مغادرتها فحكت تقول:

- «وصلتُ الحفل فـي التاسعة والربع، كنت أخر مَن وصل من المدعوين، عرّفني وجيه إلي يسري وفايز وشاكر، فلم أكن أعرفهم من قبل، أمّا خليل فالتقيته كثيرا.

كان جوُّ الحفلة غريبًا، فلم تكن هناك أي معالم للبهجة، باستثناء فرحة وجيه، عند منتصف الليل كنت أول مَن غادر الحفل، وكان الآخرون على وشك الانصراف».

سكتت ثريا معلنةً انتهاء حكيها، بعد لحظات من التفكير، طلب منها محمود توضيحًا أكثر لِما قصدته من وصفها لجوَّ الحفل بالغريب، فتنهدت وأبدت صعوبة شرح هذا الأمر، معللةً أنه فـي أحيانٍ كثيرة لا يجد المرء تفسيرًا للأحاسيس التي تنتابه، فاعترض محمود على ردّها، مؤكدًا لها أن هناك ما حدث أمامها أوحى لها بتلك الأحاسيس، ففكّرت لحظات ثم ردّت:

- بدايةً كان عدد المدعوين لا يتناسب مع حفل عيد ميلاد رجُل

بقيمة وجيه، ثم فوجئت بعدم وجود أي امرأة غيري فـي الحفلة مما اضطرني معظم الوقت فـي إجالة النظر خلسة بين الحضور، انتابني شعورٌ بأن وجيه يرمي يسري وفايز بنظرات نارية خِلسة، ويعقبها بحديثٍ باسم معهما، أمّا شاكر فبدا على وجهه الشرود معظم الوقت.

محمود: كيف تعرفتِ إلى وجيه؟

ثريا: المرحوم طليقي كان صديقًا لوالده، فذهبت إليه أسأله المساعدة والمشورة فـي إنشاء شركة صغيرة، وقد عاونني فـي هذا الأمر كثيرا، فتمكنت بالفعل فـي فترة قصيرة من الوقوف على قدمَي كسيدة أعمال.

حدّق محمود فـي عينيها وسألها: هل توقعتِ يومًا مقتل وجيه؟

بثبات شديد أجابته: لا، على الإطلاق! فما أعلمه أنه رجُل أعمال ناجح جدًا، قد يكون له منافسون كُثر كما هو شائع فـي مجتمع رجال الأعمال، ولكن لم أتصور أن يصبحوا أعداء!

بتهكُم علّق محمود: من قبل حصرتِ المشتبه بهم فـي القتل فيمَن حضروا الحفل! والآن تحصرين المشتبه بهم فـي مجتمع رجال الأعمال! فهل نسيتِ أن المتهم بقتله هو خادم عنده؟

ارتبكت ثريا ثانيةً وعلّقت: معك الحق! أستميحك عذرًا فالأمر ليس سهلًا عليّ، فذكرى مقتل وجيه تصيبني بالرعب والفزع، فلا تنسَ أنني تركته عند منتصف الليل فـي كامل صحته، ثم فوجئت بمقتله فـي اليوم التالي.

سألها محمود عمّن أبلغها الخبر، فأجابت:

- اتصلت بوجيه ظهر اليوم التالي لأُهنئه على الحفل وأشكره على دعوته، فكان هاتفه مغلقا، ثم فوجئت بشاكر المحامي ينقل لي الخبر مساء نفس اليوم.

فكّر محمود برهة ثم سألها إن كانت تعرف صديقه وائل، شاحت ثريا بعينيها بعيدًا، وردّت بنبرة يكسوها الغلُّ:

- وائل هو ابن المرحوم طليقي.

لمعت عينا محمود، وكعادته اندفع عصام وسألها باندهاش بالغ: كيف؟

حكت ثريا أنها تزوجت من منصور سرًا بعقد عرفـي لمدة ثلاث سنوات، وأوضحت أن هذا الأمر لم يعلم به مخلوق سوى وجيه، وأفادت برؤيتها لوائل مرة واحدة فـي مكتب وجيه، وبعد انصرافه أخبرها وجيه بهويته، مؤكدًا لها وعده بحفظ سِرّها.

باندهاش سألها محمود: تقولين أنكِ رأيتِه مرة واحدة، هل يعني هذا أنكِ قطعتِ علاقتكِ بشركة وجيه؟

ثريا: بالفعل، لم يعُد لي أي تعامل مع الشركة.

محمود: لماذا؟

أطرقت ثريا برأسها لحظة، ثم رفعتها وردّت بنبرة أنثوية تحمل الضعف والاستكانة:

- لا أُريد أن أتذكر طليقي، فلم أنسَ أنه طلّقني فجأة دون أي مقدمات، ومن المؤكد أن وائل الذي يشبهه فـي الشكل، سيُذكّرني به

دائمًا.

أومأ محمود برأسه مُبديًا لها تفهمه، ثم سألها إن كانت تعرف ياسمين الشهاوي، فأفادت أنها رأتها مرة واحدة عند وجيه في المكتب لمدة دقائق معدودة، فعاد وسألها إن كانت سمعت عن علاقة وجيه بها، فنفت بشكلٍ مطلق.

وقف محمود ومن ورائه عصام، شكر ثريا على حُسن تعاونها، وقبل أن يصل باب الشقة، التفت إليها وسألها بغتة:

- هل أنتِ مقتنعة أن إسماعيل هو القاتل؟

بثبات أذهل محمود أجابته ثريا: لا.

• • •

أمام عمارة ثريا، استوقف عصام العميد محمود قبل أن يركب سيارته، وبحماس مصحوبًا بدهشة أبدى استغرابه للثقة التي نفت بها ثريا عن إسماعيل تهمة القتل! فابتسم محمود وعلّق بأن هذه المرأة لديها الكثير لم تفصح عنه بعد.

باستغراب سأله عصام: ولماذا يا أفندم لم تسألها عمّن تظنه القاتل، إن كانت لا تُصدّق اتهام إسماعيل؟

محمود: كانت ستراوغ ولن تعطي إجابة شافية، ولكن في الوقت المناسب سأحصل منها على ما يجول بخاطرها.

عصام: أظن الآن حان دور وائل في التحقيق.

محمود: ليس بعد، أريد الآن لقاء رجُلَي الأعمال (يسري وفايز) في

مكتبي، وحدد موعدًا مع شاكر المحامي مساء اليوم فـي مكتبه.

***

عاد محمود إلى مكتبه، طلب من الجندي فنجان قهوة، فتح مفكرته الصغيرة، دوّن بعض الملاحظات، ثم كتب سؤالًا وضع تحته خطًا أحمر:

- «لماذا أخفت ثريا عن الجميع قصة زواجها من منصور.. وحكت فقط لوجيه؟»

فُتح باب مكتب محمود، فإذا به اللواء الشوربجي مساعد الوزير للبحث الجنائي يدخل مبتسمًا، هبّ محمود واقفًا واستقبله استقبالًا حارًا بعد عودته من رحلة علاج استغرقت أكثر من أسبوعين، حكى له محمود مستجدات قضية مقتل وجيه، فبدا على وجه الشوربجي الغضب وعلّق قائلًا:

- الآن سيتناولنا الإعلام بالسخرية والاتهامات التي لا تنتهي بعد أن أعلنّا للناس أن القاتل هو إسماعيل، بل وعاد الإعلام وهلّل للقبض عليه بعد فترة طويلة من هروبه.

طمأنه محمود بأن التحقيقات تتم فـي سرية مطلقة بعيدة عن كافة وسائل الإعلام، وأن إسماعيل ما زال محبوسًا كمتهمٍ أول ولم يتغير بشأنه شيء.

غادر الشوربجي مكتب محمود بعد أن أوصاه بسرعة إنهاء القضية قبل أن تتسرب أي معلومة للإعلام بشأنها.

***

-١٠-

اتصل عصام بيسري ليخبره باستدعائه لمقابلة العميد محمود في الثالثة عصرًا دون أن يخبره عن السبب، في الموعد المحدد، جلس يسري داخل مكتب محمود يعلو وجهه القلق بالرغم من محاولاته الحثيثة في التحلي بالثبات، استقبله محمود بنظرة فاحصة، بدا له في منتصف الثلاثينيات، وسيم، شديد الاعتناء بمظهره، ثم بدأ حديثه معه بابتسامة قائلًا:

- بدايةً أعتذر لك عن هذا الاستدعاء المفاجئ، ففي الحقيقة اكتشفنا بعد القبض على إسماعيل قاتل وجيه الكيلاني احتمالية وجود شريك له، وعلمت أنك واحدٌ ممَّن حضروا حفل عيد ميلاد وجيه، وهذا يشير إلى قربك منه خاصةً بعد معرفتي أن الحفل ضمَّ عددًا قليلًا من المدعوين، فتوقعت احتمالية وجود معلومات لديك تفيدنا في الوصول إلى الحقيقة.

شرب يسري من كوب ماء موضوعًا على طاولة أمامه، بدأ قلقه يزول شيئًا فشيئا، ردَّ قائلًا: تحت أمرك يا أفندم في أي استفسار.

استدعى محمود الجُندي، طلب له وليسري فنجانين من القهوة، بينما طلب لعصام عصير ليمون، فازداد يسري اطمئنانًا وسكينة، طلب منه محمود أن يقصّ عليه ما حدث بالتفصيل ليلة الحفلة، فحكى قائلًا:

«وصلت إلى هناك عند التاسعة تقريبًا، لم أجد سوى وجيه وخليل، بعد دقائق قليلة حضر فايز ثم شاكر وأخيرًا مدام ثريا، فوجئنا

بخليل يعتذر لنا عن تأخر الطعام، فأبدينا جميعًا عدم الاهتمام بهذا الأمر، بعد منتصف الليل بقليل، انصرفث مع فايز تاركين شاكر مع وجيه، وهذا كل ما حدث».

عرف منه محمود أنه تعرّف إلى وجيه منذ سنتين تقريبًا، ثم توطدت علاقتهما سريعًا وأصبحا صديقين، فاستفسر منه محمود إن كانت درجة صداقتهما كانت تسمح لوجيه أن يحكي له أسراره، فأجابه يسري:

- بعضها فقط، فلكلٍّ منّا مساحة من الخصوصية والسرية لا يُطلع عليها أي مخلوق مهما بلغت درجة قربه منه.

سأله محمود إن كان يعرف عن علاقته بياسمين الشهاوي، فأفاد:

- التقيتها مرة واحدة وهي على وشك الانصراف من مكتب وجيه، لاحظت ساعتها بريقًا في عينيه وهو يودّعها، وعندما سألته عنها راوغني، فتفهمت رغبته في عدم الحديث عنها، بعد وفاته علمت بكتابته كل ميراثه لها فلم أستغرب وتوقعت أنه كان بصدد الزواج بها، ولكن أشد ما أذهلني هو زواجها من وائل، فأنا أعلم أن وائل كان الصديق الصدوق لوجيه، ومن المؤكد معرفته بحقيقة علاقة وجيه بها.

فسأله محمود عن تفسيره لسلوك وائل، بدا الامتعاض على وجهه، واصفًا سلوكه بالمعيب، ولا يفهم تفسيرًا له، وأضاف أن أيّ شخص سيفهم أن وجيه لم يكتب ميراثه لياسمين إلّا بسبب حُبٍّ جارف لها، فكيف يقبل وائل الزواج بها بعد معرفته بهذا الأمر خاصةً أنه تزوجها بعد موت وجيه بفترة قصيرة جدًّا!

عقّب محمود بخبث طارحًا احتمالية عدم إخبار وجيه لوائل عن حُبه لياسمين! فردّ يسري باستخفاف وتهكُّم:

- وهل ياسمين لم تخبره أيضًا؟! أم أنها كانت تجهل حُبّ وجيه لها؟!

هزّ محمود رأسه مُبديًا اقتناعه، ثم سأله إن كانت لوجيه علاقات نسائية، فنفى يسري بصورة مطلقة، وأضاف أنه ظن فـي بعض الأحيان أن لديه عقدة من النساء.

بطريقة مباغتة سأله محمود عن رأيه فـى ثريا وفايز وشاكر المحامي، فأجابه يسري بنفس نبرة الاستخفاف:

- بخصوص ثريا، التقيتها مرة واحدة يوم الحفل، قدّمها لنا وجيه كسيدة أعمال، أمّا عن رأيـي فيها فرأيتها امرأة فضولية وثرثارة.

أمّا فايز، فالتقيته عدة مرات فـي الحفلات التي كان يقيمها وجيه فـي فيلّته، شخص محترم، ذكي، رجل أعمال ناجح، لكن لم تكن لي به صلة فـي العمل لاختلاف نوعية البضائع التي نتاجر فيها.

وأخيرًا شاكر، عرفته أيضًا فـي حفلات وجيه، لكن معرفتي به سطحية.

فكّر محمود لحظة ثم سأله إن كان حدث شيءٌ فـي الحفل لفت انتباهه، أسند يسري رأسه على كفه وأغمض عينيه يتذكر، ثم ردّ بحماس: نظرات وجيه للحضورا

باستغراب شديد سأله عصام: ماذا تقصد؟

يسري: لاحظت وجيه يختلس النظر إلى الحاضرين، ويرميهم بنظرات غلّ.

عصام: حتى أنت؟

يسري: نعم.

محمود: حتى خليل؟

يسري: خليل كان له النصيب الأكبر من هذه النظرات.

محمود: وهل فعل هذا مع إسماعيل؟

يسري: إسماعيل الوحيد الذي ناله توبيخ لفظي بالإضافة إلى هذه النظرات، فأثناء تقديمه للعصائر سقط أحد الأكواب منه، فوبخه وجيه بشدة.

محمود: هل كان وجيه مبتهجًا فـي هذه الليلة؟

يسري: كان يتظاهر بالابتهاج، لكن أظن أن أمرًا هامًا كان يشغل باله.

سأله محمود عمّن أخبره بقتل وجيه، فأفاد أن فايز عرف من وائل عصر يوم الجمعة، وهو مَن أخبره، فعاد محمود وسأله إن كان توقع قتل وجيه، فردّ يسري دون أن يفكر:

- نعم، وجيه كان على قناعة أنه يعيش وسط غابة من الوحوش ويستمتع بترويضه لهم مفتخرًا أنه أكثر ضراوةً منهم، ولكنه لم يدرك أنه بات مؤخرًا طاووسًا أكثر منه وحشًا.

***

-١١-

«فايز العمري، يبلغ من العمر خمسين عامًا، طويل القامة، عريض الكتفين، ممتلئ الجسم، ملامحه حادة، له شارب عريض، لا يغادر السيجار إصبعيه، شديد الأناقة، يسبق عطره خطواته».

جلس فايز أمام محمود والسيجار مُطفأ فـي يده، أعاد عليه محمود المقدمة التي بدأها مع يسري، ثم سأله بعض الأسئلة التي سألها ليسري، فتطابقت أجوبتهما، ثم سأله عن كيفية تعرّفه إلى وجيه، فأفاد:

- منذ أربع سنوات تقريبا، كنت الوكيل الوحيد لقطع غيار أحد أنواع المصاعد الشهيرة، كان وجيه يأخذ احتياجاته مني، لكنه استطاع الحصول على توكيل هذا النوع من المصاعد مشتملًا قطع الغيار الخاصة به، فانقلب الحال وبدأت أنا أخذ احتياجاتي منه.

بخبث سأله محمود إن كان هذا الفعل ترك أثرًا سلبيًا فـي نفسه نحو وجيه، فنفى بصورة مطلقة، موضحًا أن هذا الحال معتاد فـي التجارة.

سأله محمود إن كان قد فوجئ بقتله، فردّ بالإيجاب، مؤكدًا على عدم وجود أعداء له، وطيب علاقاته مع الجميع.

بدأ محمود يسأله عن رأيه فـي بعض معارف وجيه، وكانت ثريا أولهم، فنفى فايز استطاعته فـي تكوين رأي عنها مُبررًا أنه رآها مرة واحدة فـي الحفل، ولم يتحدث إليها مطلقًا، فعلّق محمود مبتسمًا:

- لكن يسري رآها ثرثارة، وفضولية!

فايز: علّمتني الحياة أن أحكم على الأشخاص بعد تعاملي معهم ومعرفة جوهرهم، ولا أحكم عليهم من الانطباع الشخصي من مقابلة واحدة.

أيّده محمود، وانتقل لسؤاله عن وائل، فأفاد:

- شخص يضع مصلحته أمام عينيه دون أي اعتبار لأي مبادئ، ولذلك لم يجد أي غضاضة في الزواج بالمرأة التي يظن الجميع أن وجيه صديقه كان يحبها للدرجة التي دفعته لكتابة ثروته لها.

وأخيرًا سأله محمود عن رأيه في خليل، فردّ بسخرية:

- هو مَن يطلقون عليه «الشخص الذي يلعب بالبيضة والحجر».

انطلق محمود بغتة لمحور آخر وسأله إن كانت لوجيه علاقات نسائية، فأجاب:

- سمعت عن هذا الأمر، لكن لم أهتم، فحياة وجيه الشخصية لا تعنيني في شيء.

سأله محمود إن كان يتذكر شيئًا لفت انتباهه أثناء الحفل، ففكّر لحظة ثم أجاب:

- نعم، مكالمة تليفونية تلقاها وجيه بعد وصولي بدقائق قليلة، ارتسمت على وجهه ابتسامة بمجرّد رؤيته لشاشة تليفونه، وسارع ليجيب من داخل غرفة مكتبه، لكن بعد عودته كان مُتجهمًا، وظلّ مكتئبًا طوال الحفل بالرغم من محاولاته إظهار العكس لنا.

حدّق محمود في عينيه وسأله: هل استغربت عندما علمت أن

إسماعيل هو قاتل وجيه؟

فايز: لا، فشكله مجرم، وكنت أستغرب اطمئنان وجيه له!

***

نظر محمود فـي ساعته فور مغادرة فايز مكتبه، وجدها تشير للسادسة مساءً، هبّ واقفًا، وخاطب عصام قائلًا: ما زال أمامنا ثلاث ساعات حتى يحين موعدنا مع شاكر، فدعنا نذهب لتناول الغداء فـي أي مطعم قريب من مكتبه.

داخل أحد المطاعم فـي منطقة التجمع، طلب الضابطان الغداء، رفض محمود أي سؤال من عصام بشأن القضية حتى ينتهيا من الطعام، بعد أن أنهيا الغداء أحضر النادل لهما كوبين من الشاي مع النعناع الأخضر، وبعد أول رشفة من كوب الشاي، ضحك محمود وقال لعصام:

- سأؤجل أسئلتك لي هذه المرة، لكن دعني أنا أسألك: ما رأيك فيما سمعته من الشهود الثلاثة؟

عصام: للأسف لم أخلُص يا أفندم إلى استنتاجٍ واحد، فالشهود تضاربت أقوالهم فـي نواحٍ هامة! فمثلًا ثريا برأت إسماعيل بينما فايز أدانه! ولكن استوقفني أمرٌ واحد هو: «المكالمة التي تلقاها وجيه عند بداية الحفل وتسببت فـي تجهمه على حدّ قول فايز»، وإن كنت أظن أن المكالمة إمّا من ياسمين وأبلغته اعتذارها عن الحضور، أو من وائل لنفس السبب، وإن كنت أُرجّح أنها من ياسمين؛ لأن فايز ذكر أن وجيه ابتسم عندما رأى اسم المتصل على هاتفه.

محمود: استنتاج وتحليل رائعين، هل لديك ما لفت انتباهك بخلاف هذا؟

فكّر عصام ثم قال: لم أفهم «سر نظرات وجيه الغاضبة للحضور» على حدّ قول يسري وثريا، وإن كانت ثريا اختصت تلك النظرات ليسري وفايز.

محمود: سؤالك هام، وإجابته عندما نصل لها سيكون لها أهمية كبيرة.

***

-١٢-

«شاكر فريد، يبلغ من العمر أربعين عامًا، أعزب، يميل إلى الطول، متناسق البدن، شعره أسود خطّه بعض الشعيرات البيضاء، يهتم بأناقته بشدة».

في الطابق الخامس داخل أحد الأبنية الإدارية فـي منطقة التجمع يقع مكتب شاكر، عند التاسعة تمامًا كان محمود وعصام يجلسان داخل غرفته الأنيقة، جلس شاكر خلف مكتبٍ خشبيٍّ فخم، مرتديًا بذلة سوداء زيّن ياقتها ببروش ذهبي يحمل اسمه، ومن خلفه مكتبة بعرض الحائط تضم مجموعة كبيرة من المراجع وكتب القانون.

استقبل شاكر الضابطين بترحاب مُبديًا لمحمود سعادته بلقائه لِما يسمعه عنه، بدأ محمود معه بنفس الديباجة التي بدأها مع مَن سبقوه، فهم منه محمود أنه يعمل كمستشار قانوني فـي شركة وجيه منذ أقل من سنتين، ثم بدأ محمود يسأله:

- حقيقةً منذ قرأت ملف القضية وسؤالٌ واحد يشغلني: «لماذا يُوصي وجيه بكل ثروته لامرأة لا تربطه بها أي علاقة على حدّ قولها هي؟!» فهل عندك إجابة؟

ابتسم شاكر وردّ: الإجابة بسيطة جدًّا! وجيه كان ينتوي إعلان زواجه بياسمين ليلة عيد ميلاده.

جحظت عينا محمود بينما بدا على وجه عصام الذهول، وبدهشة سأله محمود إن كانت ياسمين تعلم عن هذا الأمر، فردّ بالإيجاب، وأضاف أنه استنتج عدم حضورها الحفل بسبب عدم موافقتها على

الزواج من وجيه.

محمود: متى فاتحها وجيه فـي أمر الزواج؟

شاكر: عشية عيد ميلاده.

محمود: ومتى قام بكتابة وصيته؟

شاكر: صباح يوم عيد ميلاده.

فكّر محمود ثم سأله إن كانت ياسمين تعلم بأمر الوصية، فنفى له شاكر معللًا أن وجيه رغب أن يجعلها مفاجأة لها، فعاد محمود وسأله إن كان أحدٌ غيره علم عن هذا الأمر، فأجاب:

- على حدٍّ علمي أنا الوحيد الذي ائتمنني وجيه على هذا السر، ولكن لا أستطيع تأكيد هذا، فربما حكى وجيه لوائل، فهو أقرب أصدقائه.

محمود: ماذا كان رد فعل وجيه بعد معرفته برفض ياسمين الزواج منه؟

شاكر: بدايةً يجب التنويه أن رفض ياسمين الزواج من وجيه هو استنتاجٌ محض مني ولا أستطيع الجزم به، فبعد انتهاء الحفل، فوجئت بوجيه يخبرني برغبته فـي إلغاء الوصية دون أن يُطلعني عن السبب، لذلك استنتجت هذا الأمر، وأصرّ على ضرورة إنهاء الإجراءات يوم السبت، فقد تم توثيق الوصية فـي الشهر العقاري، لكن لم يمهله القدر، ولم يكن ممكنًا إلغاؤها بعد وفاته.

محمود: كيف يُوصي وجيه بثروته لامرأة لم يتزوجها بعد؟

شاكر: ليس فـي هذا مشكلة! الوصية مستحقة فقط بعد وفاة وجيه، وكان مطمئنًا أنه يستطيع إلغاءها فـي أي وقت.

محمود: هل شككت لحظة أن تكون ياسمين هي مَن دبرت لقتل وجيه لتستفيد من الوصية؟

شاكر: لا على الإطلاق! فوجيه لم يخبرها عن الوصية وأنا أعلم هذا علم اليقين.

محمود: هل التقيت ياسمين؟

شاكر: التقيتها مرتين، وانطباعي عنها أنها ذات شخصية قوية وتتمتع بمبادئ راسخة، لا تستطيع إغراءها بالمال، ودليلي على هذا رفضها الزواج من وجيه، بالرغم أن زواجها منه - دون حتى كتابة أي وصية - كان كفيلًا بتأمين مستقبل لها تحلم به أي امرأة.

سأله محمود عن رأيه فـي وائل، فوصفه بالذكاء والأدب، لكنه أبدى اعتراضه على زواجه بياسمين بعد فترة قصيرة جدًا من موت أقرب أصدقائه، مِمّا وضع علامات استفهام عديدة حوله.

محمود: هل أنت محامي الشركة حتى الآن؟

شاكر: لا، فقد قام وائل بتعيين محامٍ آخر.

باندهاش سأله محمود: لماذا وأنت خبير بأحوال الشركة؟

ردّ شاكر مُتهكمًا: يمكنك أن تسأل وائل هذا السؤال!

محمود: هل كانت لوجيه علاقات نسائية؟

تردد شاكر فـي الإجابة وقال: أظن أن هذه الأمور لا جدوى لها فـي

التحقيق، ووجيه الآن فـي دار الحق ونتمنى له الرحمة.

ردّ محمود بحدّة: رجاءً اترك لي تقييم ما له جدوى فـي التحقيق وعليك فقط الإجابة، ونحن لا نتحدث عن محاسن ومثالب وجيه، ولكن نتحدث عن قتيل نسعى للقصاص له.

تنحنح شاكر وقال: أظن أن وجيه كان يدخل فـي مغامرات عاطفية، وقد عرفت هذا الأمر صدفة، ففي أحد الأيام، كنت أزوره فـي مكتبه، بدا على وجهه غضبٌ جمّ، فسألته عن السبب، فإذا به يردُّ ثائرًا:

- «امرأة غبية تظنني تلميذا، وتريد توريطي فـي الزواج بها»

عرضتُ عليه المساعدة، لكنه استهزأ بالأمر مؤكدًا أنه خبير بهذه الأمور، فقد تعرّض لها مرارًا، ويعرف كيف يحلها بإصبع قدمه.

سرح محمود لحظة ثم سأله: ما رأيك فـي ثريا؟

شاكر: كانت المرة الأولى التي ألتقيها فـي الحفلة، وأراها سيدة تمتاز بالذكاء الاجتماعي، ومتحدّثة لبقة.

عاد محمود وسأله عن رأيه فـي خليل وإسماعيل، فردّ قائلا:

- خليل شخصٌ ماديّ لأبعد حدّ، وكان وجيه يفهمه جيدًا، أمّا إسماعيل فلم أرتَح إليه قطّ، على الرغم أن وجيه كان يمتدحه ويثق فيه.

***

غادر محمود بصحبة عصام مكتب شاكر والأفكار تختلط بعقل كل

منهما، قبل أن يسأل عصام محمود أي سؤال، بادره محمود قائلًا:

- اليوم كان طويلًا ومرهقا، عليك الذهاب لمنزلك لأخذ قسطًا من الراحة، على أن ترتب موعدًا مع وائل فـي شركته فـي العاشرة صباح الغد.

انطلق محمود بسيارته عائدًا إلى منزله، كانت زوجته ناهد وابناه يقضون إجازة الصيف بالساحل الشمالي، اتصل بناهد واطمئن عليها، عاتبته بشدة على عدم اتصاله بها طوال اليوم، فأبدى لها أسفه متعللًا بانشغاله فـي العمل دون أن يفصح لها عن أمر القضية، فلم يكن لديه طاقة لأسئلتها التي ستنهمر عليه، بل ربما تترك الساحل وتأتي لتتابع القضية عن كثب.

بعد أن أنهى المكالمة معها، دخل الحمّام، وضع نفسه تحت الدش فشعر بارتياح كبير، خرج واستلقى على الفراش، استسلم للنوم، فجأة.. هبّ جالسًا فـي الفراش، أمسك هاتفه، اتصل بعصام، بدا على صوته النوم، فلم يبالِ محمود، طلب منه بلهجة حاسمة معرفة صاحب الرقم الذي اتصل بوجيه أثناء الحفلة فـي أسرع وقت، أغلق التليفون وهمس بصوتٍ يكاد يكون مسموعًا:

- «ثُرى هل صدق شاكر.. عندما أكّد على جهل ياسمين بشأن الوصية؟!»

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«عندما تعترف أنك لم تفهم امرأة.. فاعلم أنك فهمتها جيدًا»

ذات صباح شتوي شمسه دافئة، كنت أجلس في حديقة فيلّتي أتصفح الجرائد وإذا بجرس باب الفيلّا الخارجي يرن، ففتحته بنفسي لغياب إسماعيل في هذا اليوم، رأيت أمامي امرأة فاتنة في منتصف الثلاثينيات، شديدة الأناقة، وبنبرة يغلّفها الانكسار عرّفتني بنفسها قائلة:

- «ثريا أبو الفضل، أرملة المرحوم منصور الحسيني».

استأذنتني في الدخول معللةً برغبتها في الحديث معي؛ لاحتياجها الشديد لي، بوجهٍ مندهش وصوتٍ مرتبك أذنت لها بالدخول، جلسنا في حديقة الفيلّا، لم أبدأ أو على الأدق لم أستطع أن أبدأ معها الكلام، فما كان يجول بعقلي لحظتها كان كفيلًا بفشل استخراج أي جملة مفيدة، فأنا أعلم أن أرملة منصور الحسيني امرأة تجاوزت الستين، ولم يكن لي علمٌ بزواجه بامرأة أخرى في عمر أبنائه.

تميزت ثريا بذكاءٍ حاد، وقوة شخصية تظهر جلية في كل تفصيلة صغيرة تخرج منها، بدءًا من طريقة جلوسها، نهايةً بتحكمها في ردود أفعالها بشكلٍ مبهر، حكت قائلة:

«في الحقيقة مجيئي إليك بسبب عجزي وقلة حيلتي، فقد سمعت كثيرًا من منصور عن علاقته الطيبة بوالدك، وبعد تفكير طويل هداني عقلي للمجيء إليك؛ لتساعدني في بداية مشروع صغير

أستثمر فيه أموالي، خاصةً بعد مروري بتجربة قاسية مع أحد التجار المعروفين الذي استغل جهلي وقلة خبرتي، وكنت على وشك الإفلاس إلّا أنني استطعت بعد جهدٍ هائل استرداد أموالي منه».

لا أعلم يقينًا كم من الوقت مضى وأنا أُحملق فـي وجهها شاردًا، أفكارٌ عديدة ماجت فـي عقلي، لكن أشد ما أذهلني أن ثريا لم يهتز لها ساكنٌ أمام صمتي وشرودي، فجأة انتبهتُ، كان أول سؤال تبادر إلى ذهني سؤالها عن رأس مالها التي ترغب فـي استثماره، فأخبرتني أنه ثلاثة ملايين جنيه، فأبديت لها وجهة نظري باستحالة بداية مشروع استثماري فـي البضائع التي أتعامل بها بهذا المبلغ الصغير، فإذا بها تفاجئني بمعرفتها بتاريخ حياتي، وكيف بدأتُ بعد خسارة والدي لثروته، ثم أصبحتُ واحدًا من كبار رجال الأعمال، وهي دائمًا تضعني نصب عينيها قدوة تحتذي بها.

استمر الحديث بيننا طويلًا، حكت لي عن زيجتها الأولى التي استمرت لمدة سنة، ثم زيجتها من منصور سرًّا بعقد عرفـي لمدة ثلاث سنوات، ودون أن أسألها أفصحت لي عن إصرار منصور على عدم الإنجاب منها، بل إنه كان يجبرها على إجراء تحليل كل شهرين ليتأكد بنفسه من عدم وجود حمل، وأخيرًا طلاقه لها بصورة مفاجئة دون إبداء أي أسباب منه للطلاق، ثم فاجأتني بأنني الوحيد الذي يعلم بقصة زواجها من منصور، فقد بقيَ الأمر سرًّا حتى بعد طلاقهما، فقد حصلت منه على مبلغ مليون جنيه نظير حفاظها على السر، وبعد وفاته لم تخبر مخلوقًا عن هذا الأمر، فلم تكن تستفيد من ورائه شيئا.

عزّفتني أنها حاصلة على بكالوريوس تجارة، وسبق لها العمل كمحاسبة فـي عدة شركات خاصة، فـي النهاية، اتفقتْ معها على أن تأتي إلى مكتبي فـي الشركة؛ لبحث أفضل وسيلة لمساعدتها.

غادرَتْ ثريا وسؤالٌ واحد يستحوذ على عقلي:

- «هل ثريا امرأةٌ ضعيفة تنشد المساعدة والعون.. أم شيطانٌ حضر لي فـي صورة امرأة جميلة؟!»

***

-١٣-

(الأحد - السابع من يوليو)

«وائل الحسيني، في منتصف الثلاثينيات، طويل، رشيق، شعره أسود ناعم، له لحية خفيفة، يعتني بأناقته، يشع الذكاء من عينيه».

في العاشرة صباحًا، استقبل وائل في مكتبه بالشركة العميد محمود وبرفقته الرائد عصام بوجهٍ ثغلّفه ابتسامة باهتة، أخذ زمام المبادرة وقال:

- علمت بزيارتكما لزوجتي أمس، وللأسف لم أكن متواجدًا لأوفر عليكما عناء زيارة اليوم.

أوضح له محمود أن اللقاء به منفردًا بعيدًا عن زوجته كان حتميًا، فلم يكن هناك داعٍ لأسفه، فاستغرب وائل وسأله عن سبب ذلك، فردّ محمود:

- حتى لا أسبب حرجًا لك أو لزوجتك، وتستطيع الإجابة عن أسئلتي بصراحة.

بنفس نبرة الاستغراب علّق وائل: عذرًا! لا أفهم ما تقصده؟

نظر محمود إليه نظرة ثاقبة وبنبرة مستنكرة قال: هل من الطبيعي أن أسألك أمام زوجتك كيف تتزوج بامرأة كان صديقك المقرب يُحبها؟! بل وأوصى لها بثروته بعد أن فاتحها في أمر الزواج!

اعترض وائل بشدة عمّا قاله محمود، ونفى بشكلٍ قطعي أن يكون وجيه أحب ياسمين، أو فاتحها في أمر زواج! فدلّل محمود

على كلامه بشهادات أغلبية الشهود على هذا الأمر، فوصفها وائل بافتراءات يرفض قبولها.

بنبرة استغراب سأله محمود: وماذا عن شاكر المحامي الذي أفاد بنفس الشهادة؟ بل أقرّ أن وجيه ائتمنه على سرّ مفاتحته لياسمين بالزواج عشية عيد ميلاده، وفي صباح اليوم التالي كتب الوصية ووثّقها في الشهر العقاري.

ردّ وائل بانفعال: شاكر كاذب، ولو كان محاميًا أمينًا ما اعترف لك بسرّ ائتمنه موكله عليه كما يدّعي! ولعِلمك فقد طردته من الشركة لأنني كنت أعلم بشخصيته الوضيعة، وطالما حذّرت وجيه منه، لكنه للأسف لم يستمع لي.

محمود: وما رأيك أن يسري وفايز أفادا أيضًا أن وجيه كان يحب ياسمين؟

وائل: أي شخص سيعلم أن وجيه كتب وصية بثروته لياسمين سيتوقع هذا، لكن أتحدى أحدًا منهم أن يأتيك بدليلٍ واحد على صدق كلامه.

محمود: إذًا أعطني أنت تفسيرًا مقبولًا لتصرف وجيه مع ياسمين!

أشعل وائل سيجارة، نفث دخانها مصحوبًا بغضب، ثم قال: ما سأرويه الآن هو سرٌ لا تعلم ياسمين عنه شيئا، وأرجو منكما أن تُبقيا عليه سرًا.

طمأنه محمود فحكى يقول:

«ياسمين هي الابنة الصغرى بين ثلاثة أبناء للمحاسب «عبد القادر

الشهاوي»، الذي كان يعمل مدير حسابات بشركة والد وجيه، فـي أحد الأيام اتهم والد وجيه عبد القادر باختلاس مبلغ كبير من مال الشركة، تم سجنه، ومات بعد ثلاثة أشهر داخل السجن.

اكتشف والد وجيه براءة عبد القادر بعد وفاته فندم ندمًا شديدًا، حاول أن يُكفِّر عن ذنبه فتكفَّل برعاية أسرة عبد القادر، بل وأثبت براءة عبد القادر حتى يعيد إليه شرفه وهو فـي قبره، وتبقى ذريته مرفوعة الرأس.

تعرَّض والد وجيه لأزمة مالية طاحنة أودت بثروته وحياته، ساءت أحوال وجيه ووالدته وانقطع الدعم المالي الذي كان يذهب لأسرة ياسمين، لم تخبر والدة ياسمين أيًا من أبنائها الصغار عن قصة أبيهم، وأفهمتهم أنه فـي سفرية للخارج حتى مات.

مرت السنون، وجاءت ياسمين لإجراء مقابلة صحفية مع وجيه دون أن تعرفه أو تعرف والده، ولكن وجيه اكتشف حقيقتها من اسمها وسؤاله عن عمل والدها، شعر بتأنيب ضمير كبير لأنه نسيها هي وأسرتها بسبب الظروف المادية الطاحنة التي ألمَّت به عقب وفاة والده، وعندما اكتشف أنها لا تعلم عنه أو عن والده شيئا، استنتج أن أمها لم تخبرها بما حدث مع أبيها، فلم يكشف لها أي أمر بخصوص الماضي خاصةً بعد أن عرف منها أن أمها تُوفيت من سنوات.

حكى لي طالبًا مشورتي فـي كيفية تعويض ياسمين وشقيقيها عن السنوات الماضية، فقد تملَّكه يقينٌ أن ظلم والده لوالد ياسمين هو السبب فيما حلَّ عليه من خراب.

لم أستطِع مساعدة وجيه في إعطائه مشورة في هذا الأمر، فقد أخبرني أن ياسمين تتحلى بالكبرياء وعزة النفس إلى جانب شخصية قوية، فكان من المستحيل قبولها أي معونة مالية، فاقترحت عليه إمهال نفسه بعض الوقت للتفكير في إيجاد الحل الأمثل.

فوجئت بعد وفاته بأمر الوصية، فأدركت لحظتها أن هذا هو الحل الذي توصل إليه وجيه للتكفير عن سيئات والده».

خيّم الصمت المصحوب بذهول على محمود وعصام، بعد لحظات قطع محمود الصمت قائلًا: وما سبب زواجك بياسمين؟

وائل: التقيت ياسمين مرة واحدة عند وجيه في هذا المكتب، يومها شعرتُ نحوها بمشاعر جميلة وكأن لديها قوة خفية تجذبني إليها، بعد موت وجيه، حضرَتْ لتقدّم لي واجب العزاء، فإذا بنفس المشاعر تنبض بداخلي مرة أخرى فبدأتُ في التودد إليها، ومن حظي أنها كانت تبادلني نفس المشاعر وتزوجنا، ولعِلمك أمر وصية وجيه لم نعلم به إلّا بعد زواجنا.

شرب محمود بعض الماء ليساعده على ابتلاع تلك المفاجآت المتتالية، ثم سأله لماذا لم يحضر الحفل، فأفاد:

- تشاجرت مع وجيه يوم الحفل بسبب أمر في العمل، وهددته يومها بالاستقالة، وكنت غاضبًا فلم أحضر الحفل.

نظر محمود إليه محدّقًا وسأله: هل تعرف ثريا أبو الفضل؟

فكّر وائل قليلًا، ثم أجاب: أظن التقيتها ذات مرة في مكتب وجيه.

سأله محمود إن كانت لوجيه علاقات نسائية، فردّ بالإيجاب، موضحًا أنها كانت على فترات متباعدة، والغرض الوحيد منها التسلية لا أكثر.

محمود: كيف علمت بخبر موت وجيه؟

وائل: اتصل بي خليل فـي الصباح وأخبرني أن إسماعيل قتل وجيه، فـي البداية لم أُصدّق بسبب ثقة وجيه المفرطة فيه وطول خدمته معه، ولكن ما جرى من أحداث وهروب إسماعيل جعلني أصدق.

محمود: علمت أن أحد الأشخاص يحاول ابتزازك، هل تشكّ فـي أحد؟

وائل: لا.

محمود: وما تفسيرك لهذا الأمر؟

بهدوء ردّ وائل: كما قلت لك سابقًا، أي شخص سيعلم بوصية وجيه لياسمين وزواجي بها سيأتي فـي مخيلته أننا دبّرنا أمر قتله لننعم بالميراث، فظن هذا الشخص أنني سأخاف وأهرع له بالمال الذي يطلبه.

بنبرة خبيثة علّق محمود: ولكنه قال لك: «دليل براءة إسماعيل عندي»، مما يعني أن إسماعيل بريء وقاتل وجيه ما زال حُرًا طليقا!

بنبرة استخفاف ردّ وائل: أتمنى أن يظهر هذا الشخص ليُبرئ إسماعيل إن كان صادقًا، وعمومًا بمجرّد تأكُّد هذا الشخص من عدم رضوخي لابتزازه، ستتضح حقيقة إذا ما كان لديه بالفعل دليل براءة

إسماعيل، أم أنه كاذب.

أومأ محمود رأسه بالموافقة، ثم سأله عن رأيه فـي خليل، فوصفه برجُلٍ يعبد المال، فسأله محمود إن كان راوده الشكّ فـي أن يكون هو مَن يبتزه، فأجاب:

- فـي البداية شككت فيه، لكن لا أظنه يمتلك شجاعة اشتراكه فـي عمل إجرامي.

محمود: عمومًا لقد وضعنا هاتفك تحت المراقبة، وعندما يتصل بك مرةً أخرى عليك بمجاراته، وحاول أن تطلب منه تخفيض المبلغ المطلوب.

باندهاش علّق وائل: لكنني رتّبت لإغلاق الهاتف فـي وجهه بعد أن أنصحه بالتوجه للشرطة وتقديم ما لديه من أدلة؛ حتى ينساني تماما.

محمود: لو فعلت هذا سنفقد هذا الرجل للأبد ولن نعرفه، ولكن خطتي ستمكننا من القبض عليه، لينال ما يستحقه.

لم يعترض وائل، وقبل أن يغادر محمود، سأله بنبرة استغراب: علمت أن والدك كانت له تجارة رابحة، فلماذا لم تعمل معه وعملت مع وجيه؟

بدا الحرج على وجه وائل، وأجاب بنبرة تحمل بعض الخجل: أعلم أن المنطق كان يُحتّم عملي مع والدي فـي ملكي، ولا أعمل كموظف أيًا كان موقعي فـي شركة رجُل أعمال آخر، ولكن فـي الحقيقة كنت على خلاف دائم مع والدي بسبب أسلوبه التقليدي فـي التجارة

وعدم طموحه، فيكفيك تعرف أن كلّ مَن بدأ معه المشوار سبقه بمراحل، وكان يبرر وجهة نظره بعدم رغبته فـي دخول سباقات محمومة تجعله يعيش فـي ضغوط عصبية ونفسية مستمرة، وكان قانعًا بما حققه.

كانت تربطني علاقة طيبة بوجيه لأن والده كان على علاقة طيبة بوالدي، فذهبت إليه، رحب بشدة وللحق كان يتعامل معي كشريكٍ له وليس كموظف عنده، وبعد وفاة والدي، حصلتُ على ميراثي فوضعته كأسهم فـي شركة وجيه؛ حتى أشعر أنني أعمل فـي ملكي بصورة حقيقية.

***

غادر محمود شركة وائل وعقله يكاد ينفجر، ركب سيارة عصام، طلب منه التوجه إلى أي مكان على النيل، لم يستغرب عصام الطلب فقد سمع الكثير من زملائه الذين عملوا مع محمود عن شخصيته الغريبة وطريقته المتفردة فـي التحقيقات.

كانت الحرارة شديدة، فاختارا أحد الأماكن المغلقة المطلة على النيل، جلسا على طاولةٍ منعزلة تطلُّ على النيل مباشرة، ظلّ الصمت رفيقًا لهما حتى أحضر النادل قهوة محمود وعصير عصام، ارتشف محمود من قهوته رشفة، ثم بدأ يتحدّث قائلًا:

- خيوط هذه القضية تتشابك وتتعقد بشكلٍ غريب!

علّق عصام قائلًا: أمس يا أفندم حكى لنا شاكر المحامي عن علاقات وجيه النسائية المشبوهة، واليوم أكد وائل هذه المعلومة،

وسابقًا ذكرها إسماعيل، فلماذا لا تكون قاتلة وجيه واحدة من بين هؤلاء السيدات؟

محمود: لو أن مَن قتل وجيه امرأة من اللاتي عرفهن للتسلية، كانت الجريمة ستأتي دون تخطيط، ولكننا أمام جريمة تم الترتيب والتخطيط لها بدايةً من تعطيل كاميرات المراقبة، ثم اتصال مجهول بالنجدة يبلغ عن جريمة قتل، بعده اتصال مجهول بإسماعيل يدفعه للهرب حتى تلتصق به التهمة، وأخيرًا اتصال مجهول بوائل ليبتزه، وكل ما سبق ينفي تمامًا أن تكون امرأة عرفها وجيه في صورة علاقة عابرة هي مَن قامت بهذه الأفعال.

هزّ عصام رأسه بالموافقة وقال: هناك أمرٌ يحيرني بشدة! فمن البديهي استنتاج أن الشخص الذي اتصل بإسماعيل ليدفعه للهرب كان غرضه إلصاق التهمة به، ولكن لماذا اتصل به وطلب منه العودة مرةً أخرى؟!

ردّ محمود بهدوء: إسماعيل ذكر أن القبض عليه تم بعد أقل من ساعة من عودته إلى منزله، فهل تذكر كيف قبضتم عليه؟

تذكّر عصام، فبدت على وجهه الدهشة، وأجاب: جاءتنا مكالمة من مجهول تخبرنا بمكان تواجده، ذهبتُ على رأس قوة وألقينا القبض عليه.

ابتسم محمود وقال: وهذا فيه الإجابة عن سؤالك! فمَن اتصل بإسماعيل ودفعه للهرب حتى تلتصق التهمة به، اتصل به ليعود؛ لأنه أراد في هذا التوقيت القبض عليه.

بدت على وجه عصام الحيرة، وقال: لكن لو سلّمنا بصدق أقوال إسماعيل بشأن الاتصال الذي تلقاه، فهذا يعني أن المتصل إمّا أن يكون الجاني، أو على أقل تقدير شريكًا للجاني، وأراد إلصاق التهمة بإسماعيل، والسؤال الآن:

- «ألم يكن من المنطق ألّا يطلب من إسماعيل العودة؟! فهروبه سيُبقي التهمة ملتصقة به ولن يتم فتح ملف القضية مرةً أخرى! وحتى لو قبضنا عليه في أي وقت فلن يستطيع تبرئة نفسه!»

محمود: سؤالٌ رائع ومنطقي، وإجابته تأتي في احتمالٍ من اثنين:

الاحتمال الأول: أن يكون إسماعيل كاذبًا، وهروبه في البداية وعودته لغرضٍ في نفسه، وله شريك كان يعلم بعودته، وخانه وسلّمه إليكم.

لكن هذا الاحتمال أراه مستبعدًا؛ لأن شريك إسماعيل من المستحيل أن يخونه وإلّا سيعترف عليه إسماعيل عندما يجد نفسه قريبًا من حبل المشنقة.

الاحتمال الثاني: أن يكون إسماعيل صادقًا، ومَن اتصل به، أراد عودته والقبض عليه؛ ليستطيع الضغط على الجاني وابتزازه، لامتلاكه دليل براءة إسماعيل.

وهنا يكون مَن اتصل بإسماعيل شريكًا للجاني، وربما اتفق معه على مبلغ من المال، ثم غدر به، فأراد أن يوصل إليه رسالة مفادها أن القضية لم تُغلق بعد، حتى يحصل على ما اتفق معه عليه.

عصام: معنى ما سبق أنك تميل يا أفندم لتصديق إسماعيل.

سرح محمود بعينيه وقال: للأسف الشديد جميع مَن حققنا معهم كانوا كاذبين!

ولنبدأ بياسمين: سألتها بحُسن نية عن مكان حجرة وجيه في الفيلّا، فاستنكرت السؤال وأنكرت معرفتها بها، وهذا مستحيل! فبدايةً الغرفة ملحق بها حمّام مِمّا يشير أنها الغرفة الرئيسية في الطابق، أضف إلى ذلك أن ياسمين استلمت الفيلّا بمحتوياتها، ولا بدّ أن تكون عرفت غرفة وجيه من مقتنياته، ولكنها أرادت أن تنفي عن نفسها ذهابها إلى الفيلّا في حياة وجيه، أو إلى غرفة نومه، فأجابت بالنفي، في حين أنها لو كانت حسنة النية، كانت ستشير لها بكل هدوء، من هنا فكل ما حكته عن علاقتها بوجيه يحتمل الصدق والكذب.

وإسماعيل: عندما سألته عن حالة وجيه النفسية في الحفل ذكر أنه كان طبيعيًا، بل وصفه أنه كان أكثر مرحًا وسعادة، في حين أن الحضور أجمعوا أن وجيه كان يتظاهر بالسعادة، ومن المفترض أن إسماعيل هو أكثرهم معرفة بوجيه! أضف إلى ذلك أن يسري حكى أن وجيه عنّف إسماعيل بشدة عندما أسقط أحد الأكواب، بينما ذكر إسماعيل أن وجيه لم ينهره طوال خدمته معه، وكان يعامله كصديق وليس كخادم.

وخليل: ذكر أن وجيه فضحته عيناه بعشقه لياسمين، لكنه لم يكتشف مشاعر ياسمين نحو وجيه مُبررًا أنه يتجنب إمعان النظر لوجوه زائرات وجيه! فهل معرفته مشاعر ياسمين نحو وجيه تستلزم إمعان النظر في عينيها؟! وهل بعد اكتشافه عشق وجيه

لياسمين لن يأخذه فضوله لمعرفة مشاعر ياسمين نحوه؟! وعندما سألته إن كان لوجيه علاقات نسائية، أجاب بخبثٍ إجابة تنفي عِلمه بهذا الأمر، لكنه لم ينفِ عنه هذه التهمة مثلما فعل البعض.

أمّا ثريا: فهناك ثلاثة أسئلة بشأنها لم أجد إجاباتهم للآن، السؤال الأول: ذكرت ثريا أنها التقت شاكر لأول مرة في الحفلة، وشاكر أكّد هذه المعلومة، ثم أفادت أنها عرفت بمقتل وجيه من شاكر، فلماذا اتصل بها واهتم بإخبارها؟ والسؤال الثاني: لماذا كانت الوحيدة التي أكدت براءة إسماعيل؟ والسؤال الثالث والأهم: لماذا اختصت وجيه وائتمنته وحده على سرّ زواجها من والد وائل؟

ويسري: ذكر أنه كان صديقًا لوجيه ويأتمنه على بعض أسراره، لكنه نفى بشدة أن تكون لوجيه أي علاقات نسائية، عكس ما ذكره الآخرون.

وعن فايز: أنكر وجود أي حقد داخله نحو وجيه بعد أن سلبه توكيل قطع غيار، وهذا أمرٌ مستحيل، فأي إنسان في مكانه كان سيمتلئ بالحقد على مَن أنزله من عرش تجارته.

ولنأتي لشاكر: كل ما ذكره يندرج تحت بند الصدق والكذب! فلا يوجد دليل على ما قاله وجيه له بشأن ياسمين، بل إن وائل حكى ما يُكذّب كل ما قاله شاكر بشأن علاقة وجيه بياسمين.

وأخيرًا وائل: هل كان صادقًا بعدم عِلمه بأمر الوصية قبل موت وجيه كما ادّعى، أم كان كاذبًا؟!

تنهد محمود تنهيدةً طويلة، وقال:

«ما أصعب أن تحقق مع أُناسٍ.. يستشهدون فـي أقوالهم.. بميت!»

***

قبل أن يترك محمود عصام ويتجه لمكتبه، طلب منه تحرياتٍ كاملة عن قصة والد ياسمين التي حكاها وائل، واستعجال معرفة صاحب رقم التليفون الذي اتصل بوجيه أثناء الحفلة.

أغلق محمود على نفسه المكتب، فتح مفكرته الصغيرة التي يدّون فيها ملاحظاته وكتب بعض الأسئلة:

١- لماذا كتب وجيه الوصية باسم ياسمين، ولم يتضمن فيها اسمَي شقيقيها إذا كان يريد تعويض الأسرة كما ادّعى وائل؟

٢- لو كان وائل يعلم بأمر الوصية قبل زواجه بياسمين، فمَن أخبره؟

٣- لماذا أصرّ وجيه على ألّا يبيت إسماعيل فـي الفيلّا بعد انتهاء الحفلة؟

٤- لماذا دعا وجيه للحفل عددًا محدودًا على عكس حفلاته الأخرى؟

٥- إذا لم يكن خليل هو مَن اتصل بإسماعيل ليدفعه للهرب، فمَن الذي اتصل؟

ترك محمود القلم، أسند رأسه على مِسند مقعده، أغمض عينيه برهة، انتبه بعدها على سؤالٍ قفز فجأة إلى عقله، فاتصل على الفور بسمير وكيل النيابة، وبعد مقدمة من كلمات التقدير والود، سأله محمود أين وُجدت وصية وجيه، فأجابه سمير:

-كان يحتفظ بها بخزينة مكتبه بالشركة، ووُجدت ضمن بعض

الأوراق والنقود وتم تحريزها.

محمود: هل استعلمتم من شاكر المحامي عنها؟

سمير: لا، تأكدنا من الشهر العقاري من صحتها، فأبلغنا ياسمين بها بعد مرور شهر من مقتل وجيه.

***

-١٤-

في المساء، عاد وائل إلى فيلّته، استقبلته ياسمين بوجهٍ قلق، وبعصبية سألته عن سبب إغلاقه الهاتف في وجهها قبل أن تبدأ كلامها معه، فردّ بعصبية:

- الهاتف مراقب من الشرطة، فقد أبلغني العميد محمود بذلك اليوم.

اتسعت عيناها وسألته عن السبب، فأجابها:

- حتى تتمكن الشرطة من الوصول للشخص المُبتز عندما يتصل بي.

فسألته بلهفة عمّا فعله مع محمود، فردّ بنبرة تحمل بعض القلق:

- أخبرته ما اتفقت عليه معكِ، وأظن أنني نجحت في إقناعه.

بانفعال علقت: إذن ما سبب القلق البادِ على وجهك؟

وائل: لا أعلم، ربما نظرات محمود لم تُرِحني.

بنفس الانفعال ردّت ياسمين: محمود سيقوم بتحرياته ليتأكد من صحة ما قلته له، وسيتأكد من صدق كلامك، نحن نسبق الشرطة بخطوة ونعرف فيما يفكرون ونرتب له، فلا يوجد داعٍ للقلق.

وائل: وماذا عن خليل؟

بغلٍّ أجابت ياسمين: سينال ما يستحقه.

***

عند الثامنة مساءً، اتصل عصام بمحمود، أبلغه بحماس دون أي مقدمات أنّ «ياسمين الشهاوي» هي مَن اتصلت بوجيه أثناء الحفل، طلب منه محمود إرسال بيان شركة الاتصالات، أرسله له على الفور، دوّن محمود في مفكرته: تم الاتصال في التاسعة وعشرين دقيقة، واستمر خمس دقائق.

ترك محمود القلم، رنّ هاتفه مرة أخرى، كانت ناهد زوجته تطمئن عليه وكعادتها تعاتبه على عدم اتصاله بها منذ الصباح، بدأت تُلمّح له بأن هناك قضية جديدة تشغله عنها لكنه لا يريد إخبارها، فنفى لها بشدة، وحتى يقنعها أكّد لها أنه سيسافر إليهم يوم الخميس؛ ليقضي معهم عطلة نهاية الأسبوع، أغلق معها الهاتف، أعاد قراءة ما دوّنه من ملاحظات واستنتاجات ثم أغلق المفكرة، فكّر قليلًا، ثم اتصل بخليل، طلب منه الحضور فورًا إلى مكتبه.

***

عند العاشرة ليلًا، جلس خليل أمام محمود ترتعد فرائصه بسبب نبرة محمود التي حدّثه بها ليستدعيه، بنظرة حادة ونبرة أكثر حدّة خاطبه محمود قائلًا:

- استمع لي جيدًا يا خليل، أنت تعلم الكثير وتخفيه وتظن أن هذا في صالحك، ولكن أؤكد لك أن القاتل لا يرغب أبدًا في أن يُسلّط أحدٌ سيفًا على رقبته، ولا تنسَ أن مَن قتل مرة، من السهل عليه القتل مرات، فنصيحتي لك ألّا تترك غباءك يحركك فتظن أنك أذكى من الآخرين، ويعميك بريق المال الذي تظن أنك ستجنيه، والواقع أنك لن تحصل على جنيهٍ واحد، لكن ستخسر حياتك.

سرت رعدة شديدة فـي جسد خليل، شرب كوب ماء موضوعًا أمامه دفقة واحدة، وقال بصوتٍ يرتعش:

- أُقسم لك يا أفندم أنني أخبرتك بالحقيقة كاملة ولم أُخفِ عنك شيئا، حتى المشاجرة التي وقعت صباح يوم الحفل بين وجيه بك ووائل بك، أخبرتك عنها، عِلمًا بأن هذا قد يُعرّضني للطرد من الشركة لو عرف وائل بك أنني أخبرتك.

سأله محمود بتهكم: ألم يكن غريبًا أن ينتحل شخصٌ صوتك ويتصل بإسماعيل ليدفعه للهرب، وإسماعيل اعتاد سماع صوتك بصورة شبه يومية على مدى أربع سنوات؟!

ارتعشت يدا خليل وردّ: بالفعل أمرٌ غريب جدًا يا أفندم! لكن إسماعيل أمام وكيل النيابة لم يستطع الجزم بأنني مَن حدّثته.

بنفس نبرة التهكم سأله محمود: أخبرتني أنك رجُل خبرت الحياة واستنتجت عشق وجيه لياسمين من عينيه، فهل من المعقول ألّا ينتابك الفضول لتعرف بخبرتك إن كانت ياسمين تبادله نفس المشاعر أم لا؟!

بنفس نبرة الصوت المرتعشة ردّ: صدّقني يا أفندم كنت أتحاشى أيّ شيءٍ يتعلق بحياة وجيه بك الشخصية، فقد كان حسّاسًا جدًا لهذا الجانب، وهذا سر بقائي معه لمدة أربع سنوات.

سأله محمود كيف عرف أن ياسمين لم تكن مدعوة للحفلة، فأفاد أن وجيه كان يسلّمه قبل أي حفلة كشفًا بأسماء المدعوين ليتصل بهم ويدعوهم، ولم يكن اسمها موجودًا فـي كشف الأسماء المدعوة

لتلك الحفلة.

سأله محمود بخبث: هل كان وائل معتاد الذهاب إلى وجيه في مكتبه؟

باندفاع وثقة ردّ خليل: تقريبًا بصورة يومية، بل إنه في كثير من الأيام كان يذهب إليه أكثر من مرة في اليوم الواحد لمناقشة أمرٍ ما.

ضحك محمود وبتهكم علّق: إذن كيف تذكرت أن وائل لم يلتقِ ياسمين سوى مرة واحدة في مكتب وجيه، وعلى حدّ قولك إن ياسمين تعددت زياراتها لوجيه في مكتبه؟!

اصفرّ وجه خليل، وبصوتٍ متحشرج أجاب: ربما تكون ذاكرتي خانتني، والتقاها أكثر من مرة.

نظر محمود إليه نظرة اخترقت جسده، وخاطبه بلهجة تحذيرية:

- ليس لدي ما أسجنك بسببه، ولكن إن لم تأتِ لي سريعًا لتخبرني بما تعرفه، فثق أنني سأنتظر التحقيق في جريمة قتلك.

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«عندما يكون المال نقطة ضعف شخصٍ ما.. فلا تظن أنك تستطيع امتلاكه للأبد.. فهناك دائمًا مَن يمكنه أن يدفع له أكثر منك»

كنت أبحث عن سكرتير خاص لي فأعلنت عن وظيفة شاغرة لهذا المنصب، وبينما كنت أقوم بإجراء المقابلات للمتقدمين فوجئت بدخول شخص قصير، ممتلئ، أصلع الرأس، حليق الشارب، في منتصف الأربعينيات، تغيب عنه الأناقة بالرغم من ارتدائه الملابس الرسمية، فأناقة الرجل عندى تتمثل فى حذائه ورباط عنقه، وكان حذاؤه تعلوه بعض الأتربة، أمّا رابطة عنقه فلا تربطها أية علاقة قرابة أو حتى نسب بلون قميصه، عرّفني بنفسه قائلا «خليل الصفتي».

تركته يحدثني عن نفسه، فحكى باستفاضة عن نفسه وعن إمكاناته، واختصر بشدة فى الحديث عن تاريخه العملى ومهاراته فى عمل السكرتارية، سألته بعض الأسئلة التي تعكس مبادئه، فأدركت بعدها أنه الشخص المناسب الذي أبحث عنه، فسيده ورئيسه الأوحد هو الجنيه.

أثبتت الأيام صدق حدسي في خليل، استخدمته في أمور عديدة بخلاف عمله كسكرتير نجح في تنفيذها بامتياز، لم أئتمنه يومًا على أسراري فهو كلبٌ ذكي لكنه ليس بكلبٍ وفي.

***

-١٥-

(الإثنين - الثامن من يوليو)

لم يقرب النوم جفون خليل، بات ليلته مستيقظًا فـي شرفة منزله، فشلت كل محاولات زوجته فـي معرفة أسباب قلقه فلم ينَلها منه سوى صريخه فـي وجهها وإصراره على تركه بمفرده، بقيَ شاردًا تختلط الأفكار فـي عقله تكاد تفتك به.

بعد طفولة عذّبها الفقر، عاش خليل طوال حياته يُوقِّر المال ويعظمه، بل كان يراه سيده الذي يمنحه التحرر من عبودية الفقر والعوز.

بعد حصوله على شهادة أحد المعاهد المتوسطة، بدأ حياته العملية، أصبح المال هو هدفه المنشود فـي حياته، لم يرَه قطّ وسيلة، إنما كان له الغاية والهدف.

لم يُحب طوال حياته سوى المال، حتى زوجته وابنيه لم يعوضاه عن شعور الأمان والسعادة اللذين يستشعرهما وهو يضع ما كسبه من مالٍ أمام عينيه، ويَعدُه بين يديه، قبل أن يودعه فـي البنك.

كان كلام محمود يرن فـي أذنيه، فجأة.. رأى الملايين التي بات منها قريبًا، تتوقف عن الرقص أمام عينيه، وتتركه لتمضي بعيدًا، فاستيقظ من شروده مفزوعًا، همس فـي سِرِّه:

«كيف يظن محمود أن حياتي عندي أغلى من المال؟!»

أشرقت الشمس وهو جالس لم يبرح مكانه، استقر على قراره، بذّل

ملابسه، خرج متوجهًا إلى عمله دون أن يتناول أي طعام، استأذن من المدير الإداري للشركة بحجة مرض مفاجئ ألمّ بزوجته استدعي نقلها إلى المستشفى، أشارت عقارب ساعته إلى التاسعة، توجه إلى مقهى قرب مسكنه اعتاد الجلوس فيه، طلب إفطارًا وكوبًا من الشاي، بعد انتهائه من الطعام، ارتسمت ابتسامة ثعبانية على وجهه، همس فـي سِرِّه:

«الآن حان وقت الحصاد».

أخرج هاتف نقال ثم كتب رسالة على تطبيق الواتس اب أرسلها لأحد الأشخاص، جاء فيها:

«لو أردتَ الخطاب المكتوب بخط يد وجيه الذي يُثبت براءة إسماعيل ويُدينك، فعليك دفع خمسة ملايين جنيه، أو سأسلّمه للشرطة، موعدنا بعد غد الثامنة مساءً، سأنتظرك داخل بهو فندق مكسيم لمدة نصف ساعة فقط، إن لم تحضر فيمكنك استلام الخطاب من العميد محمود، وأذكّرك أنني دائمًا أمتلك المستندات الأصلية، وأنت تعرف عني ذلك».

بعد ذلك، اتصل بعدة أرقام، بعد أن أنهى اتصالاته، ابتسم ابتسامة النصر وهمس:

«ستنتظر التحقيق فـى قتلى طويلًا يا محمود!».

***

في الصباح، بمجرّد وصول محمود مكتبه، طلب من عصام استدعاء ياسمين فـي تمام الواحدة ظهرًا.

تجاوزت الساعة الواحدة بقليل ولم تحضر ياسمين، فبدا على محمود الغضب، أكد عصام تشديده لها على الموعد، عند الواحدة والنصف، دخلت ياسمين والشرر يتطاير من عينيها، جلست على مقعد أمام مكتب محمود، ألقت بحقيبة يدها فـي عصبية على طاولة أمامها تفصلها عن مقعد عصام، وبنبرة منفعلة خاطبت محمود:

- حقيقةً لا أفهم تصرفاتك معي! تأتي إلى الفيلّا وتطلب تفتيشها باعتبارها مسرحًا لجريمة وقعت منذ أكثر من شهرين! ثم تستدعيني اليوم دون أن أعرف سببًا لهذا الاستدعاء! فإن لم تُعطِني تفسيرًا مقبولًا لهذا الإزعاج المتواصل، سأُصعّد الأمر، فأنا أعرف حقوقي جيدًا.

طرق محمود مكتبه بيده طرقةً عنيفة، أوقعت الرعب فـي قلب ياسمين، وبنبرة ازدادت حدّتها تدريجيًا خاطبها:

- وأنا أعرف حقوقي جيدًا، ولا أقبل من مخلوق أن يهددني، ولتعلمي جيدًا أن إسماعيل لم يقتل وجيه، وقاتله حرٌّ طليق، وأنتِ أمامي أول المتهمين فـي قتله؛ لأن دافع قتله يتوفر لديكِ دون غيركِ، وأستطيع الآن احتجازكِ هنا بهذه التهمة وإحالتكِ إلى النيابة صاحبة الولاية فـي التصرف معكِ، ولن تقضي أقل من أسبوعين محبوسة على ذمة التحقيقات حتى تثبت براءتكِ فـي حال كنتِ بريئة! لكنني للأسف لم أعتد معاقبة الناس على غبائهم، ففي مقابلتي الأولى معكِ أعطيتِني درسًا فـي بديهيات التحقيق الجنائي، وأنتِ أجهل من أن تتكلمي عنه! والآن تعطيني درسًا فـي حقوقكِ، وأنتِ أيضًا أجهل من أن تتكلمي عنها! ولِعلمكِ هذه فرصتكِ الأخيرة

معي، فصبري على الأغبياء له حدود.

غطى الذهول وجه عصام فهو يعرف عن محمود الهدوء ولم يتصور أن يراه بهذا الوجه، أمّا ياسمين فبدت كتمثالٍ من الشمع، انصهر في لحظة أمام النار، انكمشت في مقعدها وبدأت دموعها تتساقط، وبصوتٍ مرتعش قالت:

- إن كنت تتهمني بقتل وجيه بسبب الانتفاع بوصيته، فأنا على استعداد للتنازل عن ثروته، حتى تُصدّق أنني لم أقتله.

بنبرة حادة ردّ محمود: تنازلكِ عن الثروة لا يُبرئكِ من تهمة قتله، ولكن إن أردتِ إثبات براءتكِ، فعليكِ الإجابة عن أسئلتي بكل صراحة.

جففت دموعها بمنديل، وأجابت بصوتٍ أكثر ثباتًا: أُقسم لك سأقول الحقيقة كاملة.

محمود: هل كنتِ مدعوة لحفلة وجيه؟

ياسمين: نعم، اتصل بي وجيه قبل الحفلة بيومين ودعاني، ولكن لم أكن أرغب في الذهاب، فأنا لا أعرف أحدًا من المدعوين، فاتصلت به وقت الحفلة، واعتذرت له معللةً بحدوث ظرف طارئ منعني من الذهاب.

سألها محمود عن كيفية استقبال وجيه لاعتذارها عن حضور الحفل، فأفادت أنه أبدى أسفه على عدم حضورها بمنتهى الذوق، ومرّ الأمر عاديًا جدًا.

بنبرة تَعجُب سألها محمود: ألم تلحظي في أي لقاء مع وجيه أنه

معجبٌ بكِ؟

ياسمين: لو كنت تقصد إعجاب رجُل بامرأة فهذا لم يحدث قطّ، لكنه كان معجبًا بي كصحفية نشيطة مجتهدة، وكان يُبشّرني بمستقبل زاهر ينتظرني.

سألها محمود إن كانت تذهب الآن إلى الشركة بانتظام، فنفت وأوضحت أنها ذهبت مرات معدودة مبررةً بعدم خبرتها في إدارة الشركات، وأن زوجها هو مَن يديرها.

نظر إليها محمود مُحدّقًا وسألها: ما رأيكِ في خليل السكرتير؟

ياسمين: نصحت وائل بطرده، فنظراته لي أيام كنت أزور وجيه في مكتبه، لم تكن مريحة بالمرة، فهو شخص يفتقر للأدب، ولكن هذه النظرات تلاشت معي تمامًا منذ أصبحت مالكة للشركة، وعندما يلتقيني لا يرفع عينيه من الأرض.

أذن محمود لها بالانصراف، بعد أن خطت خطوتين نحو الباب، التفتت إليه وسألته:

- هل ما قلتَه لي حقيقي بشأن تبرئة إسماعيل من قتل وجيه؟

نظر إليها محمود طويلًا ولم يردْ، واكتفى بالإشارة لها بيده بالانصراف.

***

ابتسم عصام فور خروج ياسمين، وعلّق ضاحكًا:

- لم أتصور يا أفندم أن لك وجهًا آخر مثلما رأيت في حديثك مع

ياسمين!

ابتسم محمود وردّ: أهم عنصر تستفيد منه أثناء تحقيقك مع أي شخص هو المفاجأة، وليكن فـي عِلمك أن ياسمين اهتزت بسبب المفاجأة، وليس بسبب انفعالي، فهي أعدّت نفسها جيدًا للقائي، ورتبت تصرفاتها معي على فهمها هي وزوجها لشخصيتي الهادئة.

ضحك عصام قائلًا: كلّما تذكرت صورتها وهي تتحدث فـي البداية، وصورتها بعد ردّ سيادتك عليها، لا أستطيع تمالك نفسي من الضحك! لكن لماذا أخبرتها يا أفندم أن إسماعيل ليس قاتل وجيه؟ هل تأكدت من ذلك بالفعل، أم هي خدعة؟

محمود: حتى الآن لم أتأكد، لكنني أخبرت ياسمين بهذا الأمر؛ لألقي حجرًا فـي ماءٍ راكد، ففتح التحقيق مع الشهود لم يفتح أيّ باب للدخول منه، وبقيت كل الأبواب موصدة، وبالأمس استدعيت خليل، وتحدثت معه، وكان أول حجر ألقيه، واليوم أردت إلقاء حجرٍ ثانٍ حتى تزداد حركة الماء، وأتوقع أن الأبواب الموصدة ستفتح قريبًا.

عصام: هل ترى يا أفندم أن ياسمين كانت صادقة عندما عرضت التنازل عن ثروة وجيه لتبرهن على براءتها؟

محمود: هذه المرأة ذكية، لكن يعيبها عدم احترامها لذكاء الآخرين، فهى تتصور أنها تقرأ أفكارك، وتعطيك الإجابات التى تصبُّ فى صالحها.

عصام: لاحظتُ أن خبر تبرئة إسماعيل أربك ياسمين بشدة، فهل يشير هذا إلى أنها القاتلة أو شريكة فـي قتله؟

محمود: تبرئة إسماعيل ستهدم خُطة تم إعدادها بإحكام وذكاء، وواحدٌ مِمّن حققنا معهم ومن بينهم ياسمين، لعب دورًا فـي هذه الخطة، لذلك أنا على يقين أن الأيام القادمة ستكشف مفاجآت عديدة.

قبل مغادرة عصام، أخبر محمود أن التحريات أثبتت صدق أقوال وائل فـي كل ما حكاه عن والد ياسمين، وأن زملاءه يقومون بإعداد تقرير كامل، وسيرسله له اليوم.

***

اقتربت الساعة من الخامسة مساءً عندما دخل وائل فيلّته، رأى ياسمين تجلس فـي أحد الصالونات والغضب يعلو وجهها، وفي يدها سيجارة، فبادرها قائلًا:

- لم أرَكِ تدخنين من قبل، ماذا حدث؟!

ردّت بانفعال: استدعاني محمود اليوم، وأخبرني أن إسماعيل بريء من قتل وجيه، ولمّح لي أنني المتهمة الأولى فـي قتله بدافع الوصية.

جلس وائل على أحد المقاعد وردّ باستغراب:

- وما الجديد فـي ذلك؟! لقد توقعنا هذا السيناريو منذ علمنا بالقبض على إسماعيل، فلماذا التوتر والقلق الآن؟!

ياسمين: لم أكن أتصور أن محمود بهذا الدهاء والمكر، وهذا ما يقلقني.

بصوتٍ شارد ردَّ وائل: أنتِ مخطئة، القلق ليس من محمود، بل من شخصٍ آخر!

بفزع سألته ياسمين: مَن هو؟

***

أوشكت الشمس على المغيب بينما كان يسري يجلس داخل مكتبه، منذ اتصال خليل به صباحًا وعقله لم يتوقف عن التفكير، ظل سؤالٌ يحيره:

«هل قصد خليل بالفعل ما طلبه منه؟! أم كان يريد مفاتحته في أمر الخطاب، وأراد فقط أن يتلاعب به قليلًا؟!»

كان يعرف خليل حق المعرفة، فهو طمّاعٌ وذكي، ومن المؤكد معرفته بأهمية هذا الخطاب، ولكن كم سيطلب منه ثمنًا له؟ ومتى؟

كان السؤال المُلحّ عليه: هل يفاتح هو خليل ليحصل منه على الخطاب، أم ينتظر؟

فجأة رنَّ تليفونه، كان فايز المتصل، دار بينهما الحوار التالي:

يسري: أهلًا، خيرًا! ماذا حدث؟

فايز: اتصل بي خليل صباح اليوم وكنت مشغولًا فلم أردّ عليه، فهل تعلم سبب اتصاله؟

امتقع وجه يسري وردّ: لا.

سأله فايز إن كان خليل اتصل به، فأنكر وردَّ بالنفي.

بمجرّد أن أنهى يسري الاتصال، راوده الشك أن يكون خليل أعطى فايز الخطاب، وفايز يتلاعب به، فاتسعت عيناه، وكسا وجهه غضبٌ هائل، أمسك هاتفه، أرسل رسالة لخليل فاتحه بصورة مباشرة في أمر الخطاب، تأكد منه أنه بحوذته، فاتفق معه على لقائه بشأنه.

التقط أنفاسه اللاهثة، همس بصوتٍ مسموع:

«أتمنى يا خليل ألّا يقتلك طمعك»

• • •

عند الثامنة مساءً، استلم محمود على الفاكس الخاص به التقرير الخاص بوالد ياسمين، عكف على قراءته، تطابقت حكاية وائل مع ما جاء في التقرير، أضاف التقرير أن لياسمين شقيقين يعمل أحدهما في دولة خليجية منذ سنوات، والآخر هاجر إلى كندا، ترك محمود التقرير، وهمس في سِرّه:

«هل عدم وجود شقيقَي ياسمين في مصر هو سبب كتابة وجيه الوصية لياسمين وحدها؟»

أمسك مفكرته وأعاد قراءة ما دوّنه فيها من أسئلة، فشل في العثور على إجابة مقنعة لأي سؤالٍ فيها، شعر بالغضب، فجأة.. تذكر ما قالته ياسمين عن نظرات خليل لها أيام كانت تزور وجيه في مكتبه، فدوّن في مفكرته السؤال التالي:

«خليل يدّعي أنه كان يتحاشى النظر لأي امرأة تزور وجيه في مكتبه، بينما ياسمين تدّعي أنه يفتقر للأدب بسبب نظراته لها، فمَن منهما الصّادِق؟»

عند العاشرة، لملم محمود أوراقه، غادر المكتب عائدًا إلى منزله بعد أن اتصل بناهد زوجته واطمئن عليها وعلى ابنيه.

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«هل سألتَ نفسك يومًا.. لماذا يصف البشر بعضهم البعض.. بالحيوانات والزواحف (فالماكر ثعلب، والشجاع أسد، والناعم الفتّاك ثعبان، والغبي حمار)؟»

لن أجيبك.. فأنا واثق أنك تعرف الإجابة.. ولكنك تستحي أن تعترف!

«يسري الشربيني»، وسيم، ذكي، زير نساء، وصولي، والده كان يمتلك متجرًا لبيع الأدوات الصحية في حي شبرا، استطاع يسري استغلال إمكاناته الشكلية والشخصية في الزواج بابنة مسؤول رفيع في البلد، أصبح بعدها في فترة وجيزة واحدًا من أكبر تجار السيراميك والأدوات الصحية.

ذات يوم، اكتشفت زوجته خيانته لها، فأجبره والدها على طلاقها، وكما أعطاه مفتاح سلّم المجد الكهربائي ليصعد بسرعة هائلة، استطاع بنفوذه أن يسحبه منه ليعود به إلى سلّم الكفاح الخشبي المتهالك، وبعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من دخول البرلمان، أصبح حُلمه ألّا يدخل السجن، فقد استغل علاقته بحماه، فمارس العديد من الأعمال المشبوهة ولم يكُن يعلم أن حماه يحتفظ له بملف أسود، ليستخدمه ضده وقت الحاجة، فقد عرفه من أول نظرة، فالثعابين تعرف بعضها جيدًا.

تعرّفتُ إليه صدفة في أحد الملاهي التي اعتاد السهر فيها، تشاركنا في بعض الهوايات كالصيد ورحلات السفاري مِمّا وطد

علاقتي به سريعًا، استطعت استغلاله جيدًا وهو فـي وقت سطوته ونفوذه، وبالطبع كان يحصل على المقابل مُقدمًا فهو يتميز بخِسة تفوق وسامته وأناقته، وعندما هوى لم يجد مني سوى كلمات طيبة بلا أفعال، لكن شيئًا ما بداخلي جعلني أُحافظ على علاقتي معه، ولم ألفظه كما فعل معه الكثيرون.

***

-١٦-

(الثلاثاء - التاسع من يوليو)

عند السادسة صباحًا، استيقظ محمود على رنين تليفونه، ظهر اسم عصام على شاشته، ردّ على الفور: خيرًا يا عصام!

عصام: خليل قُتِل!

بعد أقل من ساعة، كان محمود يجلس داخل مكتب عصام بقسم شرطة التجمع الأول يستمع إليه في إنصات شديد وهو يحكي:

«عند الواحدة والنصف صباحًا، رأى ضابط إحدى الدوريات الأمنية سيارة صغيرة تقف في مكان منعزل بإحدى المناطق المتطرفة شديدة الظلمة على أطراف منطقة التجمع الأول، رأى قائدها مائلًا للأمام ورأسه على عجلة القيادة، نزل من سيارته ليتفقد الوضع، فوجد الرجُل ميتًا، ويقبض بين يديه على رزمة نقود بمبلغ خمسين ألف جنيه، وبفحصه تبيّن وجود فتحة دخول طلق ناري بالجانب الأيمن من الرأس، بتفتيشه عُثِرَ على حافظته وبداخلها الرقم القومي ورخصتَي السيارة والقيادة، كشفت الأوراق أنه «خليل الصفتي»، وأنه مالك السيارة.

فور تلقينا البلاغ، انتقلت أنا وزملائي، أثبت الكشف الطبي الظاهري أن الوفاة لم يمضِ عليها ساعتان (تم الكشف في الثالثة صباحا)، أي أنها حدثت بين الساعة الواحدة، والساعة الواحدة والنصف وقت اكتشاف الجثة، وأن الوفاة نتيجة طلق ناري أُطلق من مسافة قريبة جدًا، وأغلب الظن أن القاتل كان يجلس على المقعد المجاور للقتيل،

ولم يتم العثور على أداة الجريمة، أو على هاتف القتيل النقّال».

دفن محمود رأسه بين كفيه ينظر إلى المكتب دون أن يُعقّب بكلمة على ما قاله عصام، ماجت الأفكار فـي رأسه، كان على يقين أن خليل يعلم الكثير وحذّره بوضوح متصورًا أن خوفه على حياته سيتغلب على حُبه للمال، ولم يتصور أن غباء خليل سيُصوّر له أنه أذكى من الجميع.

رفع محمود رأسه فجأة.. وبصوتٍ غاضب طلب إحضار إسماعيل من الحجز.

***

في دقائق قليلة كان إسماعيل يقف مرتعشًا أمام محمود بسبب نظرة محمود الثاقبة له، فلم يرَ منه الوجه البشوش كما رآه فـي اللقاء السابق، بل إن محمود لم يسمح له بالجلوس كما فعل معه سابقًا، بنبرة حادة خاطبه محمود قائلًا:

«خليل قُتِل».

اهتز إسماعيل بشدة، ولم تقوَ ساقاه على حمله فسقط على مقعد أمامه، ظلّ يحملق فـي محمود دون أن يتحرك له ساكن، زادت نبرة محمود حدّة وقال:

-ليس لدي وقت لأُضيعه معك، لقد حذّرت خليل قبل مقتله بيومٍ واحد لكنه لم ينصت لي، وعليك أن تعلم أنّ إثبات براءتك كان طريقها الوحيد أمامي هو خليل، وبموته لم يعُد هناك أملٌ لك، والنيابة الآن ستحيلك لمحكمة الجنايات بتهمة القتل العمد وكل

القرائن ضدك، وأنا الآن أحذّرك لأخر مرة، إمّا أن تذكر لي الحقيقة كاملة فقد أجد ما أستطيع أن أثبت به براءتك، أو فلتنتظر حبل المشنقة.

ازدرد إسماعيل ريقه، تكلم بصوتٍ يخرج منه بالكاد قائلًا:

- سأعترف لسيادتك بالحقيقة كاملة، ولكن أُقسم لك ما جعلني أُخفيها أنني أعلم أن كل ما سأقوله الآن يُقرّبني من حبل المشنقة، لكن كما قلتَ سيادتك فأنا الآن مُعلقٌ فيه، فلن يضرني شيءٌ أقوله.

شرب بعض الماء وحكى يقول:

«قبل موت وجيه بك بأسبوعين، بدأت معاملته تتغير معي بشكلٍ سيء، وبدا عصبيًا للغاية.

في الأيام التي لم أكن أبيت فيها في الفيلّا، اعتدت الجلوس مع خليل في مقهى قريب من سكننا، فسألته عن سبب العصبية الزائدة التي بدا عليها وجيه بك، فنفى لي هذا الأمر، بل إنه حكى أن وجيه هذه الأيام أكثر مرحًا وسعادة، استغربتُ بشدة وتأكدت أن حالته المزاجية وعصبيته خاصة بي وحدي، فكّرتُ كثيرًا فلم أجد سببًا يدعوه لذلك، حاولت ذات مرة أن أسأله بطريقة ملتوية، فنهرني وصرخ في وجهي دون أن يعطيني إجابة.

قبل الحفلة بيومٍ واحد، اتصل بي خليل وأبلغني أن وجيه بك في طريقه للاستغناء عن خدماتي، فقد التقى اليوم في مكتبه شخصًا وسمعه خليل يتفق معه على العمل لديه في الفيلّا بعد أسبوعين بنفس المهام التي أقوم بها.

اشتطتُ غضبًا فأنا لم أرتكب أيّ خطأ مع وجيه، شُلّ تفكيري بعد أن اسودّت الدنيا فـي عينَي، فقد كنت وقتها أبحث عن زوجة مناسبة لي بعد أن استقرت أحوالي، أمّا الآن فلن أجد عملًا بسبب صحيفة سوابقي التي تطاردني كظلي.

اتفق معي خليل على لقائي فـي المقهى لنفكر فـي حلٍّ لمشكلتي، التقيته فـي هذه الليلة، فإذا به يخبرني أنه وجد لي عملًا عند رجُلٍ ثري، لكنه يشترط أن يبدأ عملي عنده فـي الثامنة صباح يوم الجمعة، لم أصدّق نفسي، للدرجة التي جعلتني أقف وأحتضنه بشدة وسط المقهى.

عندما هدأت فرحتي، تذكرتُ الحفل الذي سيقام فـي اليوم التالي، ومن المؤكد أن وجيه سيطلب مني المبيت لتنظيف وترتيب الفيلّا بعد الحفلة، بل إن بعض الحفلات كانت تنتهي مع شروق الشمس، فكيف سأذهب لهذا الرجُل فـي الثامنة صباحًا؟

بمجرّد أن حكيت لخليل ما يدور فـي رأسي مُبررًا أنني لا أرغب ترك وجيه بمشاجرة؛ حتى أُبقي على ذكرى طيبة بيننا، صرخ فـي وجهي مُستنكرًا رفضي لفرصة لن تُعوّض خاصةً أنني بعد أيام قليلة سأُصبح بلا عمل، وأصرّ أن أترك العمل لدى وجيه فور انتهاء الحفل، حتى لو لم يعطِني أجري عن الأيام التي عملت فيها فـي هذا الشهر، اقتنعت بكلامه ولكن لم أُعطِه موافقة صريحة، فتركني غاضبًا متهمني بالغباء، لم أُغادر المقهى إلّا وكنت اتخذت قراري بترك وجيه بعد الحفلة، حتى لو تشاجر معي بسبب مغادرتي المفاجئة دون مبرر.

أثناء الحفلة، خدمتني الظروف لأُغادر الفيلّا فـي هذه الليلة ولدي

مبرر قوي، فقد كنت أحمل صينية عليها كؤوس عصير عندما تعثرت قدمي، فسقط أحد الكؤوس، فنهرني ووبخني وجيه بشدة أمام المدعوين، وبمجردّ انصراف الأستاذ شاكر أخر المدعوين، لملمت ملابسي، وفاجأت وجيه برغبتي فـي الرحيل وعدم العودة للعمل لديه مرةً أخرى مُعللًا برفضي لإهاناته المستمرة لي خاصةً أمام الناس، فصرخ وأمرني بالمبيت حتى أُعيد ترتيب وتنظيف الفيلّا، لكنني صمّمت، وتركته وصراخه ورائي لا ينقطع».

أعاد إسماعيل قسمه أنه ذكر الحقيقة كاملة، فسأله محمود عن اسم الرجُل الذي كان سيعمل لديه، فأفاد أن خليل لم يخبره باسمه، لكنه اتفق معه أنه سيمرُّ عليه فـي منزله عند السابعة والنصف صباحًا ويصحبه إليه.

فكّر محمود لحظات، ثم سأله إن كان صادقًا فيما حكاه سابقًا عن اتصال خليل به، ودفعه للهرب، فأقسم إسماعيل على صدقه مؤكدًا أن خليل هو مَن اتصل به، فسأله محمود باستغراب عن سرّ تردده أمام وكيل النيابة وعدم استطاعته الجزم أن مَن اتصل به هو خليل طالما كان واثقا، فأجاب إسماعيل:

- قبل دخولي مع خليل لمواجهتي به أمام وكيل النيابة، فوجئت به يهدّدني بأنني لو أكدت على أنه مَن اتصل بي، سيحكي كلّ شيء عن علاقتي مع وجيه فـي أخر أيامه، وهذا سيؤكد اتهامي بقتله، ثم لامني أنني أريد جرّه للقضية فـي الوقت الذي فعل هذا لمساعدتي، لهذا وقفت أمام وكيل النيابة وتشككت فـي تعرفـي على صوت خليل، واعتمدت أن النيابة ستتحرى عن أقوالي، وستعرف أنني

بالفعل تلقيت اتصالًا فـي هذا التوقيت، إلى جانب الرسائل التي كنت أتلقاها من خليل، فيتأكدوا من صدق أقوالي بشأن تواصل شخص مجهول معي، وساعتها ربما يكتشفون القاتل الحقيقي وتثبت براءتي.

بنبرة استهجان سأله محمود: وماذا لو لم تكشف التحريات هوية هذا الشخص؟ هل كنت ستستسلم لحبل المشنقة؟

بنبرة غرور ردَّ إسماعيل: لا تنسَ يا أفندم أنني واحدٌ مِمَّن تُطلقون عليهم «رد سجون»، فأنا لست بلقمة سائغة، وقد وافقت خليل قبل دخولنا إلى وكيل النيابة، لكنني أفهمته أنني سأنتظر إثبات براءتي، وإن شذَّت السبل، سأحكي الحقيقة كاملة، فوقتها لن أخسر شيئا.

قاطعه محمود وسأله: وكيف كنت ستثبت أن خليل هو مَن حدّثك؟ فحتى الآن أنت لم تقدّم دليلًا على صحة أقوالك سوى قَسمك وحلْفك؟

في كبرياء ردَّ إسماعيل: كما قلت لسيادتك سابقًا، لا تستهين بعقلية شخص أمضى خمس سنوات فـي السجن وباقي عمره على الأرصفة! ففي عصر يوم الحفلة، فوجئتُ بخليل يتصل بي تليفونيًا ويسألني بلهفة عمّا قررته بشأن انضمامي للعمل الجديد، أفهمته أنني وافقت لكن أخفيت عنه قراري بمغادرة الفيلّا بعد الحفلة، بل ألححتُ عليه فـي إعطائي مهلة إلى ما بعد ظهر يوم الجمعة؛ لأنه من الصعب مغادرة الفيلّا هذه الليلة خاصةً وأنا لا أعلم متى ستنتهي الحفلة.

فعلتُ هذا على أمل أن يتقبل عذري، فأتجنب مشاجرةً مع وجيه، وأبقي على خيطٍ رفيع بيننا، فربما أحتاجه يومًا ما.

فإذا به يثور ويؤكد على ضرورة مغادرتي الفيلّا الليلة؛ لأنه يريد لقائي في المقهى لمناقشتي في بعض الأمور الضرورية.

هنا شممت رائحة غريبة في هذا الأمر، على الفور بدأت في تسجيل المحادثة بيننا، استدرجته ليعيد علىّ إلحاحه بضرورة مغادرتي الفيلّا بعد الحفلة، فطاوعته ووافقته، لكن في الحقيقة صمّمت على عدم مغادرة الفيلّا ليلًا، فأنا لم أنسَ فضل وجيه بك عليّ طوال أربع سنوات.

لكن ما فعله وجيه معي أمام ضيوفه، جعلني أنقم عليه بشدة خاصةً بعد أن تذكرت معاملته المهينة لي في أخر أيامه، وتخطيطه لطردي من خدمته، فصممت على مغادرة الفيلّا بعد الحفل أيًا ما كان سيحدث له، لكن أُقسم لك لم يخطر على بالي مطلقًا أن الأمر سينتهي بجريمة قتل! وكل ما دار في ذهني أن خليل ربما يرتب لسرقة الفيلّا، فأنا من طول عشرتي معه اكتشفت عشقه للمال.

بمجرّد أن أخبرت خليل عن هذا التسجيل، ارتعش واصفرّ لونه ووعدني بإثبات براءتي، ومنذ يومين أرسل لي رسالة في الحجز مفادها أن براءتي أصبحت قريبة.

سرح محمود قليلًا ثم سأله إن كان يظن أن خليل هو مَن قتل وجيه، فردّ إسماعيل بصوت متشكك:

- صدّقني لا أعرف يا أفندم! لكن ما فعله معي جعلني أشكّ فيه جدًا.

حدّق محمود في عينيه وسأله: ألم تسأله عن سبب خداعه لك

عندما أخبرك أن براءتك ظهرت؟

إسماعيل: لقد كدت أضربه بمجرّد أن رأيته فـي مبنى النيابة بسبب هذا الأمر، لكنه قال لي: «لقد فعلتُ هذا؛ لأحصل على مبلغ كبير من المال، سأقتسمه معك»

لكن الوقت لم يتسع لأعرف منه تفاصيل هذا الأمر.

سأله محمود عن مكان الهاتف الذي سجّل عليه لخليل، فأفاد أنه وضعه داخل كيس بلاستيكي وأخفاه فـي حشو إحدى الوسادات وضعها فـي أرضية خزانة الملابس بشقته.

قبل عودة إسماعيل لمحبسه، سأل محمود بصوتٍ باكٍ إن كان سيستطيع إثبات براءته، فردّ محمود بصوتٍ متشكك:

- لن أعدك بشيء سوى أنني سأبذل قصارى جهدي.

خرج إسماعيل يجرُّ قدميه، سلّمه عصام لأحد المخبرين لإعادته لمحبسه، عاد عصام إلى محمود وقبل أن يجلس سأله بلهفة:

- كيف يا أفندم استنتجت أن إسماعيل لديه ما يخفيه؟ فعندما حققنا معه سابقًا تصورت أنه حكى كل ما لديه!

ردّ محمود بهدوء: لأنني كنت أعلم ما وصف به نفسه أنه «رد سجون»، فهذه النوعية اعتادوا أن يُزيّفوا بعض الحقيقة، وتأكدتُ عندما حكى يسري عن إهانة وجيه له فـي الحفلة، بينما ظلّ هو يحكي لنا عن حُسن معاملة وجيه له وعدم تعامله معه كخادم، بالإضافة إلى ذلك كنت على يقين أن هناك علاقة قوية تجمعه بخليل، وإلّا ما صدّقه وهرب شهرين بناءً على نصيحته.

عاد محمود إلى جريمة قتل خليل، فاستفسر من عصام إن كان له أسرة، فأجابه أنه متزوجٌ ولديه ابنان فـي المرحلة الإعدادية، وهم الآن فـي المشرحة ينتظرون الانتهاء من تشريح الجثة لاستلامها ودفنها، وأضاف أنه لم يتمكن من سؤال زوجته حيث أُصيبت بانهيار عصبي فور تلقيها خبر موته.

قبل أن يغادر محمود، طلب من عصام كشفًا تفصيليًا من شركة الاتصالات بجميع الأرقام التي تواصلت مع هاتف خليل فـي اليومين السابقين فـي أسرع وقت، وسرعة إحضار هاتف إسماعيل من شقته.

***

رجع محمود إلى مديرية الأمن، توجه مباشرةً إلى مكتب اللواء الشوربجي، أطلعه على تفاصيل مقتل خليل، بدا الغضب على وجه الشوربجي خاصةً بعد تأكيد محمود له أن مقتل خليل له علاقة بقتل وجيه، فسأله الشوربجي:

- هل تعتقد أن خليل هو مَن ابتز وائل ولهذا السبب قتله، مِمَّا يشير أن وائل مشترك فـي قتل وجيه أيضًا؟

محمود: لا أستطيع الجزم بهذا الأمر خاصةً أن وائل هو مَن تقدم بالإبلاغ عن الشخص المُبتزّ وهذه النقطة فـي صالحه، لكنني على قناعة كاملة أن خليل عرف معلومات عن قاتل وجيه، وحاولث تحذيره بشدة، لكنه للأسف مشى وراء طمعه وغبائه، فأودى بحياته للتهلكة.

قبل أن يغادر محمود، أكد عليه الشوربجي ضرورة إخفاء علاقة

مقتل خليل بمقتل وجيه عن الإعلام، فطمأنه محمود لهذا الأمر.

***

اتصل محمود بوائل، لم يكن نبأ مقتل خليل وصله بعد، طلب منه سرعة الحضور لمكتبه، بعد أقل من ساعة كان وائل يجلس أمام محمود والاندهاش يعلو وجهه، أخذ مبادرة الحديث وسأل محمود إن كانت هناك علاقة بين مقتل خليل ومقتل وجيه، فنظر إليه محمود متفحصًا، ثم أجابه: ربما.

ارتبك وائل من نظرة محمود، وطريقة ردّه المقتضبة، لم يُعطِه محمود فرصة ليفكر فسأله:

- لماذا لم تطرد خليل من الشركة حتى الآن، فزوجتك اشتكت من نظراته الغير محترمة لها إبّان حياة وجيه؟!

وائل: حقيقةً أنا أكره فصل أي موظف خاصةً مَن لديه أسرة ولا يوجد لديه دخلٌ آخر، وهو الآن لا يرفع عينيه فيها.

سأله محمود إن كان لخليل أعداء، فنفى وائل معرفته بهذا الشأن مُبررًا عدم معرفته بحياته الشخصية، فعاد وسأله عن أخر مرة رآه فيها، فأجاب:

- أول أمس، فأمس حضر صباحًا واستأذن من المدير الإداري في الانصراف لظروف مرض زوجته، واتصل بي أيضًا وأبلغني بهذا الأمر وطلب إجازة أسبوعًا، ووافقت.

حدّق محمود في عينيه وسأله إن كان شاكر المحامي أبلغه عن نية وجيه في إلغاء وصيته، فردّ وائل بهدوء:

- نعم حضر لي بعد تنفيذ الوصية بيومين، وبطريقة ملتوية طلب رشوة حتى يُبقي على هذا الأمر سرًا، فلا تُثار الشكوك حول ياسمين، فـي الحال طردته من المكتب وأنهيت عمله بالشركة.

أبدى محمود له استغرابه لعدم حكيه له هذا الأمر فـي لقائهما السابق! فبرّر قائلًا:

- تصورت أنه لن يُنفّذ خطته الحقيرة، فلم أرغب فتح مواضيع من شأنها أن تأتي لزوجتي بمزيدٍ من الصداع، وحكيت الآن عندما عرفت أنه حكى لك.

محمود: هل لديك دليل على صدق أقوالك ضد شاكر؟

باستخفاف ردّ: بالطبع لا، فالحديث بيننا لم يستغرق خمس دقائق وكنّا بمفردنا، ولكن كما تقولون فـي القانون «البيّنة على مَن ادّعى»، فعلى شاكر أن يقدم هو الدليل على صدق أقواله بشأن نية وجيه فـي إلغاء الوصية.

بتهكُّم علّق محمود: وأنت أيضًا الآن اتهمته باختلاق الأكاذيب والرشوة، فعليك أن تقدم الدليل على صدق أقوالك ضده!

بدا الارتباك على وجه وائل ولم يستطع الرد، فعاد محمود وسأله: متى سيتصل بك الشخص المُبتز؟

وائل: من المفترض أن يتصل بي اليوم، لكنه لم يتصل للآن.

سرح محمود لحظة ثم سأله:

- لو أخبرتك أن خليل كان يعرف قاتل وجيه وحاول ابتزازه، فقتله،

فمَن فـي رأيك من المحيطين بوجيه تشك فيه؟

على الفور أجاب وائل: «فايز العمري»، فهو يكنُّ حقدًا شديدًا لوجيه بعد أن ضربه ضربة قاصمة فـي تجارته.

***

عند الخامسة مساءً، دخل عصام مكتب محمود ومعه هاتف إسماعيل، على الفور استمعا معًا إلى المحادثة المُسجّلة بين إسماعيل وخليل، كانت مدتها لا تزيد عن ثلاثين ثانية، وبدا واضحًا فيها إلحاح خليل على إسماعيل لإقناعه بترك الفيلّا ولقائه فـي المقهى ليلًا، بعد استماعهما للتسجيل اندفع عصام مُعلّقًا:

- هذا التسجيل يؤكد أن خليل شريك للقاتل، وأرادا أن تكون الفيلّا خالية فـي هذه الليلة.

محمود: إذا كان هذا ما حدث، فكان من الطبيعي أن يأخذ خليل حقه من القاتل فور مقتل وجيه، ولكن خليل أبلغ إسماعيل أنه سيحصل على مبلغ كبير فـي غضون أيام قليلة، أي بعد مقتل وجيه بأكثر من شهرين!

عصام: ربما كان القاتل ينتظر مالًا يأتيه بعد موت وجيه بفترة، لذلك تأخر فـي إعطاء خليل مستحقاته!

محمود: الوحيد الذي ينطبق عليه هذا الأمر هي ياسمين، لكنها استلمت ميراثها منذ أكثر من شهر، ولم يكن خليل لينتظر عليها ساعة، لأخذ حقه منها حتى الآن!

عصام: وماذا لو كان وائل هو مَن خطط مع خليل؟

محمود: أستبعده لسببين: أولهما: أن وائل يمتلك مالًا وخليل يعلم ذلك جيدًا، ولم يكن لينتظر طوال هذه الفترة، والسبب الثاني: ظني أن خليل هو مَن حاول ابتزاز وائل، وسنتأكد اليوم إذا لم يتصل به حسب اتفاقه معه.

خبط عصام على جبينه بيده، وبصوتٍ منفعل قال:

- لقد نسينا أمرًا هامًا يا أفندم! لقد وجدنا خزينة وجيه فـي غرفة مكتبه بالفيلّا مفتوحة وفارغة، فالصورة واضحة الآن: خليل عرف بطريقةٍ ما أن وجيه يحتفظ بمبلغ كبير من المال داخل فيلّته، رتب لقتل وجيه بمفرده أو بالاشتراك مع شخصٍ آخر، ثم سرق ما بداخل الخزينة.

بهدوء سأله محمود: ولماذا أصرّ خليل على دفع إسماعيل لمغادرة الفيلّا فـي هذه الليلة، ولم يؤجل خطته لليوم التالي، خاصةً أن اليوم التالي كان يوم [illegible] أن يقتل وجيه لانتصار الماء ؟!

رجع محمود بظهره وأسنده على الكرسي، مدّ ساقيه للأمام، ثم عقد يديه خلف رأسه، ردّ بنبرة تحمل بعض الضيق:

- هذه القضية من أغرب القضايا التي واجهتني، فكل احتمال تضعه لتفسير أمرٍ ما، تجد ما يدحضه بسهولة مثلما دحضتُ لك احتمال شراكة خليل للقاتل، ولو وضعتُ احتمالًا مقبولًا للإجابة عن سؤالك، فسيكون فـي صورة هذا السيناريو:

«اتفق شخصٌ ما مع خليل على إقناع إسماعيل بمغادرة الفيلّا فـي هذه الليلة مقابل مبلغ من المال، ولم يخبره بنيته للقتل، بل من المؤكد أنه اختلق له قصة بريئة، وعندما قُتِل وجيه فـي هذه الليلة، تأكد خليل أن هذا الشخص هو مَن قتله، فذهب إليه وحاول ابتزازه، وهدّده بإبلاغ الشرطة، فنفى له هذا الشخص قتله لوجيه، ثم أفهمه أن إبلاغه للشرطة سيضعه كشريكٍ معه، ولم يكن خليل يمتلك دليلًا ضد هذا الشخص، فخاف ولم يُبلّغ.

في الشهرين الماضيين، استطاع خليل بطريقةٍ ما أن يصل إلى دليلٍ ضد هذا الشخص، ومن ثم قرر إعادة تهديده وابتزازه، فقتله».

كما ترى فهذا احتمال مقبول، ولكن كيف تُفسّر فـي ظل هذا الاحتمال اتصال خليل بإسماعيل فجرًا لدفعه للهرب؟

لم يردّ عصام، فأردف محمود: للأسف لن تجد تفسيرًا مقبولًا إلّا أن يكون خليل اتفق مع القاتل على هذا الأمر؛ حتى يتم إلصاق التهمة بإسماعيل! وهذا ينفي عدم معرفة خليل بنية الشخص المجهول فـي قتل وجيه، مما يهدم هذا الاحتمال من أساسه.

لم يُعقّب عصام بكلمة، فجأة رنّ هاتفه، فاستمع إلى محدّثه وقال:

- أرسله فورًا على فاكس العميد محمود.

أنهى المكالمة وأخبر محمود أن تقرير شركة الاتصالات الخاص بهاتف خليل جاهز وسيتم إرساله الآن، لحظات ووصل التقرير، انكبّ عليه الضابطان، وإذا بصفرة طويلة تخرج من بين شفتَي عصام أعقبها قائلًا:

- خليل اتصل بوائل وفايز ويسري وثريا اتصالات متعاقبة صباح يوم قتله!

لم يُعقّب محمود، فتح أجندته الصغيرة وسجّل فيها:

- اتصال من خليل لوائل فـي العاشرة، استمر ثلاث دقائق.

- اتصال من خليل لفايز فـي العاشرة وخمس دقائق، استمر نصف دقيقة.

- اتصال من خليل ليسري فـي العاشرة وعشر دقائق، استمر خمس دقائق.

- اتصال من خليل لثريا فـي العاشرة وعشرين دقيقة، استمر ثلاث دقائق.

ابتسم محمود وبنبرة ساخرة قال:

«هل أراد خليل أن يُطمئن كل هؤلاء على صحة زوجته؟!»

***

-١٧-

دقت الساعة الثامنة مساءً، عندما دخلت ثريا مكتب محمود بعد أن استدعاها عصام تليفونيًا، بدا الارتباك على وجهها قليلًا، قبل أن تجلس سألت محمود فـي لهفة عن سبب هذا الاستدعاء العاجل، فنظر إليها نظرة ثاقبة، وبنبرة حادة قال: «خليل قُتِل»

خرجت منها شهقة خافتة، جلست وضربات قلبها تتسارع، ناولها عصام كوب ماء، شربت منه ببطء والشرود يغطي وجهها، فانتظر محمود لحظات ثم سألها، لِمَ كل هذا الخوف بعد سماعكِ بقتل خليل؟

بنبرة خفيضة ردّت: خبر الموت مفزع، والموت قتلًا أكثر فزعًا!

محمود: ما علاقتكِ بخليل؟

بنبرة مرتبكة ردّت: لا توجد بيننا أي علاقة.

بنظرة صارمة، ونبرة حازمة حاسمة خاطبها محمود قائلًا:

- هذه هي الجريمة الثانية ولم أصل بعد للقاتل، فلن أقبل سماع أي أكاذيب، وإن كنتُ نفيتُ لكِ من قبل اتهامكِ بقتل وجيه، فلتعلمي جيدًا أنني الآن لا أستبعد أحدًا من تهمة قتل خليل.

بصوتٍ مرتعش ردّت: أنا لم أكذب.

ردّ محمود بنبرة صوت عالية: بل تكذبين! إذا لم يكن بينكما علاقة، فما سبب اتصاله بكِ أمس؟

بدت رعشة خفيفة على يديها، وبصوتٍ متلعثم أجابت: طلب مني

مِئتي ألف جنيه.

محمود: لماذا؟

ردّت بانفعال: أُقسم لك لا أعرف! لقد ظلّ يتحدث ولم أفهم من كلامه شيئًا سوى أنه يحتفظ بسرٍّ من شأنه أن يقلب حياتي رأسًا على عقب، حاولتُ أن أعرف ما يتحدث عنه، رفض قبل أن يحصل على النقود، وأمهلني مهلة يومين، ثم أغلق الهاتف، بقيتُ طوال اليوم أُفكّر، وفي النهاية توصلت أنه علم من وجيه بطريقةٍ ما عن قصة زواجي بوالد وائل.

محمود: هل كنتِ سترضخين له وتدفعين ما طلبه؟

صرخت قائلة: بالطبع لا! فهذا الأمر لا يُدينني فـي شيء، وإن كنت حافظت على هذا السر لعدم الجدوى من إعلانه، لكن لن أُضار إذا عرف أيُّ شخصٍ به!

محمود: لماذا ائتمنتِ وجيه وحده على هذا السر؟

ثريا: كنت أمرُّ بأزمة نفسية بسبب تعثري فـي إنشاء مشروع تجاري، وكان أملي الوحيد هو مساعدة وجيه للوقوف إلى جانبي، فتوقعت أن العلاقة الطيبة التي جمعت والده بطليقي ستدفعه لمساعدتي، وقد صدق حدسي، وبالفعل ساعدني جدًا.

سرح محمود لحظات ثم سألها:

- لو كان خليل عرف هذا السر من وجيه، فلماذا انتظر طوال هذه الفترة ليأتي ويبتزكِ أمس؟

صرخت ثانيةً قائلة: أُقسم لك لا أعرف! لقد خمّنت أن يكون السرُّ متعلقًا بهذا الأمر، لكنني لا أعرف عن أي سرٍّ كان يتحدث!

فكّر محمود لحظة ثم سألها: لماذا نفيتِ فـي لقائنا السابق أن يكون إسماعيل هو قاتل وجيه؟

سرحت بعينيها وردّت: طلب مني وجيه كوني المرأة الموجودة فـي الحفلة، أن أتولى تنسيق الطعام على السفرة والإشراف على إسماعيل أثناء إعداده، دخلت المطبخ، فرأيتُ دموعًا فـي عينَي إسماعيل، ألححت عليه فـي معرفة سببها، فحكى لي عن تأثره الشديد بسبب إهانة وجيه له أمامنا رغمًا عن حُبه الشديد له، واستعداده ليفتديه بحياته إذا استلزم الأمر، هوّنتُ عليه، بل كذبتُ وأخبرته أنه يحكي لي عنه كثيرًا بأطيب الكلام ويَكنُّ له معزة كبيرة، فارتاح وهدأ، لذا نفيتُ لك أن يكون هو القاتل بعدما رأيت بنفسي مدى صدق مشاعره نحو وجيه.

محمود: لو أخبرتكِ أن خليل كان يعرف قاتل وجيه وحاول ابتزازه، فقتله، فمَن فـي رأيكِ من المحيطين بوجيه تشكّين فيه؟

دون تفكير ردّت: «وائل الحسيني».

***

فور خروج ثريا من المكتب، سأل محمود عصام عن أرملة خليل، فعلم منه أن أسرته استلمت جثمانه ودفنته، فهبّ محمود واقفًا وقال: علينا بالتوجه الآن للقائها.

اقتربت الساعة من العاشرة ليلًا عندما وصل الضابطان شقة خليل

التي كانت تعجُّ بالأهل، قدّم محمود تعازيه لأرملته وطلب الانفراد بها.

«شريفة جابر، فـي منتصف الأربعينيات، تميل إلى البدانة وقصر القامة، ارتدت ملابس الحداد السوداء على زوجها فزادت من شحوب وجهها».

أبدى محمود لها أسفه على مجيئه فـي هذا التوقيت مُبررًا بقيمة الوقت فـي الوصول للقاتل والقصاص لزوجها، فأبدت له تفهمها، فبدأ بسؤالها إن كانت تشكُّ فـي أحد، فنفت بشدة معللةً بعدم وجود أعداء لهم، فسألها محمود عن اليوم الأخير فـي حياة خليل، سرحت بعينيها المجهدتين من البكاء، وبصوتٍ مكلوم حكت:

«في الليلة السابقة لموته بقيَ ساهرًا طول الليل فـي شرفة حجرته، بدا عليه الفكر والهم، حاولتُ معه كثيرًا لمعرفة ما يشغله، لكن كعادته معي رفض أن يحكي شيئا، فـي الصباح خرج فـي موعد عمله، لكنه عاد مبكرًا والفرحة تعلو وجهه، أغلق على نفسه حجرته ونام حتى حلَّ المساء، استيقظ وحالة البهجة لم تفارقه، خرج فـي الحادية عشرة ليلًا، فتصورتُ أنه ذاهب إلى المقهى كعادته.

توقفت شريفة فجأة عن الكلام، انهارت فـي البكاء للحظات، ثم عادت وأكملت: اعتاد خليل العودة إلى المنزل فـي الثانية صباحًا، ولمّا لم يحضر حتى الثانية والنصف، اتصلت على هاتفه فوجدته مغلقًا، انتابني القلق ولم أعرف كيف التصرُّف! عاودت الاتصال بشكلٍ متكرر لكن هاتفه بقيَ مُغلقًا، عند الثالثة والنصف اتصلت بجارة لي وأخبرتها، فذهب زوجها إلى المقهى فوجده مغلقًا، كنّا على وشك

الخروج للسؤال عنه فـي المستشفيات ففوجئنا بحضور أحد أمناء الشرطة، وأبلغنا الخبر».

محمود: هل حكى لكِ شيئًا عن موت وجيه صاحب الشركة التي يعمل بها؟

فكّرت ثم أجابت: فقط أخبرني أن خادمه قتله، ثم هرب.

محمود: كيف كانت حالته وقت مقتل وجيه؟

شريفة: كان قلقًا من الأستاذ وائل، وكان يخشى أن يفصله من الشركة، فلم يكن على علاقة طيبة معه مثلما كان مع وجيه بك.

محمود: ما سبب سوء علاقته بوائل؟

شريفة: صدّقني لا أعرف! خليل لم يكن بالزوج الذي يحكي كل أموره لزوجته، حتى أحواله المادية لا أعرف عنها شيئًا.

محمود: ألم تلحظي تحسنًا فـي أحوالكم المادية بعد موت وجيه؟

بنبرة تحمل الأسى ردّت: المرحوم خليل كان بخيلًا جدًا، فلم نشعر معه أنا وابنَي بأي تحسن فـي أحوالنا المادية طوال حياتنا، فهو بالكاد يزيد مصروف المنزل كل عامين.

قبل مغادرته، قدّم محمود لها تعازيه مرةً أخرى، وأعطاها كارته الشخصي طالبًا منها الاتصال به فور تذكرها أي أمر من الممكن أن يساعده فـي الوصول للقاتل.

***

أمام عمارة خليل وقف محمود بجوار سيارته، طلب من عصام

استدعاء يسري وفايز فـي مكتبه فـي موعدين متعاقبين صباحًا، ثم تركه وتوجه إلى منزله، رأى على هاتفه عدد سبع مكالمات هاتفية من ناهد زوجته بالإضافة إلى اثنتا عشرة رسالة، ابتسم واتصل بها، فإذا بعاصفة من التوبيخ تنهال فوق رأسه، فاستقبل توبيخها بضحكة عالية وقال:

- قلقكِ عليّ يعني حُبكِ لي، وكل النساء عندما يرغبن فـي التعبير عن حُبهن لأزواجهن، يقلن كلمة «أُحبك» أو «أوحشتني»، وأنتِ الوحيدة، بل الأصح أنا الوحيد الذي أستقبل كلمات التوبيخ والصراخ بدلًا من الاستمتاع بهذه الكلمة، لكنني لن أبادلكِ نفس أسلوبكِ وسأقول لكِ «أوحشتِني يا حبيبتي».

كانت لكلمات محمود أثر السحر على مسامع ناهد، أعادها محمود لأكثر من عشرين سنة للوراء، ابتسمت في سرّها وبصوتٍ ناعم هادئ لا تعلم من أين أتى، ردّت:

- تستغل دائمًا طيبة قلبي وتضحك عليّ بكلامك المعسول؛ لأنسى القلق الذي عشته طوال اليوم بسبب عدم ردّك على اتصالاتي، أو حتى رسائلي.

محمود: سامحيني حبيبتي، اليوم كان تكريمًا لأحد الرؤساء القدامى الذي تم إحالته للتقاعد، وتم هذا فـي حضور الوزير، فلم يكن لدي دقيقة لألتفت لأحد.

شعرت ناهد بدوارٍ فـي رأسها وخدرٍ فـي جسدها بعد أن سمعت كلمة «حبيبتي» من محمود مرتين فـي مكالمة واحدة، فردّت بنفس النبرة الحالمة الناعمة: أهم شيء أنني اطمئننت عليك.

أغلقت الهاتف، بقيت سارحة منتشية في فراشها، فجأة.. هبّت جالسة وصرخت:

«منذ متى يقول لي محمود كلمة «حبيبتي» مرتين! لا بدّ أن في الأمر شيئا!»

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«في لعبة السلّم والثعبان.. السلّم يصعد بك لأعلى.. بينما الثعبان يهبط بك لأسفل.. أمّا فـي الحياة.. فإن لم تقتل الثعبان أو تنزع شفّه.. فلن يجعلك تصل إلى السلّم أبدا»

«فايز العمري»، هو الصورة النمطية التي ظهرت مراتٍ عديدة على شاشة السينما لرجُل الأعمال المنحرف، ضخم الجثة، لا يخلع نظارته السوداء إلّا قليلا، لا يفارق السيجار إصبعيه، يرسم ابتسامة ثعبانية على وجهه، تفارقه فقط عندما يفتح فمه ليغرس شفّه فـي ضحيته.

على الرغم أنني لم أعُد أمارس أي نشاط غير قانوني، فإنني لم أتوانَ لحظة عن دهس أي منافس لي أستشعر منه الخطر على نمو إمبراطوريتي التجارية، ولم تكُن لدي أي موانع أخلاقية تحول بيني وبين تحقيق هذا الهدف، وكان فايز واحدًا مِمَّن دهستهم.

أعلم جيدًا أنه يتحين الفرصة للانتقام مني، بالرغم من ذلك لم أُفكّر فـي مقاطعته، بل حافظت على صداقتي معه، ولا أعلم حقيقةً إن كنت مطمئنًا لأنني نزعت شفّه الفتّاك فحولته من ثعبانٍ شرس إلى ثعبانٍ يلهو به الحواة لتسلية الأطفال؟! أم أنّ بداخلي شخصًا ساديًا يستمتع برؤية مَن دهسهم؟! أم أنني أستمتع باشتمام رائحة الموت؟!

***

-١٨-

(الأربعاء - العاشر من يوليو)

قبل التاسعة صباحًا بقليل، دخل محمود مكتبه، تناول إفطاره المحبب لنفسه من سندوتشات الفول والطعمية، أعقبه بكوب من القهوة، كان قد اتصل قبل وصوله مباشرةً بعصام وعرف منه أنه حدّد موعدين مع يسري في العاشرة، ومع فايز في الحادية عشرة، ثم أخبره عصام أن قسم الدعم الفني أبلغه أن وائل لم يتلقَ مكالمة من الشخص المُبتز حتى صباح اليوم، كما أكّد على صدق أقواله فيما يخصُ سبب المكالمة التي دارت بينه وبين خليل صباح يوم مقتله.

قبل أن يبدأ محمود عمله، اتصل بناهد، فوجد نبرة صوتها عادت لطبيعتها، اشتمّ رائحة عاصفة على وشك أن تهبّ، فاستبقها وأخبرها أنه سينشغل عنها اليوم بسبب جريمة قتل وقعت من ساعة وسيحكي لها عنها لاحقًا، ثم أغلق الهاتف دون أن يعطيها فرصة للردّ.

فتح مفكرته الصغيرة وبدأ يدوّن فيها بعض الملاحظات، عند العاشرة تمامًا، وصل عصام، وبعده بدقائق قليلة دخل يسري، فوجئ من محمود بخبر مقتل خليل، جاء ردّ فعله باهتًا وباستغراب سأل محمود إن كان سبب استدعائه هو قتل خليل مستنكرًا هذا الأمر، لعدم وجود أي علاقة بينهما، فردّ محمود متهكمًا:

- ولماذا اتصل بك أول أمس إن لم يكن لك به أي علاقة!

ارتبك يسري بشدة وردّ: وهل معنى اتصاله بي وجود علاقة بيننا؟

بحدّة خاطبه محمود قائلًا: لا أريد الإجابة عن أسئلتي بأسئلة منك، وأريد منك إجابة بطريقة مباشرة، وإن كنت تظن أن أسلوبك هذا سيمنحك المزيد من الوقت للتفكير فـي إجابة كاذبة، فأنت واهم، لأنني سأعرف الحقيقة شئتَ، أم أبيتَ.

ازداد ارتباك يسري وأجاب متلعثمًا: أنا لم أقصد مماطلة، لكن فقط أردت التوضيح! وحتى تتأكد من صدق نظريتي، فقد اتصل بي خليل ليسألني عن إمكانية توظيفه فـي شركتي مُبررًا أنه لم يعُد يستطيع العمل مع وائل، لأسباب خاصة لم يفصح لي عنها، فسألته عن خبراته السابقة، ووعدته بتوفير فرصة عمل له فـي القريب، وبالطبع كان ردّي هذا على سبيل المجاملة لا أكثر.

نظر إليه محمود بابتسامة خبيثة تعكس عدم تصديقه له، فتحاشى يسري النظر فـي عينيه، تناول كوب ماء موضوعًا أمامه، شرب منه ببطء، فكّر محمود لحظات ثم سأله:

- فـي لقائنا السابق نفيت بصورة قاطعة أن تكون لوجيه علاقات نسائية، بينما شهد أكثر من شخص بعكس هذا، فما تبريرك لهذا الأمر؟

يسري: لقد ذكرت ما أعرفه، ولست مسؤولًا عن أقوال الآخرين.

نظر إليه محمود مُحدّقًا وسأله:

- لو أخبرتك أن خليل كان يعرف قاتل وجيه، وحاول ابتزازه، فقتله، فمَن فـي رأيك من المحيطين بوجيه تشك فيه؟

على الفور أجاب: «ياسمين الشهاوي»، فهي المستفيدة الوحيدة

من موت وجيه.

***

بعد الحادية عشرة بقليل، دخل فايز مكتب محمود بهيئته الوقورة المعتادة، وسيجاره المطفأ بين إصبعيه، لكن غابت عن وجهه ابتسامته الباهتة، جلس أمام محمود وعصام وبادرهما قائلًا:

- خيرًا يا محمود بك! ما سبب هذا الاستدعاء العاجل المفاجئ؟

محمود: ألم تعرف بمقتل خليل؟

اتسعت عيناه وبصوتٍ مذعور ردّ: خليل قُتِل! كيف؟ ومَن قتله؟

باستخفاف علّق محمود: لو كنا نعرف أجوبة عن أسئلتك، ما استدعيناك!

بانفعال تكلم فايز: وما شأني بقتل خليل؟! أنا لم أره منذ ليلة مقتل وجيه، ولا تربطني به صلة!

بتهكم ردّ محمود: ولأننا نعلم هذا، أرسلنا لنسألك عن سبب اتصال خليل بك أول أمس؟

اهتز السيجار بين إصبعيه، وأجاب بارتباك: أنا أيضًا لا أعرف السبب! فقد اتصل بي صباحًا وكنت مشغولًا في عملي، بمجرّد أن عرّفني بنفسه وفهمت أنه يحتاجني في أمرٍ ما، أغلقت معه الهاتف بعد أن أخبرته أن يتصل بي في وقتٍ آخر، لكنه لم يتصل، وتستطيع أن ترى مدة اتصاله على هاتفي، فستجدها لم تتجاوز نصف الدقيقة.

فكّر محمود ثم سأله: هل تعرف شاكر المحامي جيدًا؟

بنبرة يكسوها الغلّ ردّ: أعرفه حق المعرفة، فهو النموذج الأمثل للمحامي منعدم الضمير والمبادئ.

اندهش محمود لإجابته وطلب منه تفسيرًا لها، فأجاب:

- شاكر كان محامي شركتي، عمل لدي قرابة العامين، فـي إحدى المناقصات الخاصة بشركتي، طلب لنفسه عمولة مبالغًا فيها، رفضت، فاستقال من العمل لدي، وبعد أقل من شهرين، التحق بالعمل فـي شركة وجيه، وأنا على يقين أنه اكتسب ثقته عن طريق إفشائه لأسرار شركتي، وصدق ظني بعد أن تمكن وجيه من حصوله على توكيل قطع الغيار الخاص بي.

باستغراب سأله محمود: من قبل أوضحت لي أن حصول وجيه على هذا التوكيل لم يؤثر على علاقتك به، وحافظتما على صداقتكما، والآن أراك تتحدث بغيظٍ وغلٍّ عن شاكر، فكيف سامحت وجيه، ولم تسامح شاكر؟

فايز: شاكر خانني، أمّا وجيه يبحث عن مصالحه ولم يخُني، وأنا لا أسامح أبدًا مَن خانني.

محمود: لو أخبرتك أن خليل كان يعرف قاتل وجيه وحاول ابتزازه، فقتله، فمَن فـي رأيك من المحيطين بوجيه تشك فيه؟

فايز: «شاكر فريد»، ولا تظن أن اتهامي له بسبب كراهيتي له، بل يمكنك أن تسأله: لماذا كان يعطي خليل راتبًا شهريًا لينقل له كل أخبار وجيه؟

باندهاشٍ بالغ سأله محمود كيف عرف هذا الأمر، وهو كما يدّعي لا

تربطه علاقة بخليل، فأجاب:

- قبل الحفلة بيومين، فوجئتُ بوجيه يتصل بي ويحكى لي عن هذا الأمر، ثم أخبرني أنه رتب لطرد شاكر من الشركة، واختار أن يطرده أمامي فـي الحفلة؛ حتى أتشفى فيه، لأنه رأى أن هذا هو خير انتقام منه، لكنه لسببٍ ما لم يفعل.

***

ما إن خرج فايز من المكتب حتى ضرب عصام يدا بيد، وبنبرة استغراب شديدة قال:

- لم أعُد أفهم شيئا يا أفندم! وائل يتهم فايز، وثريا تتهم وائل، وفايز يتهم شاكر، ويسري يتهم ياسمين، وكلٌ منهم بزر اتصال خليل به تبريرًا مقنعا، وإن بدا الكذب واضحًا فـي عيونهم، باستثناء ثريا التي أقرت أن خليل اتصل بها ليهددها ويبتزها! وبمناسبة الابتزاز، فعدم اتصال الشخص المجهول بوائل أمس، يشير بقوة إلى أنه خليل، خاصةً بعد محاولة ابتزازه لثريا.

محمود: أتفق معك فيما قلته، لكن بيت القصيد عندي الآن هو شاكر! فعقدة هذه القضية أراها تكمن فـي الوصية، وهنا يقفز السؤال الهام: هل كان شاكر صادقًا فـي كل ما حكاه عن الوصية؟ أم صدق فـي أمورٍ وكذب فـي أخرى؟

أبدى عصام لمحمود عدم فهمه لِما يقصده، فشرح له قائلًا:

- حتى تفهم ما قصدته لا بدّ أن نضع إفادة شاكر بشأن الوصية فـي صيغة ثلاثة أسئلة:

- هل أحب وجيه ياسمين وقرر الزواج بها؟

- هل صارحها فـي أمر زواجهما عشية يوم قتله؟

- هل رفضت ياسمين الزواج منه، فقرر إلغاء الوصية؟

وعندما نعرف الإجابة عن الأسئلة الثلاثة السابقة، سنعرف وقتها إلى أي درجة كان شاكر صادقًا فيما رواه.

أومأ عصام برأسه مبديًا تفهمه، ثم سأل: وماذا لو كان وائل صادقًا فـي حكايته؟

محمود: عندها سيتم نفي كل ما قاله شاكر، وتتضح براءة ياسمين ووائل من قتل وجيه؛ لأنهما حتى الآن هما الوحيدان اللذان لديهما دافع قوي للقتل.

عصام: فـي رأيك يا أفندم أيهما الصادق: شاكر أم وائل؟

سرح محمود وقال: صدّقني لم يقُل لنا أي شخص مِمّن حققنا معهم الحقيقة كاملة حتى الآن، وكلٌ منهم لديه ما يخفيه.

بنبرة يأس سأل عصام: وكيف سنعرف مَن منهم الصادق؟ وماذا يخفون؟

ضحك محمود وقال: أؤكد لك سنعرف، فأنا أنتظر قولًا أو تَصرُفًا يقع فيه أحدهم، وعندها سيتم فك كل شفرات القضية، وكن واثقًا أنه سيحدث قريبًا، فعليك أن تعلم أن تكرار التحقيق مع المشتبه بهم يصيبهم بالتوتر ويدفعهم لفعل تصرفات يعتقدون أنها تحميهم، لكنها تصرفات تنتج عن تفكيرٍ عصبي متوتر، فعليك أن تلتقطها

وتستخلص منها ما تريد.

في هذه الأثناء دخل أحد الأمناء، سلّم محمود علبة هدايا مستطيلة رفيعة ومعها ظرف كُتب عليه اسمه بالكمبيوتر، أخبره أن طفلًا من الباعة الجائلين سلّمه لأحد جنود الحراسة على باب المديرية، وحكى أن رجلًا أعطاه هذه اللفافة مع الجواب، وطلب أن يسلّمه لأحد الجنود، ومنحه عشرة جنيهات.

على الفور فتح محمود الظرف، وجد رسالة كُتبت على الكمبيوتر، جاء فيها:

«عزيزي العميد محمود.. أرجو قبول هديتي.. هذه أداة القتل المستخدمة في قتل وجيه الكيلاني.. سأترك لك معرفة القاتل.. ولكن نصيحتي.. عليك بنبش القبور»

بسرعة فائقة فتح عصام علبة الهدايا، وجد سكينًا بداخلها عليه آثار دماء قديمة، على الفور أمره محمود بإرساله للمعمل الجنائي ورفع البصمات إن وجدت، فسأله عصام وهو يهمُّ بالخروج عن المقصود بعبارة «عليك بنبش القبور»، فنظر إليه شاردًا وأجابه:

- قاتل وجيه هو.. خليل!

***

-١٩-

في المساء، دخل عصام مكتب محمود، بان عليه الإرهاق الشديد، ارتمى على مقعد، سلّمه تقرير الأدلة الجنائية، ثم أخبره أن استنتاجه كان صائبًا حيث وُجدت بصمات على مقبض السكين تطابقت مع بصمات خليل المسجّلة في مصلحة الأحوال المدنية، وأن الدم الموجود على النصل مطابق لدم وجيه، كما تبيّن أن نصل السكين مطابق لشكل الجرحين النافذين المسببين لوفاة وجيه، وعليه فمن الممكن أن يكون هو نفس الأداة المستخدمة في قتل وجيه.

كان محمود غارقًا بين أوراق القضية، لملم الأوراق وقرأ التقرير بتركيز شديد، قطع تركيزه عصام وسأله: الآن عرفنا قاتل وجيه، لكن مَن قتل خليل؟

سرح محمود وكأنه لم يسمع سؤال عصام، خرج من شروده، هبّ من مقعده، خاطب عصام وهو يمشي قائلًا:

- اتصل بشاكر وأبلغه أننا سنمرُّ عليه الآن في مكتبه.

***

بنفس درجة ترحاب اللقاء الأول، استقبل شاكر الضابطين، دون مقدمات سأله محمود إن كان عرف بمقتل خليل، فنفى مُبديًا له اندهاشه الشديد، وزاد اندهاشه عندما أخبره محمود أن مقتله له صلة بمقتل وجيه، اعتدل محمود في جلسته وبنبرة حاسمة خاطبه:

- في الحقيقة حدوث جريمة قتل جديدة والقاتل ما زال حُرًّا أمرٌ يؤرقني بشدة، ليس بسبب عدم القبض على الجاني فحسب، ولكن

الأهم عندي أن مَن يقتل مرتين من السهل عليه ارتكاب جرائم أخرى، ولقد حذّرت خليل بشدة لكنه لم يستمع لنصيحتي، وأنت رجُل قانون ومن المؤكد تتفق معي فيما أنشده لحماية الآخرين وتحقيق العدالة.

أكد شاكر بحماس على كلامه، فأردف محمود قائلًا:

- ولكل ما سبق، أرجو منك مصارحتي بكل ما تعرفه، ففي الحقيقة كل ما قلته لي سابقًا لا يرتكز إلى أي دليل، ولم أكن أهتم بوجود دليل لولا تكذيب وائل لكل ما قلتَه جملةً وتفصيلا، لكنه أيضًا لا يمتلك دليلًا على أقواله! فهل تستطيع مساعدتي لحل هذه المُعضلة؟

أشعل شاكر سيجارة، أخذ نفسًا طويلًا ثم قال:

- دفاعي الوحيد عن صحة أقوالي هو عدم وجود أي فائدة تعود عليّ منها، وأيضًا عدم وقوع أي ضرر على وائل أو ياسمين! أمّا وائل فهو يريد أن يدفع عن نفسه أولًا: صفة النذالة لزواجه بحبيبة صديقه، وثانيًا: خوفه أن تدور الشبهات حوله فـي قتل وجيه، بدافع الاستفادة من الوصية قبل إلغائها.

محمود: ولكن أقوالك أوقعت بالفعل ضررًا عليهما بعد أن وضعتهما فـي محل اتهام قوي بقتل وجيه!

بثقة ردّ شاكر: البريء لا يخاف! فاتهامهما لا يعني إدانتهما، وسيادتك خير العارفين.

وافقه محمود على كلامه، ثم سأله عن علاقته بفايز، أفاد شاكر أنه عمل لديه مستشارًا قانونيًا لشركته لمدة عامين، انتقل بعد ذلك

للعمل بشركة وجيه حيث وجدها فرصة أفضل.

محمود: ألم يكن لديك فرصة للجمع بين الشركتين؟

شاكر: كان يستحيل هذا الأمر لتضارب المصالح بين الشركتين، فأي نصيحة سأعطيها لوجيه، ستكون بالضرورة فـي غير صالح فايز، والعكس صحيح.

محمود: هل ما زالت علاقتك بفايز جيدة؟

شاكر: لا، فبعد انتقالي للعمل بشركة وجيه، استطاع الحصول على أحد التوكيلات فحرم فايز من التوكيل الوحيد الذي يمتلكه، فظن أن وجيه فعل هذا بناءً على نصيحتي، والحقيقة أن وجيه شرع فـي هذا الأمر قبل انضمامي للعمل معه.

محمود: هل حدث بينك وبين وجيه مشكلات بسبب خليل؟

ردّ شاكر باستنكار: بالطبع لا! خليل مجرّد سكرتير وليس له علاقة بعملي مع وجيه.

فكّر محمود لحظة ثم سأله عن علاقته بثريا، فأفاد أنها علاقة سطحية، فعاد محمود وسأله باستغراب:

- إذا كانت علاقتك بها سطحية، فلماذا اهتممت بإعلامها بقتل وجيه، خاصةً وأنها كانت المرة الأولى التى تلتقيها فـى الحفلة؟

ضحك شاكر مقهقها وردّ: المحامي الماهر يا محمود بك يجب أن يكون صيادًا ماهرا، ولا يُفرّط فـي صيد اقترب من شباكه! أثناء الحفلة، أعربت لي ثريا عن رغبتها أن أكون لها مستشارًا قانونيًا،

فرحبت بشدة، وتبادلنا أرقام هواتفنا، وانتهزتها فرصة للحديث معها عندما عرفتُ بقتل وجيه.

ابتسم محمود وقال وهو يستعد للانصراف: وأنا أشهد أنك صيادٌ ماهر.

أصرّ شاكر على مرافقتهما إلى باب المكتب، بعد أن مشى محمود بضع خطوات، التفت إليه فجأة.. وسأله: لو أخبرتك أن خليل كان يعرف قاتل وجيه، حاول أن يبتزه، فقتله، فمَن من المحيطين بوجيه تشكُّ فيه؟

بعد تفكير لحظات أجاب شاكر: «يسري الشربيني»، فهذا الشخص كان فـي يومٍ من الأيام له اليد العُليا على وجيه، فقد كان متزوجًا بابنة مسؤول كبير، وعندما طلّقها أعاده والدها إلى بداياته، وأصبح وجيه يستمتع بإذلاله، فربما ملأ الحقد قلبه، ودفعه لقتله.

***

-٢٠-

كانت الساعة السادسة مساءً عندما انطلقت ياسمين بسيارتها، اتخذت قرارًا وصممت على تنفيذه دون الرجوع لوائل، وصلت إلى شقة خليل مرتدية ملابس حداد سوداء، رنّت جرس الباب ففتحت لها شريفة، بادرتها قائلة:

- أنا ياسمين الشهاوي، أسأل عن أرملة المرحوم خليل؟

فهمت من شريفة أنها هي مَن تسأل عنها، لاحظّت استغرابًا شديدًا على وجهها، فتأكدت أنها لم تسمع اسمها من قبل، فاطمئنت أن خليل لم يحكِ لها شيئًا عنها، عرّفتها أنها مالكة الشركة التي كان يعمل بها خليل، وجاءت لتقديم تعازيها في وفاته، رحبت بها شريفة بتوقيرٍ واحترام، طلبت منها ياسمين الانفراد بها للحظات، بدأت كلامها معها بالمدح في خليل، ثم أخرجت من حقيبتها ثلاثين ألف جنيه، أعطتهم لشريفة كاعترافٍ منها بإخلاص وتفاني خليل في عمله، ثم أوضحت لها أن هذا المبلغ بخلاف مكافأة نهاية الخدمة المستحقة له من الشركة، ووعدتها بأنها ستعطي أوامرها لقسم الحسابات بالشركة لإنهاء إجراءات المكافأة سريعًا، والاتصال بها فور تجهيزها، ثم ناولتها كارتها الشخصي، وطلبت منها الاتصال بها، إذا ما احتاجت أي مساعدة.

تهللت أسارير شريفة، شكرت ياسمين بشدة وأصرّت على تقديم شراب لها، فاعتذرت ياسمين متعللةً بارتباطها بموعدٍ هام، قبل أن تصل إلى باب الشقة، التفتت فجأة إلى شريفة، وقالت:

- كان خليل يحتفظ بأوراقٍ هامة تخصُ الشركة على فلاشة، فهل يمكنني الحصول عليها؟

ردّت شريفة على الفور: خليل لديه لاب توب خاص به، يستخدمه فـي حجرته، فيمكنكِ أن تأتي وتبحثي بنفسكِ.

اصطحبت شريفة ياسمين إلى غرفة خليل، فلم تجد أي فلاشة فـي الكمبيوتر، فعرضت عليها شريفة أن تبحث فـي ذرج المكتب الموضوع عليه الكمبيوتر، فوجدت ياسمين فلاشتين، أخذتهما بعد أن أفهمت شريفة أنها ستفتحهما فـي الشركة لتعرف أيهما يخصّ الشركة، ثم لمّحت لها بطريقة ملتوية برغبتها فـي أخذ اللاب توب لفحصه هو الآخر، على أن تعيده لها فـي أسرع وقت، على الفور أعطته لها شريفة مع كلمة المرور الخاص به.

بمجرّد أن ركبت ياسمين سيارتها، تنهدت، وهمست:

«أخيرًا.. انتهيت من هذا الكابوس».

***

-٢١-

عقب انتهائهما من مقابلة شاكر، شعر محمود بالجوع، تذكر أن اليوم مرّ عليه دون أن يتناول طعاما، اصطحب عصام إلى أحد المطاعم فـي التجمع الخامس، بعد أن أنهيا طعامهما، بدأ محمود يحتسي شاي بالنعناع، مدح فـي النعناع الطازج، ضحك عصام مُعلقًا:

- أراك يا أفندم فـي حالة نفسية جيدة، بالرغم أنني ظننتك غضبت بشدة بعد قتل خليل، فهل هذا بسبب حل نصف القضية ومعرفة أن خليل هو قاتل وجيه؟

ابتسم محمود وردّ: بدايةً عليك بالتحلي بالهدوء طوال تحقيقك فـي أي قضية، وأي أحداث غير متوقعة تصيبك بالانفعال والغضب لا بدّ أن تمررها سريعًا وتعود لهدوئك ثانيةً؛ لأنك إذا افتقدته لن تنجح فـي حل القضية، أمّا بالنسبة لأمر معرفتنا أن خليل هو قاتل وجيه، ففي الحقيقة أنا لم أتيقن من هذا الأمر بعد.

بانفعال شديد علّق عصام: كيف يا أفندم؟ أداة الجريمة عليها بصماته ودم القتيل! فماذا ننتظر بعد ذلك لنتأكد أن خليل القاتل؟

بهدوء ردّ محمود: فـي إحدى القضايا السابقة التي حققت فيها، مررتُ بموقف شبيه بهذا الموقف تمامًا واتضح زيف الأدلة، فمن السهل أن تُجهّز سكينًا مشابهًا للسكين الذي أرتكبت به الجريمة، وبطريقةٍ ما تحصل على بصمات خليل على السكين، ثم تغمسه بعد ذلك فـي دم القتيل، وتُلفق الجريمة لخليل.

بنبرة تعكس عدم الاقتناع ردّ عصام: هل معنى أن سيادتك مرّ

عليك موقف مشابه فـي قضية سابقة أن نتجاهل كل الحقائق الموجودة فـي هذه القضية والتي تُدين خليل؟!

محمود: لقد فهمتني خطأ! فأنا حكيت عن القضية السابقة لأُثبت لك أن السكين لا يجزم أن خليل هو القاتل، بالرغم أنك لو قدمته للنيابة الآن، سثفرج عن إسماعيل فورًا وتغلق قضية مقتل وجيه للأبد، وسيرتكزون إلى هذا الدليل الدامغ إلى جانب الحقائق التي تحدثت عنها.

لكن عدم يقيني من أنّ خليل هو القاتل، يرجع إلى شخصيته التي أجمع عليها الشهود، إلى جانب أنني لمست هذا بنفسي، فهو شخصٌ مادي لأبعد الحدود، حتى زوجته عانت من بُخله الشديد، وشخصية بهذه الصفات أجبن من أن يَقتُل، لكنه يضحي بنفسه من أجل المال، وهذا ما حدث معه، فقد حذّرته بشدة، بل أفهمته صراحةً أنه سيُقتل قريبًا، لكنه لم يستمع لي وحاول ابتزاز القاتل، فقتله.

كتم عصام غيظه من محمود وسأله مستغربًا: ولماذا نبحث عن الطريق المعقّد وأمامنا الطريق السهل والانتهاء من نصف القضية؟! وتُركّز جهودنا الآن للوصول لقاتل خليل، حتى نستريح من هذه القضية.

ضحك محمود وقال: أنت مخطئ! هذه القضية كسلسلة حلقاتها متصلة، وإن أردت أن تفك حلقة فيها فلن تستطيع البدء من منتصفها، ولكن عليك فك أول حلقة، وستصل بك للحلقة الأخيرة، وحتى تتأكد من كلامي فحاول أن تجيب عن هذه الأسئلة، ودعنا نرى فـي النهاية إلى أي نتيجة ستصل بنا الإجابات عنها، ولنبدأ بهذ

السؤال: لو سلّمنا أن خليل قتل وجيه، فمَن قتل خليل؟

أجاب عصام بحماس: شريكه اختلف معه، فقتله.

محمود: إذن أنت الآن تنفي عن خليل تهمة ابتزاز وائل، أو ابتزاز أي شخص آخر، وبالتالي تنفي أن الابتزاز هو السبب فـي قتله؟

ردّ عصام بارتباك: لا، فربما كلّفه وائل، أو شخص آخر بقتل وجيه، ثم حاول خليل ابتزازه للحصول على المزيد من المال، فقتله.

باستنكار علّق محمود: هذا افتراض المستحيل! فبعد تسليمنا أن خليل هو القاتل، وامتلاك مَن حرّضه على القتل الدليل الدامغ على إدانته وهو أداة القتل التي أرسلها لنا، فيكون المُحرِّض فـي مركز القوة بينما خليل فـي مركز الضعف، ولن يجرؤ خليل على تهديده بشيء؛ لأنه يعلم أن حبل المشنقة بيده.

ردّ عصام بارتباك: ربما كان يبتز شخصًا آخرا، لأمرٍ ليس له علاقة بقتل وجيه، فقتله!

محمود: ومَن أرسل لنا السكين؟

عصام: من المؤكد أن مَن حرّض خليل على قتل وجيه، أراد إغلاق هذا الملف بعد إعادتنا فتح التحقيق فيه، خاصةً أنه لم يعُد يخشى شيئًا بعد موت خليل.

بهدوء ردّ محمود: إذن إجاباتك أدت بنا إلى نتيجة وحيدة مفادها «أنّ الجريمتين منفصلتان»، وتمتا على هذا الشكل:

- خليل قتل وجيه بتحريض من شخصٍ ما.

- خليل ابتزّ شخصًا آخرا لأمرٍ ليس له علاقة بقتل وجيه، فقتله.

بحماس وافق عصام على هذه النتيجة، فابتسم محمود وعلّق قائلًا وهو يقف يستعد للمغادرة:

- لكن مع شديد الأسف، فأنا لا أتفق مع تلك النتيجة التي انتهت بفصل الجريمتين، فأنا على قناعة تامة أنّ الجريمتين متصلتان، وسأثبت لك هذا فـي وقتٍ لاحق.

لم ينطق عصام بكلمة، فشعوره بالذنب بسبب استخفافه بالقضية فـي البداية، واقتناعه بأن إسماعيل هو قاتل وجيه، ولم يحقق مع مخلوقٍ آخر، منعه من مجادلة محمود، بالرغم من اقتناعه التام أن القضية لم تعُد بهذا التعقيد الذي يراه محمود، فاكتفى بسؤاله لمحمود إن كان عليه إبلاغ النيابة بالمستجدات، فأمره محمود بتأجيل هذا الأمر بعض الوقت، فسأله عصام عن السبب، فأجابه قائلًا:

- لقد أخفيتُ عن شاكر أن خليل هو قاتل وجيه، وسأُبقي هذا الأمر سرًّا لأتأكد من بعض الأمور، فلو أبلغتَ النيابة، ستُفرج فـي الحال عن إسماعيل، وفي هذا خطر على حياته.

***

-٢٢-

بمجرّد رجوع ياسمين إلى فيلّتها، هرعت إلى حجرتها، فتحت اللاب توب ووضعت الفلاشة الأولى، بحثت في الملفات القليلة الموجودة بداخلها فلم تجد ما تبحث عنه، بعصبية شديدة نزعت الفلاشة ووضعت الثانية، فوجدتها تخلو من أي ملفات، بحثت في ملفات اللاب توب طويلًا، فلم تجد شيئا، أغلقته وهي تكاد تحطمه، ثم همست بغلٍّ:

«لم تكن تستحق القتل يا خليل مرة.. بل كنت تستحقه ألف مرة»

في هذه اللحظة دخل وائل الغرفة، حكت له ما حدث بالتفصيل والشرر يتقاذف من عينيها، ثار عليها ثورةً عارمة بسبب ذهابها إلى شريفة، لم تهتم بثورته بل حاولت إقناعه أن تكمل ما بدأته، وأفهمته أنها ستذهب إلى شريفة صباح باكر في محاولة أخرى للبحث عن الفلاشة، فإذا بوائل يتحول إلى وحش، ورأته ياسمين كما لم ترَه من قبل، أمسك كتفيها، هزّهما في عنف، وبنبرة أوقعت الرعب في قلبها قال:

«لن أسمح لكِ أن تهدمي كل ما بنيته بغبائكِ وغرورك، وإن فعلتِ أي شيء دون إذنٍ مني مرةً أخرى، سأقتلكِ»

***

قبل منتصف الليل بقليل، داخل أحد المطاعم بمنطقة سقارة، جلست ثريا مع شاكر يتناولان العشاء على أضواء الشموع.

بعد أن أنهيا طعامهما، ضحك شاكر وسألها عن سبب اختيارها لهذا

المكان البعيد للقائهما، فبررت له عن تخوفها أن يكونا تحت أعين محمود ومعاونيه، فطمأنها قائلًا:

- حبيبتي نحن بعيدين عن تفكير محمود، وإذا كان لم يضع وائل وياسمين تحت المراقبة، فهل سيضعنا نحن؟!

بنفس النبرة القلقة علّقت ثريا: شيءٌ ما بداخلي يجعلني أخاف محمود، فهو ليس سهلًا كما يبدو عليه.

شاكر: حقيقةً هو مشهودٌ له بالذكاء، لكنني مشهودٌ لي بالعبقرية!

أعقب جملته بضحكة عالية، فابتسمت ثريا قائلة:

- وعبقريتك تلك هي التي أوقعتني فـي شباكك.

بلهفة سألها شاكر: ومتى سنتزوج حبيبتي؟

ثريا: علينا الانتظار قليلًا حتى تهدأ الأمور، فزواجنا الآن سيثير القيل والقال.

شاكر: بمناسبة ذكر محمود، سألني اليوم عن سبب إبلاغي لكِ بقتل وجيه ولا توجد بيننا علاقة، فأفهمته أنكِ عرضتِ عليّ أن أكون مستشاركِ القانوني أثناء الحفلة، فعملت على توطيد علاقتي معكِ.

بقلق سألته إن كان صدّقه، فسخر منها واستنكر أنها لم تثق فـي عبقريته بعد، ثم سألها عمّا فعلته مع فايز، فردّت بأنها ستتصل به فـي الغد.

سكتت ثريا للحظة ثم سألته:

- فـي رأيك مَن قتل خليل؟

سرح شاكر بعينيه، وبصوتٍ يحمل بعض الغلّ أجاب:

- رأيي أن خليل لا يشبع، فجاء أحدهم وسدّ جوعه للأبد.

نظرت إليه محدّقة فـي عينيه وقالت:

- منذ فترة وهناك سؤالٌ أريد أن أسأله لك، وأُقسم لك أن إجابته أيًا ما كانت لن تكون عائقًا فـي زواجنا.

بدا على وجهه القلق، وردّ: اسألي ما شئتِ، وأُقسم بحبي لكِ سأُجيبكِ الإجابة الصادقة.

ثريا: هل أنت مَن قتل وجيه؟

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

«هل سألتَ نفسك يومًا.. لماذا لم يحترم البشر قوانينهم العديدة.. واحترموا فقط قانون الحيوانات الوحيد.. البقاء للأقوى؟!»

لن أجيبك.. فأنا واثق أنك تعرف الإجابة.. ولكنك تستحي أن تعترف!

«شاكر فريد»، محامٍ كرّس كلّ جهوده وذكائه في البحث عن ثغرات القانون ومواطن ضعفه، حتى تمكن في النهاية من وضع قانون جديد أسماه «قانون شاكر».

عرض عليّ خدماته بعد أن قدّم لي موكله فايز العمري على طبقٍ من ذهب كهدية لبداية التعارف، ولم أكُن من طبعي رفض الهدايا، كان عليّ فقط معرفة نقطة ضعفه حتى أضع رقبته في يدي، ولحُسن حظي كانت النساء.

على الجانب الآخر، لم أُمكّنه قطّ من رقبتي، فالأمور السرية في العمل لم يكُن يعرف عنها شيئًا.

استفدتُ منه كثيرًا وما زلت، فالحقيقة أن معظم الأمور اليوم تحتاج.. «قانون شاكر».

***

-٢٣-

(الخميس - الحادي عشر من يوليو)

بقيت شريفة تفكر فيما فعلته ياسمين معها، لم تُصدّق كلمة مِمّا قالته عن زوجها، بل تيقنت أن النقود التي أعطتها لها بزعم عرفانها بإخلاص خليل كانت وسيلة لكسب ودّها وتمكينها من البحث عن الفلاشة وأخذ اللاب توب للتفتيش فيه.

بمجرّد أن نام ابناها، دخلت حجرة خليل، فتحت دُرجًا فـي المكتب كان خليل يغلقه بالمفتاح على الأشياء الهامة التي لا يريد أن يقترب منها أحد، وجدت فلاشة مخبأة أسفل ملف أوراق، لمعت عيناها وتأكدت أنها التي كانت تبحث عنها ياسمين.

لم تنم ليلتها، باتت تتأمل الفلاشة فـي يدها، أدركت مدى أهميتها لياسمين، دارت أسئلة عديدة فـي عقلها كادت تفتك به:

ما الذي تحمله الفلاشة وتهتم به ياسمين؟ إذا كانت ياسمين دفعت لها ثلاثين ألف جنيه ثمنًا للفلاشة، فلماذا لم تدفعهم لخليل وتأخذها منه؟ هل طلب خليل منها مبلغًا كبيرًا فرفضت؟ هل هذه الفلاشة هي التي تسببت فـي قتل زوجها؟ لو كانت ياسمين مَن قتلت خليل بسبب الفلاشة، فكيف تأكدت أنها ستعثر عليها بسهولة بعد موته؟ هل تذهب إلى الشرطة وتحكي لهم، أم تعرف أولًا ما تحتويه الفلاشة، ووقتها تتخذ قرارها، إن كانت تعيدها لياسمين مقابل مبلغ مالي كبير، أو تعطيها للشرطة؟

بدأت الأصوات تتعالى وتتداخل فـي عقلها، سمعت صوتًا يُحرّضها

على عدم إضاعة فرصة العمر للحصول على مبلغ محترم يعوّضها هي وابنيها عن حياة التقشف المريرة التي فرضها عليهم خليل، ثم يصرخ صوتٌ آخر يُحذّرها من أن تجعل مصيرها كمصير خليل، ووقتها سيفقد ابناها الأب والأم.

جاءها فـي النهاية صوتٌ هادئ ينصحها أن تكون أذكى من زوجها، وينبهها أن ياسمين دفعت لها عن طيب خاطر ثلاثين ألف جنيه وهي غير واثقة من عثورها على الفلاشة، فلو طلبت منها مبلغًا معقولًا، فستدفعه على الفور، طالما ستحصل على الفلاشة، ولن تخاطر بقتلها نظير مبلغ تافه بالنسبة لثروتها، لكن خليل من المؤكد أنه طلب ملايين الجنيهات، فدفع حياته ثمنًا لطمعه.

أشرقت الشمس دون أن تبرح شريفة مكانها، استقرت فـي النهاية على ضرورة معرفة ما تحتويه الفلاشة قبل أن تتخذ خطوتها التالية، عند التاسعة صباحًا، اتصلت بجارتها وطلبت منها لاب توب بحجة عطل مفاجئ حدث فـي اللاب توب خاصتها، فـي أقل من خمس دقائق أحضرته الجارة، فتحته لها وانصرفت، فـي لمح البصر وضعت شريفة الفلاشة فـي اللاب توب، فتحتها فوجدت بها ملفًا واحدا، بمجرّد أن فتحته، اتسعت عيناها حتى كادت أن تخرجا.

***

وصل محمود مكتبه فـي التاسعة صباحًا، اتصل بناهد زوجته واعتذر لها عن عدم إمكانية سفره إليهم كما وعدها من قبل بسبب القضية الجديدة مؤكدًا لها أنها ستنتهي سريعًا، وأنهى المكالمة قبل أن تسترسل فـي أي استفسارات.

أعاد قراءة أقوال كل مَن حقق معهم، وضع بعض الخطوط تحت أقوال كلّ منهم، جمعها فـي صفحة واحدة داخل مفكرته الصغيرة، فكّر طويلًا ثم التقط هاتفه، اتصل بعصام وطلب منه انتظاره فـي مكتبه، وإحضار إسماعيل من محبسه لرغبته فـى سؤاله مرة أخرى.

بعد أقل من ساعة، كان إسماعيل يجلس أمام محمود وعصام، سأله محمود:

- علمت أن شاكر المحامي هو أخر مَن غادر بعد الحفلة، هل تتذكر تحديدًا متى غادر؟

فكّر إسماعيل قليلًا ثم أجاب: فـي الثانية عشرة والنصف تقريبًا.

سأله محمود: هل رأيت أحدًا ينتظر خارج الفيلّا أثناء مغادرتك؟

إسماعيل: لا.

سأله محمود إن كان اتصل به أحد، أو اتصل هو بأحد بعد مغادرته الفيلّا حتى اتصال خليل به، فأجاب:

- لا، فقد رجعتُ إلى شقتي مباشرةً، حلّ التعب والإرهاق عليّ فقد كان اليوم طويلًا ومرهقًا، نمت دون أن أُبدّل ملابسي، واستيقظت على تليفون خليل ليخبرني بمقتل وجيه.

وقف محمود، ربّت على كتفه قائلًا: اطمئن يا إسماعيل، قريبًا ستظهر براءتك.

عاد إسماعيل إلى محبسه، اندفع عصام يسأل محمود إن كان تأكد من إدانة خليل، فابتسم محمود وردّ:

- بل تأكدت من اقتراب حل هذه القضية.

***

لم تذُق ياسمين طعم النوم فـي ليلتها، بقيت جالسة فـي حديقة الفيلّا حتى حلّ الصباح، لم تصدّق ما فعله وائل معها، بل لم تصدّق الصورة التي رأته عليها، تذكرت نظرة عينيه التي كادت تحرقها، فسرت رعدة فـي جسدها.

دارت أسئلة عديدة فـي عقلها كادت تذهب به، منها:

أين وائل الوديع الذي يستمع لكل ما تقوله له، ويتبع تعليماتها فـي كل شيء حتى لو لم يكن على قناعة بتلك التعليمات؟ هل أحبها بصدق، أم فعل ما فعله معها وكان هدفه الوحيد ثروة وجيه؟ هل كان يستغلها طوال هذه الفترة؟

بينما كانت تحاول جاهدة التوصل لأي إجابة عن تلك الأسئلة، إذا بوائل يمرُّ عليها فـي طريقه لمغادرة الفيلّا ذاهبًا إلى الشركة، ألقى عليها تحية الصباح، لم ترد، ولم يهتم بعدم ردّها.

ظلت تتابعه بناظريها شاردة، فجأة.. تذكرت الفلاشة، فتساءلت: «هل ستنصاع لوائل أم ستكمل مشوارها الذي بدأته وتحاول مرةً ثانية الحصول عليها؟»

***

-٢٤-

على شاشة اللاب توب، رأت شريفة صورة لياسمين مع رجُلٍ يلفُّ ذراعه حول كتفيها ورأسها مستندة إلى كتفه، وفي الخلفية ورائهما باخرة سياحية.

لم تتعرف شريفة على الرجُل، هداها عقلها أن ياسمين تريد إخفاء علاقتها بهذا الرجُل لأمرٍ يهمها، وإلّا ما جاءت ودفعت لها هذا المبلغ الكبير أملًا فـي الوصول لهذه الفلاشة.

أحضرت الكارت الشخصي الخاص بياسمين، قررت الاتصال بها ومساومتها على الفلاشة، بقيت طويلًا تفكّر فـي المبلغ الذي تطلبه منها، كاد عقلها يفتك بها، استقرت فـي النهاية أن مبلغ نصف مليون جنيه سيكون مناسبًا جدًّا، وستدفعه ياسمين بسهولة.

فجأة.. رنّ تليفون المنزل، ردّت فإذا بصوت رجُل يسألها إن كانت هي أرملة خليل الصفتي، فردّت عليه بالإيجاب، حدّثها بنبرة تهديد قائلًا:

«هناك شيءٌ يخصني كان يحتفظ به خليل، ستجدينه فـي منزلكِ، غدًا سأتصل بكِ فـي نفس الموعد لأُرتب معكِ الطريقة التي سأستلمه منكِ، وعليكِ أن تعلمي أن حياة ابنيكِ نظير هذا الشيء»

أغلق الهاتف دون أن ينتظر ردّا، بقيت جالسة فـي مكانها لا تُحرك ساكنًا، بعد أن شُلّ عقلها عن التفكير.

***

غادر محمود مكتب عصام، اتصل بوائل، فعرف بوجوده في الشركة، فأبلغه بأنه في الطريق إليه، استقبله وائل بوجهٍ جامد، لكنه أحسن ضيافته وأصرّ على تقديم القهوة له، لاحظ محمود حالة الجمود على وجه وائل، لكنه تجاهلها، شرب قهوته بتلذذ وهو يمتدح نوعية البُن بينما التزم وائل الصمت، وضع محمود فنجان القهوة من يده، بنبرة جادة خاطب وائل:

- في الحقيقة هناك معضلة كبيرة في أمرٍ يخصك أنت وشاكر، وبالأمس ذهبت لشاكر في محاولة لحلها، لكن للأسف زادها شاكر تعقيدًا بإجابته، فجئتك لعلك تساعدني في حلّها.

أبدى وائل استعداده للمساعدة بضجر، فأردف محمود:

- بخصوص اتهامك لشاكر بمحاولة ابتزازك بشأن الوصية، اتهمك هو بالكذب ودافع عن نفسه بانتفاء وجود أي مصلحة له في الأمر، بالإضافة إلى أن معلومة إلغاء الوصية لن تضر زوجتك أو تضرك في شيء، وحتى لو أثارت الشكوك حولكما، فالأبرياء لا يخافون، فما رأيك في دفاعه؟

بنبرة استخفاف ردّ وائل: أؤيده في قوله: «الأبرياء لا يخافون»، ولهذا طردته من مكتبي عندما حاول ابتزازي.

ابتسم محمود وعلّق: لا يسعني إلّا أن أشهد لكما بالذكاء، فكل منكما برأ نفسه من اتهام الآخر له بشكلٍ منطقي لا غبار عليه.

أكمل محمود شرب قهوته، ثم تكلم بنبرة خبيثة: حتى أكون صريحًا معك، أقنعتني جدًا بشأن قصتك مع شاكر، لكنك لم تُقنعني

بمبرر عدم طردك خليل من الشركة، فأي رجُل عندما يعلم أن زوجته تشتكي من نظراتٍ غير مريحة من رجُل يفتقر للأدب (على حدّ وصف زوجتك له)، لا بدّ أن يغلي الدم فـي عروقه حتى لو لم يعُد ينظر إليها كما ذكرتَ سابقًا! فهل لديك مبرر آخر تُقنعني به؟

لأول مرة منذ دخول محمود بدا الارتباك على وائل، ردّ قائلًا:

- بدايةً زوجتي لم تذكر لي الوصف الذي ذكرته لك، وربما كانت منفعلة ومتوترة لوجودها أمامك، فخرج منها وصف لا ينطبق على ما قالته لي، فكل ما حكته لي بالكلمة عن خليل: «نظراته غير مريحة، وهي لا ترتاح لشخصه»، وكانت تحكي باستخفاف، حتى عندما جاءت الشركة والتقته، لم تطلب مني فصله من العمل.

ابتسم محمود وعلّق: الآن أقنعتني.

همّ بالوقوف استعدادًا للمغادرة، لمح بروازًا على المكتب بداخله صورة وائل وبجواره شخص آخر، فلاحظه وائل فقال:

- هذه صورة لي مع والدي قبل أن أترك العمل معه بأيام.

تأملها محمود، ثم سأله:

- هل ندمت على قرارك بالعمل مع وجيه وانفصالك عن والدك؟

بنبرة أسى ردّ: أشد الندم.

***

بقيت شريفة فـي مكانها كتمثالٍ أصم، بعد وقت لا تعرف مدته، دخلت حجرة ابنيها، كانا نائمين، نامت بجوار كل واحد منهما بعض

الوقت تحتضنه ودموعها لا تتوقف، خرجت من حجرتهما، بدأت تشعر باسترداد وعيها، وبسرعة غريبة كأن قوة خفية تدفعها، بدأت تبحث عن الكارت الشخصي لمحمود الذي أعطاه لها يوم أن جاء لتعزيتها، بمجرّد عثورها عليه اتصلت به، حكت له بالتفصيل عمّا حدث، فطمأنها وأخبرها أنه سيمر عليها فـي المنزل بعد ساعة، فأبدت له تخوفها أن يكون منزلها مراقبًا من الشخص الذي هدّدها، فتتعرض فيما بعد للخطر هي وابناها، فأكد لها أن حمايتهم أصبحت مسؤوليته.

***

بعد أقل من ساعة، جلس محمود وعصام أمام شريفة فـي صالة منزلها، أعادت حكايتها مرة أخرى بالتفصيل منذ مجيء ياسمين لها حتى اتصال الشخص المجهول بها، لكنها أخفت تفكيرها فـي مساومة ياسمين مقابل الفلاشة، بل أخفت أيضًا معرفتها بما تحويه الفلاشة، أحضرت الفلاشة وسلّمتها لمحمود، فأخبرها أنه أمر بوضع حراسة أمام منزلها على مدار اليوم، إلى جانب وضع تليفون المنزل وهاتفها الخاص تحت المراقبة، وحتى تطمئن تمامًا أفهمها أنه بمجرّد فتح الفلاشة ومعرفة ما بها، فمن المؤكد أنها ستدلهم إلى شخصية المجهول الذي اتصل بها، وأكد أنه فـي أغلب الظن سيكون هذا الشخص عن طريق ياسمين.

***

فور دخول محمود مكتبه مع عصام، وضع الفلاشة فـي الكمبيوتر، فتحها فرأى صورة ياسمين مع وائل، وتاريخ الصورة يوضح أنها

قبل موت وجيه بأكثر من شهر، فـي الحال أعطى أوامره لعصام بالذهاب لياسمين وإحضارها فورًا دون إخبارها بشيء، فسأله عصام عمّا يفعله معها لو اعترضت ورفضت المجيء، وكررت أسطوانتها المعتادة بمعرفتها بحقوقها القانونية، وأن حضورها يستلزم استدعاءً رسميًا من النيابة، أو أمر ضبط وإحضار، فابتسم محمود وقال:

- فـي هذه الحالة، أبلغها أننا حصلنا لها على الفلاشة التي تبحث عنها.

***

-٢٥-

في السابعة مساءً، دخل عصام مكتب محمود ومن خلفه ياسمين ومعها وائل، اندفع وائل نحو محمود، خاطبه بانفعال: هل هذه طريقة محترمة لاستدعاء سيدة محترمة لتكرار أسئلة عقيمة لا جدوى منها؟

بهدوء شديد رنّ محمود جرسًا بجواره، فـي لحظة فُتح الباب، دخل أمين شرطة، أمره محمود باصطحاب وائل خارج المكتب، ونبّه عليه بوضعه فـي الحجز فـي حال إحداثه أي جلبة أو ضوضاء.

لم يُصدّق وائل ما سمعه، غطاه الذهول، استفاق على يد أمين الشرطة تجرّه بعنف للخارج، خرج يجرّ قدميه دون أن ينطق بحرف، لم تكن ياسمين فـي حاجة لأن تعرف مصيرها لو فتحت فمها وحاولت الاعتراض بكلمة، استأذنت محمود فـي أدبٍ جم أن تجلس معللةً بشعورها بالتعب الشديد والتوتر، فسمح لها، كانت كبرى المفاجآت لها عندما سألها محمود بوجهٍ مبتسم عمّا ترغب فـي شرابه، فطلبت عصير ليمون، أحضره الجندي لها فـي الحال، طلب منها محمود أن تشرب العصير، وأخذ يتهامس مع عصام، عرف منه أنه لم يضطر لإخبار ياسمين عن الفلاشة، فبمجرّد أن أبلغها باستدعائها لسؤالها عن بعض الأمور، فوجئ بزوجها يثور ثورةً عارمة، وأصرّ أن يأتي ليتشاجر معه.

انتهت ياسمين من شرب نصف الكوب، فابتسم لها محمود وسألها إن كان يمكنه التحدث معها الآن، فهزّت رأسها بالموافقة دون أن تنطق، اختفت الابتسامة من وجه محمود، وبنظرة صارمة ونبرة

حادة قال:

- بدايةً عليكِ مصارحتي بكل شئ خاصةً وأنا الآن فـي يدي ما أضعكِ بسببه فـي السجن، بل وأضمن لكِ حُكمًا لا يعلم مدّته إلّا الله.

ارتعشت واصطكت أسنانها، وقالت: ماذا فعلت لأُسجن؟

لم يُجِبها محمود بل سألها بهدوء:

- ماذا يُخيفكِ من الفلاشة الموجودة عند خليل؟

تبدّلت ألوان الطيف على وجهها فجأة، ثم استقر اللون الأصفر دون غيره، تلعثمت قائلة: أي فلاشة؟

رماها محمود بنظرة نارية ولم يردّ، أدار جهاز الكمبيوتر بطريقةٍ تُمكّنها من رؤية شاشته، فتح الفلاشة، بمجرّد رؤيتها للصورة، صرخت صرخة خافتة، انتابتها بعدها حالة من البكاء الشديد، انتظر محمود حتى هدأت، وبنفس النبرة الحادة خاطبها:

- أظنكِ فهمتِ الآن أنني أعرف ما الذي يُخيفكِ من الفلاشة، ولكن سألتكِ لأعرف إن كنتِ اخترتِ طريق الصراحة والصدق معي، أم لا زلتِ مُصرّة على أكاذيبكِ! وأنا الآن أُحذركِ للمرة الأخيرة، لن تستطيعي خداعي مهما حاولتِ ولكن ستضعين نفسكِ فـي محنة لا تُقدّرين عواقبها، ويجب أن ألفت انتباهكِ أننا نحقق فـي جريمتَي قتل والقاتل ما زال حرًا، وربما تجدين نفسكِ متهمة بالقتل! فأرجو أن تعلمي جيدًا أن إنقاذكِ لن يأتي إلّا باعترافكِ بالحقيقة كاملة، فأنتِ أول المشتبه بهم فـي قتل وجيه، وبعد العثور على تلك الفلاشة فـي منزل خليل وذهابكِ لأرملته وما صار بينكما، يجعلكِ

أيضًا أول المشتبه بهم فـي قتل خليل، ولن ينفعكِ مخلوقٌ وأولهم زوجكِ.

لم تشعر ياسمين طيلة حياتها بخوفٍ مثلما شعرت فـي هذة اللحظة، حاولت أن تمسك إحدى يديها باليد الأخرى لتوقف الرعشة الهائلة التي انتابتها، مرّت عليها الثواني كأنها الدهر، ناولها عصام كوب العصير لتشرب ما تبقى منه، فشربت بيدين مرتعشتين دفقة واحدة غير عابئة بما يتساقط منه على ملابسها، بدأت تهدأ رويدًا رويدا، شخصت ببصرها الى الفراغ، تركت لعقلها العنان، بدأت تحكي ودموعها تمتزج بالكلمات، فأكسبتها طعم الصدق:

«قبل موت وجيه بثلاثة أشهر تقريبًا، ذهبتُ إليه لعمل تحقيق صحفي، منذ اللقاء الأول معه، لمحتُ فـي عينيه نظرة حُب صادقة، تعجبتُ بشدة، فهو إنسانٌ ناضج، حنّكته الدنيا، فكيف يقع فـي الحُب من أول لقاء؟!

رجعتُ إلى منزلي وصورته بل الأدق نظرة حُبه الصادق لم تفارقني، كنتُ أعيش وحيدة بعد سفر شقيقَي للخارج ووفاة أمي، شعرتُ فـي هذة الليلة بسعادة تسكنني، كان سببها ثراء وجيه، فحياتي التي عشتها لم تكن سهلة، يكفيك تعرف أن مراحل حياتي المختلفة شرقت مني، فلم أعِش منها سوى طفولة مبكرة سعيدة، عشتُ بعدها بقية حياتي على ذكرى الأيام القليلة التي أتذكرها فـي تلك المرحلة، أتذكر حضن أبي الذي يحميني، ومنذ غيابه أصبحت أعيش بلا أمان، فراتِت عندي عقيدة أن النقود هي حصن الأمان

فتستطيع الحفاظ عليها، بل يمكنك أن تضاعفها، فصمّمت على الزواج من وجيه.

كانت الخطوة الأولى أن أتاكد من ظنوني بُحبه لي، فانقطعت عن زيارته يومين اثنين، فإذا به يتصل بي ليسألني عن السبب متحججًا برغبته فـي استكمال التحقيق الصحفي، فبررت له بأكاذيبٍ اختلقتها.

ذهبت إليه فـي اليوم التالي فـي كامل أناقتي، بمجرّد دخولي مكتبه، فضحته عيناه وهو ينظر لي، ويده وهي تصافحني، ونبرة صوته وهو يحدّثني، فتأكدتُ أن ظنوني صادقة، من ناحيةٍ أخرى جاءت طريقة تعامله معي لتؤكد على حُسن نواياه، فلم يأتِ بأي لفظ أو تصرف يعكس سوء أخلاق.

تعددت زياراتي لوجيه فـي الشركة، وفي إحدى الزيارات، التقيت وائل معه فـي مكتبه، وقدّمه لي أنه صديقه الأقرب وكاتم أسراره، فتأكدتُ أنه حكى له عني، وبالرغم من ذلك فقد اندهشت لنظرة خرجت من وائل لي فـي غفلة من وجيه، لم أشغل نفسي بتفسيرها، بعد ذلك التقيته مرةً أخرى، ويومها تأكدت من إعجابه بي، وللحق شعرت لحظتها بشيءٍ ما يجذبني إليه، لكنني أبعدته عن فكري سريعًا.

بعد مرور شهر من بداية علاقتي بوجيه، فوجئت به يطلب مني استكمال التحقيق الصحفي خارج الشركة، واختار أحد الفنادق الكبرى ليكون مكانًا دائمًا للقائنا، نتناول الغداء ونستكمل الحديث، وحتى يُطمئنني أطلق عليه «غداء عمل»، بالطبع أبديت له ترددي

فـي البداية ثم وافقت، فقد كنت أتوق لهذا الأمر؛ حتى أقترب من تحقيق حلمي الذي كدت ألمسه بيدي.

على مدار أسبوعين تقريبا، خرجت معه عدة مرات، وفي المرة الأخيرة فوجئت به يمسك يدي، ويطلبني للزواج، أبديث له التمنع المغلّف بالموافقة متعللةً بأنه لا يعرف عني شيئا، بدأت أحكي له عن أسرتي، بمجرّد سماعه اسم والدي لاحظتُ تغيّرًا كبيرًا عليه، فسألته فـي الحال، راوغ بذكاء، لكنني كنت على يقين أن هناك ما يخفيه عني، استطاع بدهاء تجاوز الموقف، وانتهت جلستنا بأن طلبت منه مهلة للتفكير، فلم يمانع.

فوجئت فـي اليوم التالي بوائل يأتي إلى مكتبي فـي الجريدة وعلى وجهه علامات القلق، أخبرني أن هناك أمرًا خطيرًا وعاجلًا يريد مناقشته معي، فتركت العمل وخرجت معه، ذهب بي إلى إحدى البواخر النيلية وبادر قائلًا:

«بدايةً عليكِ أن تُقسمي لي أنّ ما سأقوله لكِ الآن يبقى سرًا بيننا للأبد»

فأقسمتُ له والفضول يقتلني لسماع ما سيحكيه، فعاد يقول:

«أُقسم لكِ أن ما يدفعني الآن لِما أفعله، هو إخلاصي الشديد لوجيه، وخوفـي عليكِ، فأنا فهمت منه أنه بصدد الزواج بكِ، ولكن هناك سرًا لا بدّ أن تعرفيه أولًا قبل زواجكِ منه، حتى تقرري إن كنتِ تستطيعين الزواج منه أم لا»

حكى لي عمّا فعله والده بوالدي، وتسببه فـي سجنه وموته قهرا،

دارت بي الدنيا لحظتها، امتلأ قلبي وعقلي بكراهية وجيه وأهله، بل رأيتهم هم مَن دمروا حياتي وأتعسوني، لم أردّ على وائل بكلمة، طلبت منه توصيلي لمنزلي، كنت أشعر بدوار خفيف (وهذا سبب وضعي معه في الصورة الموجودة على الفلاشة)، في الطريق صارحني بأن وجيه اكتشف هذا الأمر أمس فقط عندما حكيت له حكايتي، وهو الآن حائرٌ لا يعلم ماذا يفعل! كنتُ أسمعه دون أي رد مني.

أصرّ وائل أن يصطحبني إلي شقتي حتى يطمئن عليّ، دخلت الشقة، رفض الدخول احترامًا لوجودي بمفردي، لكنه فعل ما لم أتخيله، فقد وضع قبلة على جبيني، وهمس:

«أنا سندكِ وظهركِ.. فلا تحملي الهمّ»

لم أعرف يومها إن كنت أعيش كابوسًا أم حُلما! عندما أتذكر ما قاله وائل عمّا حدث لأبي أعيش الكابوس، وعندما أتذكر رقة تصرفه معي وهو يودّعني أعيش حُلمًا جميلا، فالحقيقة أنني لم أشعر بأي عاطفة نحو وجيه، وبمجرّد أن حكى لي وائل، تملّكتني الكراهية نحوه، أمّا وائل فقد تملّكني شعورٌ نحوه لم أعِشه من قبل، حتى عندما قبّلني لم أصده، بالرغم أنني ما كنت أسمح لمخلوقٍ أن يفعل ما فعله وائل، لكنني اكتشفت عندما ألقيت رأسي على كتفه، أنني أرتاح على شاطئ بعد طول سباحة في بحرٍ ليس له شطآن.

عند منتصف الليل، اتصل بي وائل يطمئن عليّ دون التطرق لأي حديث، كان اتصال قصير لم يعطِني فرصة لإطالته.

في الصباح الباكر، اتصل بي وائل وطلب مني لقاءه السابعة مساءً

فـي نفس المكان، وشدّد عليّ أن أكون طبيعية فـي تصرفاتي مع وجيه حتى لا يعرف أنه حكى لي، وبالفعل، اتصل بي وجيه فـي نفس اليوم لاستكمال جلساتنا، فاعتذرت له بحجة تكليفي بمهمة من الجريدة.

التقيت وائل فـي الموعد والمكان المحددين، كان بشوشًا مرحا، طلب على الفور طعامًا مُبررًا أنه أجّل تناول غدائه ليتناوله معي، لم تفارق الابتسامة وجهه، ولم تغِب نظرة إعجابه بي عن عينيه، لم يحكِ عن وجيه فـي هذا اليوم كلمة، بل حكى لي عن حياته، وفي نهاية جلستنا، فوجئت به يمسك يدي، ويقول:

«أُريد العيش معكِ للأبد.. فهل توافقين؟»

سحرتني كلماته، فلم أرد، لكن دون أن أشعر شددت على يده.

أقلني بسيارته إلى منزلي، وقبل أن أنزل منها، إذا به يقول:

«هل فكرتِ ماذا ستفعلين مع وجيه؟»

علي الفور أبلغته قراري بأنني سأنهي معه التحقيق الصحفي، ثم أقطع علاقتي به للأبد، فلم أعُد أطيق رؤيته، فوجئت به يقول لي:

«هذا خطأ جسيم، عليكِ أن تستردي منه حق والدكِ أولًا»

فاندهشت وسألته: كيف؟ فأجابني:

«سأفكّر فـي الأمر، وأخبركِ لاحقًا»

ازداد حُبي لوائل بسبب رغبته فـي الانتقام لوالدي من وجيه، بل الانتقام منه لكل أسرتي وأنا أولهم.

استطاع وائل أن يُقنع وجيه بمصارحتي بسرّ والدي؛ حتى لا أكتشفه بطريقة أو أخرى في يومٍ من الأيام فأكرهه، أمّا هو فيستطيع أن يُغلّف الحكاية بكلامٍ طيب يخفف من قسوة ما فعله والده مع والدي.

بالفعل، صارحني وجيه، فأبديت دهشتي للحكاية، وطلبت منه إعطائي مهلة طويلة للتفكير في أمر زواجنا حتى لا نندم، وألّا نلتقي خارج الشركة والاكتفاء بزياراتي له في الشركة، فوافقني دون نقاش.

أصبحت لا أستطيع العيش دون وائل، كنت أسأله يوميًا إن كان وجد الطريقة التي أنتقم بها من وجيه، وكان ردّه الوحيد «ليس بعد»، وإذا به يأتيني قبل موت وجيه بأسبوعٍ واحد ويقول:

«وجدت الطريقة التي تنتقمين بها من وجيه شر انتقام»

فسألته بلهفة عنها، فأجابني: «نتزوج فورًا»، كاد عقلي يطير من الفرحة فهذا ما كنت أتمناه، ولكن لم أعرف كيف سيكون هذا انتقامًا من وجيه! فأفهمني أنني المرأة الوحيدة التي أحبها وجيه، وهو الشخص الوحيد الذي يثق فيه، وبهذه الطريقة سيخسر أهم شخصين في حياته، ولن يشعر بالأمان لأحدٍ مرةً أخرى، فنحرمه بقية حياته من شعور الأمان، كما حرمني منه عندما أفقدني والدي.

لم أتمالك نفسي لحظتها، وضعت قبلة على جبين وائل ولم أعبأ بوجودنا في مكانٍ عام، بعد يومين تزوجنا، لكنه طلب مني أن يكون زواجنا في السر؛ حتى يتحين الوقت المناسب لإخبار وجيه، فقد وضع رأس ماله كله في شركة وجيه ليستثمره فيها، وعليه أن

يسترده أولًا قبل خسارته وجيه للأبد.

تزوجنا، وبعد أقل من أسبوع قُتِل وجيه، فوجئت بعد ذلك بأمر الوصية، فتملّكني وقتها شعورٌ بالأسف على وجيه، ولأول مرة أشعر أن بداخله إنسانًا.

عرفت من وائل قبل موت وجيه أن خليل التقط صورة لنا وهدّده بطريقة ملتوية بإرسالها لوجيه، خشيَ وائل معرفة وجيه قبل أن نكمل خُطتنا، فأعطاه مبلغًا كبيرًا من المال ليُسكته».

سكتت ياسمين، التقطت أنفاسها اللاهثة، وأردفت: أُقسم لك أن هذه هي الحقيقة كاملة.

محمود: متى أعلنتما عن زواجكما؟

ياسمين: بعد موت وجيه بشهر تقريبًا.

سرح محمود قليلًا قبل أن يسألها:

- لماذا ذهبتِ إلي شريفة لتبحثي عن الفلاشة، والأمر انتهي بعد موت خليل ولم يعُد للصورة قيمة؟!

بتلقائية شديدة ردّت: أردت أن أقطع هذه الصفحة من كتاب حياتي للأبد، وفكّرت لو أن شريفة تعلم عن هذا الأمر شيئًا فلن تعطيني الفلاشة، لكنها لو تجهله، فسأخذ الفلاشة ولن يكلفني الأمر سوى القليل من النقود، وبمجرّد أن ذهبت إليها واكتشفتُ أنها تجهل اسمي، تأكدت أنني سأحصل على الفلاشة بسهولة.

محمود: هل أوصيتِ أحدًا يتصل بها ويهددها بقتل ابنيها؟

أطرقت رأسها، وبصوتٍ خفيض اعترفت أنها اتصلت بها وغيّرت صوتها ليبدو كصوت رجُل، ثم انهارت باكية وأقسمت أنها لا تستطيع أذية مخلوق، لكنها فقط أرادت أن تُخيفها، ثم عرضت دفع أي تعويض لشريفة لتسامحها على فعلتها الحمقاء معها.

محمود: هل علمتِ أن وجيه كان ينوي إلغاء الوصية؟

ارتسمت دهشة بالغة على وجهها وردّت: لا، لم أعلم!

محمود: هل فاتحكِ وجيه فـي أمر زواجكما مرةً ثانية قبل موته؟

ياسمين: لا، المرة الوحيدة التي حكيت لك عنها.

***

اصطحب عصام ياسمين للانتظار خارج المكتب، وأدخل وائل دون إعطائه فرصة للحديث معها بناءً على تعليمات محمود.

جلس وائل بوجهٍ متحجر بعد أن تركه محمود واقفًا للحظات قبل أن يأذن له بالجلوس، وبنبرة حاسمة خاطبه:

- أدلت زوجتك الآن باعترافات تفصيلية من شأنها أن تضعك كمتهمٍ أول فـي قتل وجيه، وأيضًا كمتهمٍ أول فـي قتل خليل، فلم يعُد أمامك إلّا طريقٌ واحد للنجاة هو الاعتراف بالحقيقة كاملة.

صرخ وائل: أُقسم لك لم أقتل وجيه أو خليل، أنا بريء.

باستخفاف ردّ محمود: لو أننا نأخذ بقسم المتهمين ببراءتهم ما دخل أحد السجون! نحن نأخذ بالحقائق والأدلة فقط، وأنا الآن أعطيك فرصتك الأخيرة لتنجو من حبل المشنقة، فعليك اقتناصها.

ازدرد ريقه، وبصوتٍ متلعثم سأل عمّا شهدت به زوجته وأدانه؛ ليستطيع الدفاع عن نفسه، فضحك محمود وردّ:

- طلبت منك طلبًا واحدًا أن تقول الحقيقة، ولم أطلب منك أن تُعمل عقلك، فصدّقني لن يفيدك، والآن لا أُريد إضاعة المزيد من الوقت، فإمّا أن تحكي فورًا، أو أُعطي أوامري بإحالتك للنيابة محبوسًا بتهمتَي قتل.

شرب وائل بعض الماء، سأل محمود بنبرة متلعثمة عمّا يرغب منه أن يحكيه، فطلب منه محمود أن يحكي بالتفصيل منذ مجيء ياسمين إلى الشركة وزواجه منها مرورًا بعلاقة وجيه بها.

بصوتٍ متقطع بدأ يحكي، جاءت حكايته مطابقة تمامًا لِما حكته ياسمين، ثم أنهى كلامه بقسمٍ مغلظ أنه حكى الحقيقة كاملة.

محمود: لماذا ادّعيت سابقًا عدم معرفة ياسمين بقصة والدها، بل طلبتَ منى أن يبقى الأمر سرًّا بيننا؟

وائل: خفت وقتها لو حكيتُ الحقيقة أن تزداد الشبهات حول ياسمين فـي قتل وجيه، فأردتُ حمايتها بهذه الكذبة، لكن الآن لم يعُد هناك مهرب من ذكر الحقيقة كاملة.

حدّق محمود فـي عينيه وسأله: هل كنت تجهل بأمر الوصية كما ذكرت سابقًا؟

وائل: أُقسم أنني لم أعلم بها إلّا بعد موت وجيه.

محمود: هل واقعة شاكر معك بشأن الوصية حدثت كما حكيتها لي؟

وائل: أُقسم لك أنها حدثت كما ذكرتها بالحرف.

بتهكُّم سأله محمود: كيف كنت الصديق الأقرب لوجيه، ويأخذ مشورتك فـي كل ما يفعله مع ياسمين، ثم يُخفي عنك أمر الوصية؟!

وائل: فـي الأسبوع الأخير من حياة وجيه، كنت أُمهد لخروجي من الشركة واسترداد أموالي، فبدأت أفتعل المشكلات معه، وساءت العلاقة بيننا، وكما عرفتْ منك سابقًا أن وجيه كتب الوصية صباح يوم الحفلة، فلم تكن علاقتنا فـي هذا التوقيت تسمح ليحكي لي عن أسراره.

بحدّة سأله محمود: أين كنت فجر الثلاثاء الماضي بين منتصف الليل، والثالثة فجرًا؟

ارتبك وائل وردّ: كنت نائمًا فـي منزلي، ويمكنك أن تتأكد من كاميرات الفيلّا أنني لم أُغادر منذ عودتي فـي الثامنة مساءً.

محمود: هل كانت علاقتك قوية بوجيه قبل ظهور ياسمين فـي حياته؟

وائل: قوية جدًا.

بنبرة استنكار سأله محمود: وكيف قبلت لنفسك خيانة صديقك والارتباط بمَن أحبها وأراد الزواج بها؟!

أجاب وائل بارتباك: حُبي لياسمين فاق الحدّ، وخفت أن يتزوجها وجيه ويزهدها بعد فترة، فوجيه كان كالطفل، يتشبث باللعبة وبعد امتلاكه لها يسأمها.

نظر إليه محمود محدقا وسأله: ما سر كراهيتك لوجيه للدرجة التي تجعلك تفكر لياسمين فـي خطة لتنتقم منه؟

وائل: لم أكره وجيه! ولكن كما قلت سابقًا حُبي لياسمين الجارف ورغبتي فـي إسعادها هو ما دفعني لهذا التفكير، وفي النهاية كانت خطة انتقام تخلو من أي فعل إجرامي.

***

فور خروج وائل والفرحة تكاد تقفز من وجهه بعد أن سمح محمود له بالانصراف بصحبة ياسمين، اندفع عصام قائلًا:

- إنه يكذب يا أفندم! المنطق الوحيد للأمور حتى تستقيم، أن وائل هو مَن أقنع وجيه بكتابة الوصية ثم قتله، فما حكته ياسمين يؤكد أن وائل كان يحرك وجيه كالدمية، فهو مَن أقنعه بحكيه السر لياسمين وأخذ وجيه بنصيحته، أمّا بخصوص المبرر الذي ساقه لياسمين أن زواجهما هو خير انتقام من وجيه؛ ليحرمه من شعور الأمان كما حُرمت هي منه، فهو مبرزٌ ساذج لا ينطلي إلّا على فتاة ساذجة مثل ياسمين.

ابتسم محمود وردّ بهدوء: معنى هذا أنك الآن تُبرئ خليل من قتل وجيه، وتتهم وائل!

ارتبك عصام وردّ: ربما يكون خليل قتل وجيه بتحريضٍ من وائل!

محمود: اتفقنا سابقًا على أمرين:

الأمر الأول: لو أن خليل هو قاتل وجيه، فلن يستطيع ابتزاز مَن حرّضه على القتل؛ لامتلاك المُحرّض أداة القتل التي تُدين خليل.

الأمر الثاني: أن خليل هو مَن كان يبتز وائل، بدليل توقف محاولة ابتزازه بعد موت خليل.

مما سبق، نخلُص إلى نتيجة واحدة هي:

- «لو كان خليل قتل وجيه بتحريضٍ من وائل، فهو باليقين بريءٌ من محاولة ابتزازه»

ردّ عصام بحماس: من الممكن أن يكون هناك شخصٌ آخر هو مَن حاول ابتزاز وائل، ولسببٍ ما، رجع عن ابتزازه.

وفي هذه الحالة يصح تطبيق نظريتي أن خليل قتل وجيه بتحريضٍ من وائل، بل ومن الجائز أيضًا أن وائل قتل خليل ليتخلص منه، ويُغلق ملف قتل وجيه للأبد.

محمود: وإذا أثبتت كاميرات الفيلّا أن وائل لم يغادرها -وأنا على يقين أنها ستثبت ذلك- فـي توقيت قتل خليل، فمَن قتل خليل؟

عصام: هل أنت على يقين يا أفندم أن وائل لم يقتل خليل؟!

محمود: بل على يقين أن كاميرات الفيلّا ستثبت صحة أقواله، وإلّا ما ذكرها واستشهد بها لنا.

عصام: أرى أن وائل لو كان بريئًا من قتل خليل، فمن المؤكد أن هناك شخصًا آخر، حاول خليل ابتزازه لأمرٍ لا نعرفه، فقتله، فحتى الآن لا أجد مبررًا لإصرار سيادتك على ربط الجريمتين معًا؟!

بهدوء ردّ محمود: سأشرح لك سبب إصراري على ربط الجريمتين معًا:

«استدعيتُ خليل مساء الأحد، حذّرته من أمرٍ واحد هو «خطورة إخفائه معلومات بشأن مقتل وجيه»، ذهب إلى منزله، وعلى حدّ قول أرملته بات ليلته ساهرًا فـي شرفة منزله والهمّ والفكر يغطيان وجهه، وهذا يعكس حيرته بين خوفٍ زرعتُه فـي قلبه، وبين طمعه فـي استغلال ما تصور أنه يملكه ضد قاتل وجيه، وسيجني من ورائه المال، لكن للأسف انتصر طمعه فـي النهاية.

خرج صباحًا واستأذن من عمله، ثم أجرى أربع مكالمات تليفونية فـي أوقاتٍ متلاحقة مع «أشخاصٍ نحقق معهم فـي قتل وجيه»، بعدها عاد لمنزله مبتهجًا ونام حتى المساء، وهذا يعكس أنه نفّذ مخططه بنجاح - من وجهة نظره - فـي ابتزاز أحدهم.

خرج ليلًا، ثم وُجد مقتولًا فـي سيارته وفي قبضة يده رزمة نقود، وهذا يعكس أنه التقى مَن يبتزه، أعطاه النقود لينشغل فـي عدّها، ثم قتله»

لم يستطع عصام أن يجادل، فابتسم محمود وأردف قائلًا: مشكلتك يا عصام أنك مثل الكثيرين، تُركّز على جزءٍ واحد فـي الصورة، وتنسى رؤية باقي الصورة، وهذا ما حدث معك فـي بداية القضية، رأيتَ الجزء الخاص بهروب الخادم، والعثور على النقود أسفل فراشه، ممّا يؤكد أنه قتل مخدومه وهرب، فاعتبرتَ هذا الجزء هو الصورة الكاملة للجريمة، وهذا خطأ جسيم!

في هذه اللحظة وقعت عينا محمود على الفلاشة المفتوحة فـي شاشة الكمبيوتر، فتذكر شريفة، التقط هاتفه، اتصل بها، أبلغها أنهم توصلوا لمَن اتصل بها وهدّدها، وانتهى الأمر، طالبًا منها نسيان

القصة تماما، والتفرغ لرعاية ابنيها، كادت فرحتها تقفز عبر السماعة، بعد ذلك سألَت محمود عن كيفية تصرفها فـي النقود التي أخذتها من ياسمين، فضحك وردّ قائلًا:

- هذا ثمن قلقكِ الذي عشتِه بسبب تلك الفلاشة، وهذه النقود حقكِ وحق ابنيكِ.

انهالت بالدعوات على محمود، وجاء صوتها مختلطًا بدموع فرح، فشكرها محمود وأغلق الهاتف.

***

-٢٦-

طوال الطريق إلى فيلّتهما، التزمت ياسمين الصمت مع وائل بعد أن أجابته عن سؤالٍ وحيد سأله لها فور خروجهما من مديرية الأمن بشأن ما قالته لمحمود، فأكدت له أن أقوالها تطابقت تمامًا مع ما حفّظه لها.

عند عودتهما بقيت جالسة فـي حديقة الفيلّا مبررةً لوائل أن أعصابها مرهقة بسبب طول التحقيق معها، وترغب فـي الجلوس بمفردها، حتى تهدأ، فلم يهتم وصعد إلى حجرته.

تأكدت ياسمين أن وائل يتمتع بذكاءٍ ودهاء أخفاهما عنها طوال الفترة السابقة، بل أظهر لها صورة النقيض، وأقنعها أنه يسير بأفكارها الذكية، بدأت تتذكر عندما ذهب للشرطة للإبلاغ عن الشخص المُبتز، بدا الأمر كما لو كانت هي مَن أمرته، لكن الحقيقة هو مَن أوحى لها بالفكرة، ثم أقنعها أنه خضع لرأيها، مُستغلًا زهوها بنفسها بسبب مديحه لها.

تذكرت كيف جاءها عصر اليوم، يعاتبها ويوبخها بقسوة بسبب أن ذهابها لشريفة اضطره للاتصال بها يهدّدها، لأنها من المؤكد ستكتشف أهمية الفلاشة وتبحث عنها حتى تجدها وتعاود ابتزازهما، كما أن ذهابها لشريفة سيجعل محمود يستدعيها مرةً أخرى وهذه المرة لن تمرّ بسلام، ظلت تعتذر له وتُقسم أنها لن تفعل أي شيء مستقبلًا دون إخباره، ثم توسلت له أن يجد لها مخرجًا من هذه الورطة، فأبدى إشفاقه عليها، وبدأ فـي تحفيظها ما تقوله أمام محمود، فطاوعته صاغرة، ثم طمأنها بمرافقته لها، ووعدها بأنه لن

يتخلى عنها.

وكأن غمامة انقشعت من أمام عقلها، فأدركت أنه من المستحيل أن يكون ذهابها لشريفة هو سبب استدعاء محمود لها، لأن شريفة لن تذهب وتشتكيها لمحمود، فهي لم تؤذِها في شيء! لكن من البديهي أن اتصال وائل بشريفة وتهديده هو سبب استدعاء محمود لها، بل إن وائل جعلها تعترف على نفسها أنها هي مَن أتت بهذا الفعل، بعد أن أقنعها أن محمود لن يتخذ أي إجراء ضدها عكس لو اعترف هو على نفسه، ولم تكن تجرؤ لحظتها مناقشته فيما يقوله لها.

وإذا بسؤالين يقفزان إلى عقلها جعلا أوصالها ترتعد:

الأول: لماذا أمرها وائل بألّا تحكي لمحمود عن اتصال خليل به قبل قتله بثلاثة أيام، يهدّده بالصورة مقابل خمسة ملايين جنيه، فكتبت بالمبلغ شيكًا صرفه وائل ليعطيه لخليل؟!

الثاني: هل قتل وائل خليل بسبب ابتزازه له؟!

بقيت ياسمين شاردة تفكر ثم همست:

«لماذا أصرّ وائل ألّا أخبر محمود بأن زواجنا تم بعد معرفتنا بوصية وجيه؟»

***

قرّر محمود المبيت هذه الليلة في المكتب؛ ليتمكن من إعادة قراءة ملاحظاته التي دوّنها سابقًا إلى جانب أقوال الشهود، بعد أن تجمعت أجزاء متعددة في الصورة، ولم يعُد ينقصها سوى الجزء الأخير لتكتمل الصورة أمامه ويعرف مَن قتل وجيه وخليل، طلب

من الجندي إحضار بعض الشطائر، تناولها على عَجَل، شرب بعدها كوبًا كبيرًا من القهوة، انكبّ على أوراق القضية، كان قد وضع دائرة حمراء في السابق حول أحد الأسماء، فعاد ووضع واحدةً مشابهةً حول اسمٍ آخر، ثم خطّ تحت أقوال بعض الشهود خطوطًا حمراء، بعدها دوّن بعض الملاحظات في مفكرته الصغيرة.

مضى الوقت دون أن يشعر به، لاحت تباشير الفجر في الأفق، أرجع ظهره للوراء، ومدّ ساقيه للأمام، تذكر مقولة وردت على لسانه أثناء تحقيقه لإحدى القضايا السابقة، فارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه، همس بصوتٍ يكاد يُسمع:

«حقًا.. ما أسهل أن تدّعي.. على شخصٍ ميت!»

***

(هذا الفصل من مذكرات وجيه الكيلاني)

لسببٍ ستعرفونه لاحقًا، قررتُ أن أكتب مذكراتي اليوم بطريقة مختلفة، فلن أبدأها بالمقولات التي أبدأ بها في كل مرة، والتي تُعبّر عن قناعاتي الخاصة في هذه الدنيا، لكنني سأُعيد عليكم حوارًا دار بيني وبين وائل، عندما كنت أُحدّثه عن حفل عيد ميلادي المُزمع إقامته قريبًا، وإليكم نَصّ الحوار:

وائل: كيف تُقرر أن تكون حفلة عيد ميلادك بهذا السوء!

أنا: على العكس تمامًا! هذه الحفلة ستكون الأجمل، فسنستمتع فيها لدرجة لا حدّ لها.

فسألني باستغرابٍ واندهاشٍ بالغين:

- كيف وقد تعمّدتَ أن تكتفي بدعوة حفنة من الثعابين؟!

ضحكتُ قائلًا: وهذا أجمل ما فيها! ثم توقفتُ عن الضحك وأردفتُ:

- عبر رحلة امتدت نحو ثلاثة عشر عامًا، اعتدت أن ألتقي بين الفينة والأخرى ثعبانًا فأقتله على الفور لخشيتي منه، لكنني اليوم - وبعد ما وصلت إليه - لم أعُد أخشى الثعابين، بل أصبحوا هم يخشونني، فأردت أن أجعلهم يتراقصون أمامي ربما أحدهم يلدغ واحدًا منهم، فتزداد متعتي.

أنهيتُ عبارتي، عدتُ للضحك، بينما ظلّ وائل على اندهاشه، فلم يقتنع بما سردته، زمّ شفتيه وردّ عليّ بتهكُّم:

- أخشى أن يُخطئ أحدهم ويلدغك أنت!

بسخرية شديدة رددتُ عليه: ماذا تقول يا رجُل؟! ألا تعلم أنني محصنٌ ضد سموم الثعابين!

بنبرة ساخرة حذّرني وائل قائلًا: لا تنسَ أن الغرور يقتل صاحبه!

فرددت عليه بكل ثقة: أنا لست مغرورًا، لكنني أرصد الحقيقة! وإن كنتَ لا تُصدّقني فاسأل نفسك: أنت تعمل معي منذ سنتين، فهل تأثرتُ يومًا بسُمّك، على الرغم أنك تفوق أشد أنواع الثعابين فتكًا؟!

رنّت ضحكتي العالية وسط ذهول وائل، امتقع وجهه ولم يُعقّب بكلمة، ثم خرج مهرولًا من مكتبي.

***

-٢٧-

(الجمعة - الثاني عشر من يوليو)

استيقظ محمود في السابعة صباحًا، أنهى حمّامه سريعًا، تناول إفطاره، شرب قهوته وهو يتصفح ما توصل له بالأمس، كان على وشك الاتصال بياسمين ليطلب منها الحضور، ففوجئ بها تتدخل المكتب وهالات سوداء تحيط عينيها تعكس سهرًا طويلًا والإعياء يبدو على وجهها، استقبلها بابتسامة عريضة، أحضر لها عصيرًا وبعض الفطائر، وأصرّ أن تأكل وتشرب قبل أن يتحدثا، فطاوعته، عندما انتهت بدأ هو مبادرة الحديث قائلًا:

- مجيئكِ دون استدعائي لكِ، يؤكد أنني أسير في الطريق الصحيح في القضية، بل يؤكد على صحة الصورة التي رسمتها لكِ، والآن كلي آذان صاغية لسماعكِ.

بدأت ياسمين حكيها بمصارحتها لمحمود بأنها لأول مرة يتسرب الشك في قلبها نحو وائل، أقسمت أنها لم تنَم ليلتها بسبب الحيرة التي كادت تقتلها وهي تتساءل إن كان بريئًا أم مُدانًا؟! فاستقرت في النهاية أن تأتي وتعترف له بكل شيء، لحقتها فيه بوصوله للحقيقة.

ثم حكت له تفصيليًا كيف توقع وائل استدعاءها، فحفّظها أقوالها التي أدلت بها أمامه أمس، وكذبها بشأن تهديدها لشريفة، وإخفائها لاتصال خليل بوائل لتهديده، وكتابتها شيكًا بخمسة ملايين جنيه لوائل، ليعطيها لخليل، وأخيرًا اعترفت أن عقد قرانها على وائل تم

قبل موت وجيه بأسبوع، لكن زفافهما تم بعد أن علما بوصية وجيه، لكن وائل أصر أن تعترف فـي التحقيقات أن زواجهما تم قبل موت وجيه، ووثيقة الزواج ستثبت صحة أقوالهما.

سألها محمود عمّن منهما حدد موعد الزفاف، فأفادت أنه وائل، ثم عاد وسألها:

- متى أخبركِ وائل عن اتصال خليل به؟ وماذا كان رأيه؟

ياسمين: قبل مقتل خليل بثلاثة أيام، جاء وائل وأخبرني أن خليل اتصل به على هاتفه، وطلب منه خمسة ملايين جنيه وهدّده مرةً أخرى بالصورة، لأنها ستضعنا محلّ شكّ قوي بعد إعادة فتح التحقيق، رأى وائل أن نعطيه حتى لا نضع أنفسنا محل اتهام، فاعترضتُ مبررةً أن خليل لا يشبع، بالإضافة أننا أبرياء ولا نخشى شيئا، فإذا به يقترح أن يستكتب خليل إيصال أمانة بالمبلغ حتى يضمن ألّا يهدده مرةً أخرى، وأقنعني أننا أبرياء لكن من المحتمل أن يتم حبسنا على ذمة القضية، فنمضي أيامًا صعبة فـي السجن إلى أن تثبت براءتنا، ارتعبت، فأيّدته على الفور فـي رأيه، وكتبتُ له شيكًا باسمه ليصرفه ويعطي النقود لخليل.

محمود: هل أعطى وائل النقود لخليل؟

ياسمين: لا أعرف! فعندما سألته ضحك وطمأنني، وأكّد لي أن الأمر انتهى، وجاء موت خليل ليبعث الطمأنينة فـي قلبي فنسيت أمر النقود، لكن شيطاني أوحى لي أن أذهب وأفتش فـي منزله حتى أنتهي من هذه القصة، فقد خفت أن تكون أرملته تعرف بها، وتُعيد الكَرّة فـي تهديدنا.

محمود: هل ما حفّظه لكِ وائل بشأن حكايتكِ معه ومع وجيه، كان صدقًا؟

ياسمين: أُقسم لك كل ما حكيته كان صدقًا، باستثناء نصيحة وائل لوجيه بأن يصارحني بالحقيقة، فهذا لم يحدث، بل أخبرني وائل أنه لم يُعطِه أي نصيحة في هذا الشأن، وبقيت علاقتي بوجيه طبيعية حتى أخر يوم في حياته، لكن لم أعُد ألتقيه خارج الشركة، وكنت أذهب إليه مرة واحدة أسبوعيًا.

فجأة.. سكتت ياسمين عن الكلام كأنها تذكرت شيئا، ثم أردفت بنبرة استغراب شديدة قائلة: الغريب أن وجيه لم يُبدِ لي ضيقه بقلة زياراتي له! بل لم يحاول إقناعي بمعاودة لقاءاتنا خارج الشركة! ومن المؤكد أن وقوعي في حُب وائل في هذا التوقيت، لم يلفت انتباهي لهذا الأمر إلّا الآن.

محمود: هل كتبتِ شيكاتٍ أخرى لوائل؟

ياسمين: لا، لكنه طلب مني عمل توكيل عام له حتى يتمكن من إدارة الشركة بشكلٍ صحيح، فقد احتاجني مرتين لتوقيع بعض الشيكات الخاصة بالشركة، وكنت على وشك عمل التوكيل له، لكنني متخوفة الآن.

فكّر محمود، ثم سألها إن كان للفيلّا بوابةٌ أخرى غير البوابة الرئيسية، فأفادت بوجود بوابة جانبية صغيرة تؤدي إلى المطبخ، فسألها إن كانت تظهر في كاميرات المراقبة، فردّت بالنفي.

سكت محمود برهة، ثم حدّثها بنبرة أب قائلًا: زواجكِ من شخصٍ

هو قدرٌ محتوم، أمّا استمرارك معه فهو اختيارٌ محض منكِ، ونصيحتي أن تتخلصي من هذه الزيجة فورًا.

في هلع سألته ياسمين: هل وائل قتل خليل؟

محمود: صدّقيني لا أعرف حتى الآن إن كان بريئًا أم مُدانًا؟! لكن ما أعرفه أنه يستغلكِ، فتليفون وائل مراقب ولو اتصل به خليل يبتزه كنّا أول مَن نعرف، لكنه أراد أن يسرق منكِ خمسة ملايين جنيه! والآن يطلب منكِ كتابة توكيل عام له حتى يُسهّل الأمر على نفسه، ويُجردكِ من كل شيء.

اتصل محمود بعصام، طلب منه القبض على وائل فورًا مع وضع القيود في يديه، وإحضاره إلى مكتبه، اتسعت عينا ياسمين وسألت محمود إن كان يمكنها الانصراف لخشيتها مواجهة وائل، فطلب منها الانتظار في غرفة مجاورة لمكتبه، وطمأنها أنها صارت في رعايته، ثم استدعى أمين شرطة وأمره ببقائه مع ياسمين، ومساعدتها إذا احتاجت شيئا.

***

بعد ساعة، دخل عصام برفقة وائل، بدا وجهه كالحجر الأصم، سمح له محمود بالجلوس، وبنبرة حادة خاطبه قائلًا:

- اتضح كذبك لي في عدة أمور، وأنا أكره الكذابين بشدة، فالشخص يكذب ليخفي الحقيقة، وإخفاء الحقيقة في أمرٍ متعلق بجريمة قتل، يعني أمرًا واحدا، أن هذا الشخص شارك في الجريمة بشكلٍ ما.

حاول وائل مقاطعة محمود فرفع يده فـي وجهه، وبصوتٍ جهوري أمره بعدم مقاطعته حتي ينتهي، ثم عاد وأردف: هناك سؤالان إن أجبت عنهما ولم أقتنع بإجابتك، فسأحوّلك إلى النيابة محبوسًا بتهمتَي قتل خليل، والاشتراك فـي قتل وجيه.

السؤال الأول: لماذا عجّلتَ زواجك بياسمين قبل موت وجيه بأقل من أسبوع تحت مبرر الانتقام منه؟ ثم طلبت منها كتمان أمر الزواج حتى تسترد حقوقك من وجيه، مخاطرًا باحتمالية معرفة وجيه بالأمر مما يُعرّضك لخسارة أموالك عنده؟

السؤال الثاني: اعترفَتْ زوجتك اليوم أن خليل هدّدك وطلب منك خمسة ملايين جنيه، واتفقتَ معها على تسليمهم إليه، ومن قبل أقررتَ أن البريء لا يخاف! أضف إلى ذلك، كيف تُبقي على خليل لآخر يوم فـي حياته يعمل فـي الشركة، وهو يبتزك؟!

قبل أن تجيب عن السؤالين، أُذكرك بأمرين: أولهما: أن برهانك على تواجدك بمنزلك وقت ارتكاب جريمة قتل خليل مستندًا لكاميرات المراقبة المثبتة على باب الفيلّا الخارجي، ينفيه وجود باب جانبي للفيلّا يؤدي إلى المطبخ، ولا تُظهره الكاميرات، لأنه يتيح لك مغادرة الفيلّا والعودة لها فـي أي وقت.

أمّا الأمر الثاني والأهم، أنني لن أطلب منك ذكر الحقيقة، لكن سأنتظر منك إقناعي بما تقوله، فإن لم تُقنعني، فأنت تعلم مصيرك جيدًا.

بمجرّد سماع وائل أن ياسمين حكت عن قصة ابتزاز خليل له، ثم وجود دليل نفي على تواجده بالفيلّا وقت قتل خليل، تحولت

ملامحه الجامدة إلى ملامح منكسرة، أصابته رعشة خفيفة في يديه، تأكد أن كل ما بناه انهار ولم يغد أمامه إلّا ذكر الحقيقة، فبعد أن فقدت ياسمين الثقة فيه وجاءت حكت لمحمود الحقيقة، فقد خسرها، ومن ثم خسر كل شيء، شرب بعض الماء وبدأ يحكي قائلًا:

«لم أقتل وجيه، لكنني لم أكره مخلوقًا معلما كرهته، فوالده هو مَن تسبب في إصابة أبي باكتئاب أبقاه سنوات طويلة لا يستمتع بحياته، حتى استراح بموته.

جمعت علاقة قديمة بين والدي ووالد وجيه فقد كانت تربطهما صلة قرابة بعيدة، وقتها كان والدي يمتلك متجرًا كفل لنا حياة مرفهة، بعد عدة سنوات، ورث أبي عدة أفدنة، وكان بَيع الأرض في قريتنا من العار، لكن والد وجيه أقنعه ببيعها والمساهمة معه في شركته.

لم يغد والدي قادرًا على الذهاب لمسقط رأسه مرةً أخرى، لكنه تعشم في ثراءٍ قريب وعده به والد وجيه، يُمكّنه من شراء عددًا أكثر من الأفدنة تعيد إليه هيبته في القرية.

بمجرّد أن سلّم النقود لوالد وجيه، بدأ يتهرب منه، فقد كان رجلًا بلا ضمير، بعد مرور عام، طالبه والدي باسترداد ماله والخروج من الشركة، فراوغه وماطله طويلًا، فدبّت بينهما مشاجرة كبيرة انتهت بطرد والد وجيه لوالدي من شركته.

تأكد والدي أن أمواله ضاعت، لحُسن حظه كان يحتفظ بجزءٍ من ثمن الأرض، مكّنه من الحفاظ على تجارته، لكنه تحول إلى شخصٍ آخر، فقد أصبح قليل الكلام لا نرى ابتسامته أبدًا، وحتى بعد الانتقام

الإلهي الذي حلّ بوالد وجيه وخسارته كل أمواله، لم يعُد أبي لحالته الطبيعية، اصطحبته لأحد الأطباء، فأكد على إصابته بحالة اكتئاب تستلزم علاجًا طويلا، وللأسف لم يُخلّصه منه إلّا الموت.

كنت أتابع نجاح وجيه المتصاعد، وكنت على يقين أنه مثل والده ومن المؤكد أنه نجاحٌ غير شرعي، بعد تفكيرٍ طويل، قررت أن أعمل مع وجيه فـي شركته، فمن ناحية أستطيع الانتقام منه وأخذ ثأر أبي، ومن ناحيةٍ أخرى، أستطيع مساعدة أسرتي فـي أعباء الحياة، فقد أصبح متجر أبي يسد احتياجات منزلنا بالكاد.

ذهبت لوجيه أسأله عن وظيفة، عرّفته بنفسي وبصلة القرابة التي تجمعنا من بعيد، رحب بشدة، فقد كان يجهل ما فعله والده بأبي، فلم يكُن انضم للعمل مع والده فـي الشركة إبّان هذا التوقيت.

بعد فترة قصيرة جدًا، اكتشف مواهبي وذكائي، فقرّبني منه، وعيّنني نائبًا له، فأصبحت أرى ما يفعله مع منافسيه عن قُرب، رأيته صورة طبق الأصل من والده المتمثلة فـي انعدام الضمير، والرغبة فـي دهس الآخرين، فازدادت رغبتي فـي الانتقام منه.

لم يكن التقاط ما يُدين وجيه فـي عمله سهلًا، فقد امتاز بالحيطة والحذر والدهاء بشكلٍ منقطع النظير، فبدأ اليأس يدبُّ فـي نفسي، وتأكدت مع مرور الوقت أنني سأفشل، حتى ظهرت ياسمين فـي حياة وجيه وأحبها بشدة، فتوصلت إلى أن الطريقة الوحيدة المتاحة لي للانتقام منه، هي نجاحي فـي حرمانه منها، ولم يكُن فـي ذهني خطة محددة.

عندما التقيتها أول مرة فـي مكتب وجيه، رميتها بنظرة إعجاب

سريعة لكن تأكدت أنها لمحتها، فـي المرة الثانية للقائي بها فـي مكتب وجيه، رميتها بنفس النظرة، وإذا بها تبادلني بنظرة إعجاب لا تُخطئه عين.

ثم جاء الحظ ليطرق على بابي، فقد فوجئت فـي أحد الأيام بوجيه يحكي لي عن اكتشافه أن ياسمين ابنة الرجُل الذي سجنه والده، ثم حكى لي حكايته بالتفصيل دون خجل، وبالطبع لم يقف والده مع أسرتها كما حكيت لك سابقًا، بل عرف الحقيقة وأبقى على والدها فـي السجن حتى موته، وقد اختلقتُ لك هذه القصة حتى أُظهر والده فـي صورة الرجُل التقي الذي شعر بالذنب وحاول تعويض أسرة ياسمين، ومن بعده ولده وجيه، فتُصدّق كتابة وجيه للوصية رغبةً منه فـي تعويض ياسمين عمّا اقترفه والده مع والدها.

سألني وجيه عن رأيي، فطلبت منه مهلة للتفكير، ولم أُضيّع لحظة، فذهبت لياسمين ولم أدخر جهدًا فـي إغداق العواطف عليها، وسارت قصتي معها كما حكتها هي لك أمس.

بعد عدة أيام أبلغت وجيه ألّا يخبرها أي شيء فربما ترفضه لو عرفت، فاستملح الرأي ونفّذه.

أمّا عن السؤال الخاص بتعجيل زواجي بياسمين قبل استرداد حقوقي من وجيه، فبدايةً أنا ليس لدي أي حقوق عند وجيه أخاف عليها كما ادّعيت لك سابقًا، لكن سبب تعجيل الزواج جاء عندما فوجئت بوجيه قبل قتله بأسبوع تقريبا، يخبرني بأنه فكّر فـي فكرة ستجعل ياسمين تتزوجه على الفور، فقد أعدّ لها مفاجأة لا تستطيع امرأة على وجه الأرض رفضها، ولم يخبرني عنها.

جُنّ عقلي، وخفت أن ترضخ ياسمين لإغراءات وجيه، ذهبتُ إليها على الفور، وأقنعتها بضرورة الزواج سريعًا للانتقام من وجيه.

وحتى أكون صريحًا معك، فأنا لم أُحب ياسمين قطّ، فقد تزوجتها نكايةً في وجيه، ولذلك اكتفيت بعقد القران وأقنعتها بتأجيل الزفاف، فلم أكن أنتوي إكمال هذا الزواج، لأنني لم أرغب أن تخسر ياسمين المزيد في ذنبٍ لم تقترفه.

عندما هدّدني خليل بالصورة وباع وجيه من أجل المال، قفزت إلى عقلي فكرة استغلاله في تصوير بعض مستندات وجيه التي تُمكنني من مساومة بعض منافسيه في السوق عليها، لذلك أبقيت على زواجي بياسمين سرًّا، حتى أُنهي اتفاقي مع خليل وأحصل على تلك المستندات، فقد كنت على يقين أن وجيه سيطردني من شركته فور معرفته بزواجي بياسمين.

شاءت الأقدار أن يُقتل وجيه، ولحُسن حظي لم أكُن فاتحت خليل بعد، ثم فوجئت بأمر الوصية التي كتبها لياسمين، شعرتُ بحقدٍ شديد نحوها، فقناعتي أن أموال وجيه هي حقٌ لي، فقد دفع أبي ماله وصحته وحياته في رأس مال هذه الشركة، وبعد أن كنت أُرتب لطلاق ياسمين بعد موت وجيه، عجّلتُ بالزفاف.

وضعت خطة تبدأ باستكتاب ياسمين شيكات بحججٍ مختلفة، وتنتهي بإقناعها بعمل توكيل عام لي، فأستطيع امتلاك كل ما ورثته.

ادّعيت لها اتصال خليل وطلبه النقود، وأخذت النقود ووضعتها في حسابي، لكنني فوجئت بشخصٍ يرسل لي رسالة على تطبيق الواتس اب صباح يوم مقتل خليل يطلب فيها خمسة ملايين جنيه

مقابل خطاب يثبت براءة إسماعيل، ثم فوجئت بخليل يتصل بي بعد وصول الرسالة مباشرةً يطلب مني إجازة لمدة أسبوع، فاستبعدته تمامًا أن يكون هو مَن أرسل الرسالة، مسحت الرسالة ولم أهتم»

أحنى وائل رأسه، وبصوتٍ منهزم أقسم أنه سرد الحقيقة كاملة.

محمود: لماذا اختلقت قصة، أنك نصحت وجيه بضرورة اعترافه لياسمين بحقيقة ما حدث مع والدها؟

وائل: ليكون السيناريو الذي نسجتُه لياسمين لتقوله لكم منطقيًا! فأي شخص فـي مكاني لو كان صادقًا فـي مشاعره نحو ياسمين، كان لا بدّ أن ينصح وجيه تلك النصيحة سعيًا لإحداث وقيعة بينه وبين ياسمين.

باستغراب سأله محمود: ولماذا لم تفعل ذلك حتى تُحدث الوقيعة بينه وبين ياسمين فتحرمه منها، وهذا هدفك من البداية؟!

وائل: وجيه كان ذكيًا جدًا ولن يأخذ بهذه النصيحة، وكانت ستفقده ثقته في، ومن ناحيةٍ أخرى أصبحت ياسمين كالخاتم فـي إصبعي، وأمر حرمانه منها صار فـي حُكم المؤكد.

محمود: لماذا اتصلتَ وهدّدت شريفة، بالرغم من تعنيفك لياسمين على ذهابها إليها؟ وما الشيء الذي كنت تريده ولم تفصح عنه لشريفة؟ ولماذا دفعت ياسمين للاعتراف على نفسها بدلًا عنك؟

وائل: اتصلت بشريفة لخوفي أن تأتي ياسمين بتصرف أهوج آخر، فأردت إنهاء هذه القصة، والشيء الذي أبحث عنه كنت أقصد به

الفلاشة، ودفعت ياسمين لتعترف على نفسها لأنني خفتُ منك أن تسجنني، أمّا ياسمين فتوقعت أنك ستكون رحيمًا بها ولن تسجنها، وتعتبر ما فَعلَته تصرفًا انفعاليًا أرعن يعكس سذاجتها، لأنها لم تدرك أنها ستصبح المشتبه به الوحيد فـي تهديد شريفة بعد ما فعلته معها.

استدعى محمود أحد الأمناء وطلب منه التحفظ على وائل فـي الحجز، فصرخ وائل وأقسم أنه قال الحقيقة، فابتسم محمود وردّ:

- سألتك عن أمرٍ لم تُقنعني إجابتك عنه، ولقد حذّرتك من قبل! ثم أشار للأمين بتنفيذ أمره على الفور، جرّ وائل من يده وسط ترديده بأنه قال الحقيقة.

***

استدعى محمود ياسمين من الغرفة المجاورة، قصّ عليها سريعًا ما اعترف به وائل، انتابتها حالة ذهول، فربّت محمود على كتفها وقال:

- الطريق أمامكِ ما زال طويلًا، وستلتقين يومًا مَن يستحقكِ، لكن عليكِ بالتروي فـي الاختيار مستقبلًا فالأموال التي تمتلكينها الآن تتطلب منكِ الحرص والتروي فـي الاختيار.

مشت ياسمين، وهي لا تدري إن كانت وصية وجيه كانت لها نعمة، أم نقمة!

***

فور مغادرة ياسمين، طلب محمود من عصام على وجه السرعة

بيانًا من شركة الاتصالات بأرقام التليفونات التي سُجّلت على هاتف إسماعيل لمدة أسبوع قبل مقتل وجيه.

بعد أقل من ساعة، استقبل محمود على جهاز الفاكس تقرير شركة الاتصالات الخاص بهاتف إسماعيل، قرأه فارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.

اتصل بناهد زوجته ليطمئن عليها، فأبلغته أن ابنه مازن كان يتمنى تواجده معه غدًا، ليشاركه فـي تقطيع كيكة عيد ميلاده، سكت محمود فجأة.. وهتف:

- أنتِ ملهمتي الحقيقية يا حبيبتي! أبلغي مازن أنني سأكون معه غدًا، وعلى الفور أغلق الهاتف دون أن ينتظر منها ردًا، ارتسم الذهول على وجهها، فلم تفهم مِمّا قاله محمود شيئًا!

همس محمود بابتسامة:

«أخيرًا.. توصلت للإجابة عن السؤال الأخير».

التقط هاتفه، اتصل بفايز وسأله إن كان يذكر مَن قام بتقطيع كيكة عيد ميلاد وجيه، فتذكر بعد فترة قائلًا: بدأ وجيه تقطيع الكيكة، ثم قطعت ثريا لنفسها ولشاكر، بعد ذلك تولى خليل التقطيع لنا وله، شكره محمود، أغلق معه الخط، ثم اتصل بعصام وطلب منه انتظاره فـي مكتبه، وإحضار إسماعيل من محبسه، لرغبته فـي سؤاله عدة أسئلة.

***

-٢٨-

جلس محمود وإلى جواره عصام بينما جلس إسماعيل أمامهما منكسر الهامة، بادره محمود قائلًا:

- أرجو أن تجيبني عن هذا السؤال بدقة ففيه براءتك، هل تتذكر مَن قام بتقطيع كيكة عيد الميلاد؟

بحماس ردّ على الفور: خليل.

بهدوء خاطبه محمود: حاولتُ إثبات براءتك لكن للأسف فشلتُ، لاكتشافي أنك.. قاتل وجيه.

صرخ إسماعيل: هذا ظلم! أنا بريء، أنا لم أقتل وجيه بك.

ردّ محمود: لقد عثرنا على السكين الذي قُتل به وجيه وعليه بصماتك، فأصبح دليلًا دامغًا ضدك.

صرخ إسماعيل: بل هي بصمات خليل.

ردّ محمود بهدوء: كيف عرفت أنها بصمات خليل؟

ارتبك بشدة إسماعيل وأجاب: لأنني واثق أنه هو مَن قتل وجيه.

بنفس الهدوء ردّ محمود: للأسف الشديد البصمات لك وليست لخليل، وسيتم إحالتك لمحكمة الجنايات بتهمة قتل وجيه، والأمل الوحيد لك الآن أن يكون لك شريكٌ، فيتم تخفيف الحُكم عليك.

انتابت إسماعيل حالة هياج عصبي، استمر يصرخ مرددًا كلماتٍ مبعثرة، بعد لحظات انهار باكيًا وقال:

- نعم.. أنا قتلت وجيه.. ولكن هناك مَن حرّضني وساعدني فـي قتله.

ابتسم محمود وقال: تقصد.. «ثريا أبو الفضل»!

اتسعت عينا عصام وانتابته حالة من الذهول عند سماعه اسم ثريا، وكان أشد ما أذهله عندما اعترف إسماعيل لمحمود قائلًا:

- يبدو أنك عرفت الحقيقة كاملة، نعم هي ثريا شريكتي فـي قتل وجيه، وهي المُحرّضة والمُخططة، وسأحكي لك الحقيقة كاملة، فلن أُعلّق وحدى فـى حبل المشنقة.

ابتلع إسماعيل ريقه، شرب بعض الماء، وبدأ يحكي:

«تعرّفَت ثريا إلى وجيه قبل الجريمة بثلاثة أشهر تقريبًا، وكما حكيتُ لك سابقًا عن عثوري فـي أحد الأيام على عقب سيجارة عليه أحمر شفاه، كانت السيجارة من النوع الذي تدخنه ثريا فأنا أعرفه من لونه، ففهمت أن العلاقة توطدت بينهما.

قبل الجريمة بأكثر من شهر، بدأت ثريا تتردد على الفيلّا بصورة شبه يومية، تأتي مساءً تجلس مع وجيه فـي مكتبه لعدة ساعات ثم تنصرف، وأصبحت تتحرك فـي الفيلّا بحرية كاملة.

في أحد الأيام جاءت المطبخ تُعدُّ لنفسها بعض الشطائر معللةً شعورها بالجوع، رفضَتْ أن أُعدها لها، بدأت تتحدث معي مُعربةً لي عن إعجابها بذكائي الشديد، بعد أن عرفَت من وجيه عن مساعدتي له فـي بداية حياته العملية فـي شراء السلاح وبيعه، شعرتُ بالسعادة والفخر، فقد أنستني لحظتها عملي كخادم، لكنها

فـي النهاية شدّدت عليّ ألّا أحكي لوجيه عمّا حكته لي؛ لأنه ينظر لي كخادم لا يجب أن يعرف ما يدور بينه وبين ضيوفه، تركتني بعد أن طعنتني بكلماتها الأخيرة، فولّدت داخلي غلًّا وحقدًا نحو وجيه لم أشعر بهما من قبل.

بعد يومين أو ثلاثة لا أذكر تحديدًا، بينما كنت أضع صينية القهوة أمام وجيه وثريا على مكتبه، اهتزت الصينية قليلًا فـي يدي، فتساقطت بعض القهوة على طبق الفنجان، فانهال وجيه عليّ سبًّا أمامها، خرجتْ والدم يغلي فـي عروقي، بعد ساعة جاءتني المطبخ بحجة إعداد مشروب لها، طيّبتْ خاطري، وركّزتْ فـي حديثها معي على أمرٍ واحد: «كيف لوجيه أن ينسى مَن كان سبب سعادته فـي الدنيا»، فأكدتُ على كلامها، مُبرهنًا بما كسبه من وراء بيع الأسلحة المسروقة التي كنت أجلبها له، فسخرت مني قائلة:

«أنت حقيقي إنسانٌ طيب يا إسماعيل لا مثيل له، وجيه ربح من ورائك الملايين ليس بسبب الأسلحة، ولكن بسبب أشياء أخرى»

لم تُفسّر ما قالته، وتركتني أتذكر ماذا فعلت معه ليربح من ورائي الملايين، فلم أتذكر شيئا، لكنني بدأت أشعر بالراحة معها بسبب تواضعها معي وتقديرها لذكائي.

قبل الجريمة بثلاثة أسابيع تقريبًا، فوجئت بها تأتيني المطبخ وتعطيني رقم تليفونها، طلبت مني الاتصال بها عندما أكون وحيدًا فـي منزلي لأمرٍ هام يخصني، وأكدّت عليّ مرةً أخرى عدم حكي أي شيء لوجيه.

في نفس اليوم، رجعتُ منزلي واتصلت بها على الفور، فإذا بها

تعطيني عنوانها وتطلب مني الذهاب إليها صباحًا بعدما عرفت أنه يوم إجازتي الأسبوعية، ذهبت إليها، رحبت بي واستقبلتني باحترامٍ وعطف شديدين، فأعادت لي شعوري بآدميتي التي افتقدتها مؤخرًا عند وجيه.

أصرّتْ أن تقدّم الشاي لي بنفسها، بل أحضرت بعض الفطائر لأتناولها، بعد معرفتها أنني لم أتناول إفطاري، أنهيت تناول الطعام، وبينما كنت أشرب الشاي، إذا بها تقول: «سأئتمنك على سرٍّ وأقسم أنني أفعل هذا تقديرًا مني لذكائك وشخصيتك»، فأقسمت لها على حفظه، فقالت:

«وجيه يخطط للتخلُص منك، واستبدالك بشخصٍ آخر، اتفق معه أمامي على استلام العمل بعد أقل من شهر»

انفعلتُ بشدة، وسببتُ لها وجيه، مُبررًا عدم وقوع أي خطأ مني ليكون هذا جزائي، فأمَنَتْ على كلامي، بل زادت من حقدي وانفعالي عليه بكلماتٍ من عندها، ثم قالت:

«الآن يجب أن تؤمّن مستقبلك؛ لأنني عرفت من وجيه أنك أمضيت سنوات فـي السجن فلن تجد عملًا بسهولة»

فسألتها بيأسٍ كيف لشخصٍ فـي ظروفي يستطيع تأمين مستقبله كما تقول، فابتسمت وقالت:

«عندي خُطة أحتاج مساعدتك فيها، وبعد تنفيذها سأُعطيك ما يؤمّن مستقبلك مدى الحياة»

فسألتها على الفور عن خُطتها، فقالت:

«اعذرني يا إسماعيل! بالرغم من ثقتي فيك، فإنها المرة الأولى التي أتعامل فيها معك، ولم أتأكد من ولائك لي بعد، فأمهلني بضعة أيام؛ لأتأكد من إخلاصك لي، بعدها سأُخبرك بالخطة، وتصبح شريكي»

فأقسمت لها أنها لن تجد مَن يخلص لها مثلي، وقبل انصرافي سألتها عمّا قصدته بقولها أن وجيه ربح من ورائي الملايين، فضحكت وقالت:

«عندما أتأكد من ولائك، سأخبرك عن هذا السر»

صمّمت على إثبات ولائي لثريا بأي شكل، فقد رأيت مستقبلًا أسود ينتظرني عندما يطردني وجيه، وأصبحت ثريا هي أملي الوحيد، بالإضافة أنها تعاملني بإنسانية لم يعاملها لي أحد من قبل.

يومٌ بعد يوم، ازدادت معاملة وجيه لي سوءًا، فتأكدتُ من كلام ثريا عن نيته فـي طردي، كنت أتصل بها يوميًا أسالها متى ستتأكد من إخلاصي لها، فتردّ بعبارة واحدة: « عليك بالصبر يا إسماعيل»، حتى جاء يومٌ واتصلت بي، أخبرتني أن هناك اختبارًا لو نجحت فيه، ستكون بداية شراكتنا، طلبَتْ مني تصوير دفتر لونه أخضر يحتفظ به وجيه فـي خزينته، ولكنه يكتب فيه يوميًا، واعتبرَتْ نجاحي فـي تأدية هذه المهمة نجاحًا فـي الاختبار، كنت أعرف هذا الدفتر جيدًا، فمؤخرًا لم أدخل إلى وجيه مكتبه إلّا وكان يكتب أو يقرأ فيه، لم يمرّ يومان إلّا وتمكنت من تصويره فـي غفلة من وجيه، اتصلت بها أُبلغها، فطارت من الفرحة، وطلبت مني أن أُسلّمه لها فـي منزلها، ولأنني كما قلت لك سابقًا «رد سجون» وليس باللقمة السائغة، فقد

احتفظت بنسخة لنفسي، دون أن تعرف ثريا، فربما أعرف لاحقًا ما يُمثّله هذا الدفتر من قيمة لها.

عندما سلّمته لها، أكّدت لي أنها تضع اللمسات النهائية لخطتها وعندما تنهيها ستخبرني بها، فسألتها عن السؤال الذي لم تُجِبني عنه بخصوص مكسب وجيه الملايين من ورائي، فضحكت قائلة:

«قطع الآثار التي اشتراها منك، هل نسيتها؟»

تذكرت الأمر بصعوبة، ورددت عليها باستخفاف أن وجيه اكتشف أنها غير أصلية بعد أن عرضها على تاجر محترف، فردّت بأسى:

«لقد خدعك وجيه وكسب من بيعها الملايين».

عدت إلى منزلي وسؤالٌ واحد يشغلني: «هل حقًا خدعني وجيه؟»، وجدتني أمسك بالدفتر الأخضر، قرأت على صفحته الأولى أنها مذكرات وجيه، تصفحته سريعًا، فإذا بي أجد جزءًا كتبه وجيه عني، واعترفَ فيه بخداعي بشأن قطع الآثار، فتأكدت من صدق ثريا معي، وفي نفس الوقت لم أعُد أطيق صورة وجيه.

قبل الجريمة بأسبوع، التقيت ثريا في منزلها، في البداية أعربَت لي عن أسفها الشديد بسبب ما فعله معي وجيه، موضحةً أنه لو أعطاني حقي من بيع قطع الآثار، لكان من الممكن جدًا أن أفتح مشروعًا وأصبح رجُل أعمال مثله، بدلًا من حياة السجن والذل الذي عشته بعد خروجي منه، فصارحتُها بأنني أتمنى الثأر منه، بل إنني أتمنى قتله، فضحكَتْ وعلّقت:

«خطتي ستجعلك تحقق كل أحلامك، ولكن بدايةً عليك أن تُنفّذ

ما أقوله لك بالكلمة، وإلّا فسدت الخطة»، فطمأنتها بشدة، عادت وقالت:

«الخُطة هي سرقة الخزينة الموجودة فـي مكتب وجيه، ولحُسن الحظ الخزينة تُفتح بمفتاحين ولا يوجد لها أرقامٌ سرية، والمفتاحان يحتفظ بهما وجيه معه، أمّا عن محتويات الخزينة فبداخلها أربع قطع آثار، إلى جانب عدد من فصوص الألماس الخُر رأيتها بأم عيني، وأخيرًا مبلغ من المال لا أعرف قدره.

ساعة الصفر بعد انتهاء حفلة عيد ميلاد وجيه يوم الخميس القادم، ولكن حتى نضمن نجاح الخطة بنسبة ١٠٠ ٪، فلا بدّ أن تقتل وجيه»

بالرغم أن طوال الأيام السابقة تمنيت أن أقتل وجيه، فإنني فزعت عندما سمعت بأنني سأقتله فعليًا، لاحظّت ثريا فزعي، فضحكت قائلة:

«كنت أظن أن قتل وجيه سيحقق أمنيتك! لكن عليك التفكير فـي ثلاثة أمور: أولهم: ماذا فعل معك وجيه، وإن كان يستحق القتل أم لا؟ وثانيهم: أنك ستربح بعد إنهاء الخطة ما لا يقل عن عشرة ملايين جنيه، وثالثهم أن نسبة نجاح الخطة ١٠٠ ٪.

وأخيرًا لا تنسَ أنني شريكتك فـي كل شيء، فلن أُضحي بنفسي بسهولة، ولعِلمك فكّرتُ فـي البداية فـي سرقة الخزينة دون قتل وجيه، لكنني واثقة أن وجيه سيتهمك، فتصبح أمام الشرطة المتهم الأول، وسيضغطون عليك حتى تعترف»

فسألتها باستغراب: ولماذا لن أكون أمام الشرطة المتهم الأول بقتله؟!

ابتسمَت وردّت باستخفاف:

«أنت بالفعل ستكون المتهم الأول بقتله! بل إنني وضعت خُطة تؤكد للشرطة أنك القاتل»

لم أنطق وبان الذهول على وجهي، فإذا بها تتحدث بنبرة حادة وتقول:

«إن لم تثق بي ثقةً عمياء فعليك الانسحاب قبل أن نبدأ، ولن أعيد وأكرر أنني لن أُضحي بنفسي، فأنا وأنت أصبحنا مُعلّقين فـي حبلٍ واحد، ولن أستطيع شرح تفاصيل الخطة كاملة لك؛ لأنها ستتم على مدار شهرين على أقصى تقدير، ولكن سأُعلمك الآن بمراحلها الأساسية والتي تتمثل فـي ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بعد إتمام السرقة وقتل وجيه، ستهرب لمدة لن تزيد عن شهرين، وستكون المتهم الأول فـي قتل وجيه، وستستند الشرطة لقرائن دون أن تجد دليلًا واحدًا ضدك، سأُخبرك بموعد عودتك وألتقي بك فـي شقتي لأُمليك ما عليك فعله وتنتهي هذه المرحلة.

المرحلة الثانية: سيتم القبض عليك فـي نفس يوم رجوعك، وإيداعك فـي السجن رهن التحقيقات لمدة أقصاها أسبوعين.

المرحلة الثالثة: سيتم إثبات براءتك بالأدلة الدامغة، وسيُفرج عنك.

هذه هي مراحل الخطة، أمّا تفاصيل كل مرحلة فسأُخبرك بها فـي

حينها، والآن عليك أن تُقرّر ولك مطلق الحرية فـي قرارك»

فكّرتْ لحظات، ثم سألتها فـي خجلٍ شديد كيف أضمن عدم هروبها بالمسروقات وأخسر أنا كل شيء، فإذا بها تضحك وتقول:

«سؤالك هذا أكد حُسن اختياري لك، فأنا توسمت فيك الذكاء والحرص، وهاتان الصفتان أحتاجهما بشدة لنجاح خطتي، أمّا الإجابة عن سؤالك: فللأسف لا يوجد أي ضامن لك سوى أن تُصدّقني وتثق فيّ! ويجب أن تعلم أنني لن أستطيع الاستغناء عنك فـي المستقبل، فأنا أُخطط لمشاريع عديدة أحتاج فيها لمَن هم مثلك معي»

دون تفكير وافقتها على الفور، فقد اقتنعتْ أنها أملي الأخير فـي الحياة، ولن تَسودّ حياتي أكثر ممّا هي عليه، فحتى لو خدعتني سأفوز بانتقامي من وجيه.

قبل الجريمة بثلاثة أيام، اتصلت بي على تليفون الفيلّا، أخبرتني أن خليل سيتصل بي ظهرًا، ويطلب مني مغادرة الفيلّا الليلة ولقاءه فـي المقهى، وعليّ ألّا أُوافقه مُبديًا صعوبة هذا الأمر هذه الليلة، سيعيد إلحاحه عليّ فأُوافقه، لكن أهم شيء أن أُسجّل له هذه المكالمة على هاتفي، وسيعاود الاتصال بي بعد ساعة ليلغي هذا الاتفاق فلا أجادله، حدث بالفعل ما أخبرتني به، وسجّلت له المكالمة.

ذهبت إليها فـي الليلة السابقة للجريمة، عزّفتني أنها استغلت منذ يومين وجودها بمفردها فـي مكتب وجيه وعطّلت الجهاز المسؤول عن كاميرات المراقبة، ولم يكن وجيه يهتم مؤخرًا بهذه الكاميرات، ثم أعطتني ثلاثة سكاكين جديدة لهم نفس الشكل والحجم، أبقت

على واحدٍ منهم داخل تغليفه، أفهمتني أن لحظة تقطيع الكيكة، عليّ بوضع سكين بجوار الكيكة على أن أضع السكين المُغلّف على أحد جوانب الطاولة بعد إخراجه من غلافه، ونبهت عليّ ألّا ألمس مقبضه.

بدأ وجيه تقطيع الكيكة، بعده استخدمت ثريا نفس السكين لتقطع لنفسها، ثم تظاهرت بسقوطه من يدها على الأرض، أشارت لخليل على السكين الآخر، وطلبت منه تقطيع الكيكة للآخرين.

أعطتني قرصًا منومًا وطلبت مني وضعه لوجيه في أخر مشروب يطلبه قُرب نهاية الحفل.

نفّذت كل ما طلبته بدقة، وبعد انصراف أخر المدعوين، غلب وجيه النوم، صعد إلى حجرته ونام بملابسه، عادت ثريا إلى الفيلّا مرتدية قفازًا، وأعطتني قفازًا لأرتديه، فتّشت معي ملابس وجيه حتى وجدنا سلسلة مفاتيحه، على الفور طلبت مني إحضار السكين الثالث الذي لم يُستخدم لأقتل به وجيه، وانتظرتني خارج غرفة النوم، وضعتُ وسادة على وجهه حتى لا أراه، طعنته طعنتين في صدره فمات في الحال.

أحضرت ثريا من على طاولة السفرة السكين الذي يحمل بصمات خليل، أمسكتُه من نصله، نظفّته جيدًا، ثم غمستُه في دم وجيه، احتفظّت به بحرص داخل كيس بلاستيكي، وطلبت مني التخلص من السكين الذي استخدمته في قتل وجيه.

فتحت ثريا الخزينة بسهولة، وضعت كافة محتوياتها في شنطة جلدية، ثم طلبت مني أن أجمع ملابسي، وأذهب لشقتي فورًا،

أعطتني رزمة مالية لأُسقطها تحت الفراش، لتتأكد الشرطة أنني هربت بعد قتل وسرقة وجيه.

أخبرتني أنها ستتصل بي عند الثالثة لمدة ثوانٍ من رقم لا أعرفه، بعدها ألملم ملابسي، وأترك الشقة على حالٍ يكشف أنني كنت أهرب منها فـي عُجالة، ثم أعطتني شريحة تليفون جديدة، وقالت:

«بعد إغلاقي الخط معك، عليك بالتخلص من شريحة هاتفك وتستبدلها بهذه الشريحة، سترسل لي على الرقم الذي هاتفتك منه رسالة أسبوعية، وتكتب فيها جملة واحدة «ما الأخبار؟»، وسأردّ عليك برسالة، لكن إياك والاتصال بي مهما كانت الأسباب، وعندما يحين موعد رجوعك، سأُرسل لك رسالة تفيد بظهور براءتك، فتأتي فـي نفس اليوم إلى منزلي مُتخفيًا، لأُعطيك تفاصيل المرحلة الثانية فـي الخطة»

أخيرًا، طلبت مني الاتصال بالنجدة عند الساعة الثانية والنصف من تليفون عمومي، وإبلاغهم بسماع صوت طلقات نارية صادرة من فيلّا وجيه، وإعطائهم عنوانها، وإغلاق الهاتف قبل أن يسألوني عن بياناتي، ونفّذتُ ما طلبته بكل دقة.

عندما أمرتني بالعودة، التقيتها فـي شقتها، كانت تعليماتها أن أتصل بالشرطة من تليفون عمومي لأقول لهم عبارة واحدة: «إسماعيل قاتل وجيه الكيلاني موجود الآن فـي شقته»، ثم أنتظرهم فـي شقتي ليتم القبض عليّ، كما حفّظتني كل ما قلته أمام النيابة، وتوقعَتْ مواجهتي أمام النيابة بخليل فحفّظتني أيضًا ما أقوله، فسألتها لماذا أشكك فـي تيقني من صوت خليل عندما تسألني

النيابة، صرخَت قائلة:

«عليك تنفيذ ما أقوله دون مناقشة»

أرادت إرضائي بعد أن لاحظَت غضبًا على وجهي بسبب انفعالها، فأجابت عن سؤالي بعد تأكيدها على أنها ستكون المرة الأخيرة لتفعل ذلك، فأوضحت أن طريقتي ستؤكد للنيابة أنني صادقٌ ولا أريد قول شيء سوى الصدق، حتى لو أدى هذا إلى تبرئة الشخص الوحيد الذي فـي يده دليل براءتي، فامتدحت لها دهاءها، ووعدتها بعدم سؤالها مرةً أخرى عن أي شيء.

وأخيرًا جعلتني أسجّل رسالة صوتية على هاتفها بعد أن غيّرت نبرة صوتي قُلت فيها: «خمسة ملايين جنيه حتى يبقى إسماعيل هو قاتل وجيه، وإلّا فدليل براءته عندي».

أفهمتني أنها ستتخلص من خليل فـي غضون أيام، وتوقعَت مجيء سيادتك للتحقيق معي مرةً أخرى، فلقنتني ما أقوله، وكانت كلها أقوالًا على لسان خليل، حتى لا تستطيع التأكد منها، ونبّهت عليّ إخفاء هاتفي الذي يحمل تسجيل مكالمة خليل معي فـي مكانٍ سري بشقتي، لأُثبت لكم مدى حرصي عليه كدليل على براءتي، ثم أخبرتني أنها سترسل فور قتل خليل السكين الذي يحمل بصماته لكم، لتتم تبرئتي فـي الحال»

انهالت الدموع من عينَي إسماعيل بعد أن أنهى حكيه، فسأله محمود عن المكان الذي يحتفظ فيه بمذكرات وجيه، فأفاد أنها فـي شقته.

اتصل محمود فـي الحال بسمير وكيل النيابة، أبلغه بالمستجدات، طلب منه إذنًا بتفتيش شقة إسماعيل، واستخراج أمر ضبط وإحضار باسم ثريا، وأمر بتفتيش شقتها، وأخيرًا طلب منه إذنًا بتسجيل مكالمة بين إسماعيل وثريا، لتقنين كل الإجراءات، فنفّذ له سمير ما طلبه على الفور.

اصطحب محمود معه إسماعيل وسط حراسة مشددة إلى شقته، فتح إسماعيل مرتبة سريره من مكان جانبي تمّ حياكته حديثًا، استخرج مذكرات وجيه من وسط حشو المرتبة، وسلّمها لمحمود.

عاد محمود إلى مكتبه فـي مديرية الأمن ومعه إسماعيل وقوة الحراسة المرافقة له، أخرج محمود من دُرج مكتبه هاتفًا خاصًا به، أعطاه لإسماعيل، أمره أن يتحدث إلى ثريا وحفّظه ما يقوله لها، فنفّذ إسماعيل، اتصل بثريا ودار بينهما الحوار التالي:

ثريا: مَن يتحدث؟

إسماعيل: أنا إسماعيل.

صرخت ثريا: هل جُننت؟! لماذا تتصل بي؟ ومن أين تتصل؟

بانفعال شديد خاطبها إسماعيل: أتصل من هاتف أحد الجنود، متى سأخرج من هنا؟ لقد أخبرتِني أنكِ ستتخلصين من خليل وترسلين السكين الذي يحمل بصماته للشرطة لتتم تبرئتي، واليوم جاء العميد محمود وحقق معي مرة ثالثة، وما زال يتعامل معي كمتهم أول فـي قتل وجيه، لماذا لم ترسلي لهم السكين حتى الآن؟

ثريا: لقد أرسلته لهم منذ يومين، لا بدّ أن فحص السكين تأخر

لسببٍ ما! اهدأ وتأكد أنك فـي خلال يومين ستكون فـي شقتك، المهم إياك والاتصال بي مرةً أخرى.

أغلقت ثريا الهاتف، فـي الحال أمر محمود عصام بسرعة القبض على ثريا وإحضارها إلى مكتبه، أوصاه بوضع القيود الحديدية فـي يديها، دون إخبارها عن سبب القبض، وعدم السماح لها بإجراء أي اتصالات هاتفية.

***

أمر محمود بوضع إسماعيل فـي حجرة خالية مجاورة لمكتبه تحت الحراسة حتى إذا احتاجه لمواجهة ثريا، بعد ساعة دخل عصام ومن خلفه ثريا مكبلة الأيدي، ما إن رأت محمود حتى صرخت قائلة:

-كيـف تقبضـون علـيّ دون سـبـب؟ كـيف يحرمـني هـذا الضـابـط -رمت عصام بنظرة نارية - من استخدام حقي القانوني فـى الاتصال بالمحامى الخاص بى؟ بل كيف يُقبض علىّ دون إذن نيابة؟

انتظرها محمود حتى انتهت، طلب من عصام فك قيودها، وبهدوء شديد فتح دُرج مكتبه، أخرج منه ورقتين، وبنبرة هادئة قال:

-هذا إذن النيابة بالقبض عليكِ! وهذا إذن بتفتيش شقتكِ! أمّا سبب القبض فهو اتهامكِ بقتل خليل، والاشتراك فـي قتل وجيه وسرقة محتويات خزينته.

اتسعت عيناها، غطى الشر ملامح وجهها، وبنبرة حادة ردّت: كل ما قلته كذب وافتراء، وأريد الاتصال بالمحامي فورًا.

بهدوء ناولها محمود مُسدّسًا، سألها إن كانت رأته من قبل، قلّبته بين يديها، أعادته إليه ونفت، فأمسكه محمود من ماسورته ووضعه فـي كيس بلاستيكي، وثريا تنظر إليه فـي ذهول دون أن تفهم شيئا، بعد ذلك فتح محمود التسجيل الموجود على هاتفه، أسمعها الحوار الذي دار منذ قليل بينها وبين إسماعيل، ثم أطلعها على إذن النيابة

بتسجيل المكالمة، بدأت أوصالها ترتجف، خاطبها بنبرة ساخرة:

ولعِلمكِ أعجبتني جدًا فكرتكِ الخاصة باستخدام سكين عليه بصمات خليل؛ لتوريطه فـي قتل وجيه، واسمحي لي فقد استعرتها منكِ، والآن أخذت بصماتكِ على مسدّس، وسأُقدّمه للنيابة بوصفه أداة القتل المستخدمة فـي قتل خليل، ووجدناه مخبأ فـي شقتكِ أثناء تفتيشها الذي لم نقُم به.

التفت إلى عصام وسأله بجدّية: أين وجدته يا عصام؟

على الفور ردّ عصام: داخل حشو مرتبة السرير يا أفندم.

تراخت قوى ثريا، شحب لونها، بدأت قطرات العرق تغطي جبينها، وقبل أن تسقط مغشيًا عليها، أسندها عصام وأرقدها على أريكة، مددها فـي وضع استقامة، رفع ساقيها قليلًا لأعلى، استردت وعيها بعد لحظات، أحضر لها عصيرًا، شربت بعضه، اعتدلت وجلست فـي مكانها، ثم خطت بخطوات متثاقلة وجلست على مقعد مقابل مكتب محمود، اقترح عليها محمود الانتظار حتى تستعيد كامل عافيتها لكنها أكدت على تحسّن حالتها، قرأ عليها محمود اعترافات إسماعيل، فطأطأت رأسها فـي أسى، وردّت بصوتٍ منكسر خفيض:

- كل ما حكاه إسماعيل حقيقة، لكن الشيء الوحيد الذي يجهله إسماعيل أنني لم أكُن المُخططة لجريمة قتل وجيه بالتفاصيل التي تمّت بها، فأنا لست ذكية لهذه الدرجة، وكنت فقط الواجهة أمام إسماعيل، لكن هناك مَن خطط لهذه الجريمة، بل أيضًا لجريمة قتل خليل.

بلهفة سألها محمود: مَن؟

بنبرة ساخرة أجابت: المُخطط للجريمتين هو.. «وجيه الكيلاني».

كادت عينا محمود تخرجان، بينما هتف عصام: مَن؟ وجيه! كيف؟

بنفس النبرة الممزوجة بين الأسى والسخرية بدأت تحكي:

«نشأتُ فـي أسرة ميسورة الحال جدًا، لكن للأسف تربّينا على عدم القناعة وتقديس المال، فلم يكن بالمستغرب أن أتزوج فـي مقتبل حياتي من رجُلٍ ثري يكبرني بأكثر من خمسةٍ وعشرين عامًا، لم أحصل منه إلّا على شقة صغيرة فـي التجمع الخامس مقابل أسوأ ثلاثة أعوام أمضيتهم فـي حياتي، ويا ليت الأمر انتهى إلى هذا الحدّ، فقد استبدل هذا الرجُل كلّ المشاعر الطيبة بداخلي بمشاعر حقد وكراهية، فأصبحت أستهزأ بأي مخلوق يتشدق بكلمتَي الحُب والتسامح.

كان من الطبيعي لأسرة بمواصفات أسرتي، أن يتصارع أفرادها على الميراث بعد وفاة الوالدين، فساقتني الصدفة لمكتب شاكر المحامي لتوكيله فـي قضية إرث، طوال فترة القضية، لاحظتُ إعجاب شاكر بي، وتلميحه الدائم بأمله فـي الزواج بامرأة تشبهني، لم أُغلق الباب فـي وجهه، وأيضًا لم أفتحه، أبقيته مواربًا حتى يبذل قصارى جهده فـي قضيتي، وبالفعل بعد مرور عام كسبها، ووجدت فـي يدي لحظتها ثلاثة ملايين جنيه.

ذهبت إلى شاكر مكتبه أشكره وأعطيه باقي أتعابه، طلب يومها بصورة مباشرة الزواج بي، فاعتذرت بشياكة مُعللةً بعدم تفكيري

فـي الزواج حاليًا، وطالبته أن نُبقي على صداقة جميلة بيننا، فتقبل الأمر مؤكدًا لي على ثقته أن رغبته ستتحقق يومًا ما، فلم أُجادله، ثم سألته عن نصيحته لي لأفضل وسيلة استثمار لمبلغ صغير مثل الذى كسبته من القضية، فـى هذه اللحظة شاءت الأقدار أن يتصل به وجيه يناقشه فـي أمرٍ خاص بالشركة، بمجرّد إغلاقه الهاتف، ضحك قائلا: «كأن هذا الرجل كان يسمعكِ وأنت تسألين عن كيفية استثمار مبلغ صغير»، فاندهشت وطلبت منه تفسير مقولته، فحكى لي عن وجيه، وكيف بدأ بمبلغ مالي صغير، وأصبح الآن من كبار رجال الأعمال.

سألته بتلقائية إن كان وجيه يستطيع مساعدتي فـي بداية مشروع صغير، فضحك بشدة وسخر مني، وأفهمني أن مبلغ الثلاثة ملايين جنيه لا يُمثل قطرة فـي بحر ثروة وجيه، إلى جانب أن وجيه لم يساعد أحدًا فـي حياته إلّا وائل الحسيني!

فسألته عن وائل وسبب مساعدة وجيه له، فلم يكن لدى شاكر الكثير من المعلومات، وكل ما سمعه من وجيه أن والد وائل «منصور الحسيني» كان تاجرًا، وكان من أقرب الناس لوالد وجيه فـي فترة من الفترات، ومات من سنتين، وأن وائل ترك العمل فـي تجارة والده، وانضم للعمل مع وجيه فـي شركته وأصبح الذراع الأيمن له.

اختتم شاكر حكيه ضاحكًا، وقال بسخرية:

«الطريقة الوحيدة ليساعدك وجيه، أن تكوني من أبناء منصور الحسيني»

رجعتُ إلى شقتي مصممةً على الوصول إلى وجيه لتحقيق حُلمي

الوحيد فـي الحياة وهو الثراء، وبعد أن فهمت من شاكر أن الطريق الوحيد لوجيه هو وجود صلة قرابة تربطني بمنصور، فاهتديت إلى فكرة تأكدت من نجاحها، وهي ادّعائي أنني كنت زوجة منصور السِريّة، فمعظم التجار ورجال الأعمال لديهم حياتهم السِريّة، ولأن الرجُل مات، فلن يستطيع أحد تكذيبي.

بدأت تنفيذ خطتي، فذهبت إلى وجيه فيلّته وحكيت له هذه الحكاية، بعد أن جعلته يُقسم لي على كتمان السر؛ لأُضفي على حكايتي مصداقية عنده، فطلب مني الذهاب لشركته ليناقشني فـي أمر الاستثمار الذى أرغبه، ذهبت إليه يومين متتالين، فأدركت مدى ذكاء هذا الرجُل، وتأكدت أنه كشف كذبي ولم يرغب فـي مصارحتي لشيءٍ فـي نفسه، لكنني لم أعرف كيف أتصرف؟!

فوجئت به يعرض عليّ الذهاب إلى فيلّته ليلًا لمزيد من التعارف بيننا، فهمت غرضه، طاوعته، ذهبت إليه وقبل أن يُظهر نواياه، انهرت فـي البكاء، وصارحته بالحقيقة كاملة، فإذا به يضحك ويعترف لي أنه كشف كذبي من اليوم الثاني بعد أن سألني أسئلة متفرقة عن منصور كشفت عن جهلي بالرجُل، لكنه انتظر حتى يعرف سرّ كذبي، ثم أبدى لي سعادته على مصارحتي له بالحقيقة قبل معرفتي أنه كشفني، مُعربًا أنها ستكون بداية صداقة بيننا، فوعدته أنه لن يجد مَن يخلص له مثلي، ووجدتني أحكي له تاريخ حياتي منذ ولدت مرورًا بزواجي، بل حكيت له عن تفاصيل لم أحكِها لأحدٍ غيره، لمس صدقي فـي حكايتي فدموعي كانت أكبر شاهد على صدق كلامي، إلى جانب ذكائه فـي فهم الآخرين.

ارتاح لي بشدة، بل بدأ يحكي لي عن معاناته منذ خسارة والده لرأس ماله حتى استطاع تكوين هذه الثروة، بقينا معظم الليل نتبادل الأحاديث المفرحة والمحزنة، دون أن يبدر منه أي تصرف خارج عن الأدب، ووعدني أنه سيقف بجانبي لاستثمار المبلغ الصغير الذي أمتلكه، فسألته كيف سأبرر معرفتي به لشاكر، فأجابني ضاحكًا: «اطلبي منه أن يتوسط لدي لأساعدكِ، وسأوافقه، لكن عليكِ أن تطلبي منه بدلال، فهو ضعيف جدًا أمام النساء».

نفّذت ما أوصاني به، وسارت خطته كما رسمها، فقد كان وجيه عن حق يتمتع بذكاءٍ لا نظير له، توطدت علاقتي به بشدة، كنت أتردد على شركته مرتين أسبوعيًا، ونتواصل تليفونيًا بصفة شبه يومية.

في هذا التوقيت وقع وجيه في حب ياسمين، وبالرغم من شعوري بالغيرة القاتلة، فقد كنت أتمنى أن أكون المرأة التي يقع في حبها وجيه، فإنني أخلصت له بنصائحي، فقد عرفتُ مدى ذكائه، وأن إخلاصي له هو الطريق الوحيد لبقائي بجواره، والاستفادة منه في أي مشروع سأبدأه.

في أحد الأيام، دخلتُ مكتبه فكانت ياسمين ووائل هناك، عرّفني وجيه إليهما كسيدة أعمال، جلسنا دقائق معدودة، بعدها انصرفت ياسمين ومن خلفها وائل، بقيتُ يومها ساعة مع وجيه ولا حديث له إلّا عن حُبه لياسمين، لاحظتُ بحسي الأنثوي ما لم يلحظه وجيه، فقد رأيت نظرات إعجاب متبادلة بين وائل وياسمين، فتشككت في وجود علاقة بينهما، بالطبع لم أُخبر وجيه عن إحساسي، فمن المؤكد كان سيتهمني بالغيرة، فلن يشك أبدًا في صديقه المقرب وحبيبته،

ويومها تأكدت أن الحب عندما يتملك إنسانًا، فعلى الفور تهبط سحابة سوداء أمام عينيه تخفي عنه أوضح الأشياء، فأنا أُقسم أن وجيه لو لم يكن يحب ياسمين، لاكتشف فـي الحال ما لاحظته.

بعد يومين، حكى لي وجيه اكتشافه أن ياسمين ابنة «عبد القادر الشهاوي» الرجُل الذي تسبب والده فـي سجنه ظلمًا ومات قهرًا، وسألني عمّا يفعله معها بعد اكتشافه لهذا الأمر، فنصحته بألّا يحكي لها مطلقًا، فهي لن تعرف بعد موت كل أبطال الرواية، فارتاح لرأيي جدًا.

منذ تشككي فـي وجود علاقة بين ياسمين ووائل، دفعتني الغيرة الأنثوية لتكليف أحد الأشخاص بمراقبة ياسمين، ولم تمضِ عدة أيام إلّا وأحضر لي مجموعة صور تجمعها مع وائل، من بينهم صورة وهو يتأبطها تحت ذراعه وتستند برأسها على كتفه، لم أعرف ساعتها كيف التصرف، فقد ازداد قربي من وجيه، وزادت ثقته فـي بدرجة كبيرة، وكان سببها تيقنه أنني أسعى لإتمام زواجه بياسمين، فكيف آتِي الآن لأُخبره وأطعنه بسكين خيانتها؟! بل كيف سيكون رد فعله معي؟!

هداني تفكيري لفكرة خبيثة، أنشأت بريدًا إليكترونيًا ببيانات مزورة، أرسلت منه صورة ياسمين ووائل على البريد الإلكتروني الخاص بوجيه فـي وقت وجوده فـي فيلّته، ثم حذفت البريد الإلكتروني المزيف فـي الحال، تعمّدت الذهاب لوجيه فـي نفس التوقيت، فوجدته فـي حالة غضب وثورة لم أرَه عليها من قبل، وبالرغم من توقعي لغضبه، فإنني لم أتصور بلوغه لهذا الحدّ،

حاولتُ تهدئته بشتّى الطرق حتى نجحت فـي النهاية، وصمّمت أن يحكي لي عن سرِّ ثورته، فحكى، أبديتُ له دهشتي وعدم تصديقي، وصمّمت ألّا يأخذ الأمر بصورة جدّية حتى نتأكد.

تكذيبي للصورة وتشكيكي فيها، امتص صدمته العصبية الشديدة، وبدأ يهدأ بشكلٍ كبير، عبّر لي عن مدى حُبه لي، ووصفني ساعتها بأمّه التي كانت الوحيدة القادرة على تهدئة عواصفه، سألني بنبرة طفل عمّا يجب فعله، فأخبرته أن عليه تكليف شخص من خارج الشركة بمراقبة ياسمين.

نفّذ ما قلته، وبعد يومٍ واحد، أحضر له هذا الشخص عدة صور لياسمين مع وائل، بعضها فـي أحد المطاعم، والبعض الآخر فـي سيارته أمام منزلها، كانت الصدمة هذه المرة أهون كثيرًا من سابقتها على وجيه، سألته عمّا ينوي فعله، فإذا به يبتسم قائلًا:

«رأيتِ وجيه عندما يحُب ويعشق، والآن سترينه عندما يغضب ويكره، ولعِلمكِ أنتِ الوحيدة فـي الدنيا التي رأتني فـي الحالتين، وبمعنى آخر أنتِ الوحيدة التي رأتني فـي صورتي الحقيقية التي حافظت طوال حياتي ألّا يراها أحد، ولا أعلم إن كان هذا من حُسن حظك، أم لا؟!»

ختم جملته بضحكة مرعبة أوقعت قلبي فـي قدمَيّ، طلب مني الذهاب إليه فـي الفيلّا بصورة يومية مساءً؛ للحديث معه فـي شتّى أمور الحياة، مُشترطًا ألّا أسأله أبدًا عن ياسمين أو وائل حتى يبدأ هو فـي حكي ما قرره، فنفذت له ما طلبه.

بعد عدة أيام، كنت أجلس معه فـي الفيلّا بمفردنا فقد كانت إجازة

إسماعيل الأسبوعية، فجأة.. انتابته آلام حادة فـي البطن، اصطحبته لأحد المستشفيات، بعد عمل الفحوصات اللازمة اكتشفنا إصابته بورمٍ فـي البنكرياس.

في أقل من ثمانٍ وأربعين ساعة، طار إلى لندن، أقام بها لمدة ثلاثة أيام دون أن يخبر مخلوقًا عن سفره للخارج، كنت الوحيدة التي أعلم بالأمر، استقبلته فـي المطار عند عودته، رأيته عن بُعد وعلى وجهه ابتسامة عريضة، فتوقعت أنه وجد علاجًا لحالته، إلّا أنه فاجأني فـي السيارة بقوله إن الأطباء هناك لا يُخفون حقيقة المرض عن المريض، وصارحوه أنه فـي مرحلة متأخرة، وحياته فـي الدنيا من الناحية الطبية لا تتجاوز أشهرا، فانهالت دموعي وأنا أسمعه، والدهشة تقتلني من ابتسامته التي لا تفارق وجهه، فإذا به يُحدّثني بصوتٍ شارد قائلًا:

«عندما ظهرت ياسمين، تصالحتُ مع حياة كرهتُها طويلًا! لكن بعد اكتشافي خيانة ياسمين ووائل، تأكدت أنها حياة جديرة بالكراهية، وقررت أن أقهرها لأول مرة، فلن أنتظر وصول الموت، بل سأهرع له، لأُحطم كبرياءها عندما تراني مُعلنًا تفضيلي الموت عنها، عكس الأغبياء الذين يحبونها، ويكرهون الموت».

لم أستطع استيعاب كلمة واحدة مِمّا قاله، بل ظننتها تخاريف من أثر المرض، أو أن المرض أصاب عقله أيضًا! ثم فوجئت به يصطحبني إلى أحد الفنادق الكبرى، ويدعوني إلى عشاءٍ فاخر، أثناء العشاء قال:

«كان من السهل أن أُكلّف أحدهم بقتل ياسمين ووائل، لكنها

ستكون ميتة سريعة لن يشعرا فيها بألم، وهذا لن يُشفي غليلي، فرأيت أن موتهما قهرًا وظلمًا، وانتظارهما لمجيء الموت، سيعذبهما عذابًا لم يرَه أحد.

لذلك أعددتُ خُطة سأضرب بها كل الغربان بحجرٍ واحد، وأرجو أن تنصتي لي جيدًا، فأنتِ بطلة خطتي، ويمكنكِ أن تسألي أيّ سؤال، لكن ليس لكِ الحق فـي الاعتراض على شيء، ومقابل أدائكِ لمهمتكِ، ستحصلين على مبلغ مالي يزيد عن خمسين مليون جنيه».

لم أُعلّق على أي كلمة قالها، ولم أطلب تفسيرًا، لكنني سألته ببلاهة شديدة: كم؟! خمسون مليون جنيه!

ضحك عاليًا وقال:

«هذا ما توقعته، النقود ستجعلكِ تؤدين بكفاءة ما أطلبه منكِ، وحتى لا أُضيّع وقتًا، فالخطة هي.. قتلي».

لم أستطع أن أتحكم فـي صرخة خرجت مني، وقلت: قتل مَن؟! ماذا تقول؟!

نظر لي نظرة مرعبة وقال:

«حذّرتكِ أن تعترضي على شيء، وليكن فـي عِلمكِ، لقد خططتُ وقررت، وموافقتكِ من عدمها لن تثنيني عن تنفيذ خطتي، لكنني اخترتكِ بحقًا عن مصلحتكِ، فأنتِ أولى من أي أحد بهذا المبلغ، وهذا إنذاري الأخير لكِ بعدم الاعتراض على ما أقوله».

هززت رأسي بالموافقة دون أن أنطق بحرف والذهول يغطي وجهي، فبدأ يقول:

«خططتُ لجريمة يتم فيها قتلي بعد انتهاء حفل عيد ميلادي، سيقوم بالتنفيذ إسماعيل، وسيتم إدانة ياسمين فيها، ثم جريمة قتل أخرى والقتيل على الأغلب سيكون خليل، وسيتم فيها إدانة وائل.

بعد قتلي ستفتحين الخزينة بمفتاحيها فلا يوجد لها أرقامٌ سرية، وستجدين فيها مكافأتكِ عبارة عن أربع قطع أثرية، سأُعرّفك إلى التاجر الذي أتعامل معه، وهي تُقدّر بنحو عشرين مليون جنيه، وفصوص من الألماس تقدّر بمبلغ عشرين مليون جنيه، ومبلغ نقدي يصل تقريبًا إلى عشرة ملايين جنيه»

سألته عن كيفية إدانة ياسمين بقتله، فأجابني:

«سأكتب وصية بكل ثروتي لياسمين، ثم أُخبر شاكر بعد الحفلة بضرورة إلغائها يوم السبت، وبذلك يتوفر ضدها دافع القتل، وأثناء حضورها الحفلة، سأطلب منها تقطيع كيكة عيد الميلاد، فتتوفر أداة القتل التي تحمل بصماتها، فتصبح إدانتها بقتلي حتمية».

فعدتُ وسألته عن كيفية إدانة وائل بقتل خليل، فأجاب:

«عليكِ إرسال صورة وائل وياسمين إلى خليل، وعندما تقع هذه الصورة في يده، لا بدّ أن يستفيد منها، فالمال سيده، ومن المؤكد سيحاول ابتزاز وائل مقابل إخفاء الأمر عني، وسيخضع له وائل، وبفرض -وهذا مستحيل- لو أحضر لي خليل الصورة واتضح إخلاصه لي، فلن يُقتل، وسأبحث عن شخصٍ آخر لإدانة وائل في قتله، فأنا لا أقتل مَن يُخلص لي، بينما أرى القتل عدلًا لمَن يخونني»

أخيرًا سألته عن كيفية إقناعي لإسماعيل بقتله، فأخبرني أنه

سيشرح لي لاحقًا تفاصيل الخطة بعد أن يتأكد مِمّا سيفعله خليل بالصورة، وشدّد عليّ بضرورة توصيل الصورة لخليل في اليوم التالي بأي وسيلة.

جلستُ طوال الليل خائفة أُفكر فيما قاله وجيه، وفي النهاية، قَتلَتْ الفروة التي تنتظرني الخوف بداخلي، فقمتُ على الفور، وأرسلت لخليل الصورة على بريده الإليكتروني، بنفس الأسلوب الذي اتبعته سابقًا عندما أرسلتها لوجيه.

التقيت وجيه في العاشرة صباحًا في شركته، أخبرته أن الصورة وصلت البريد الإليكتروني الخاص بخليل من ساعتين، فخاف أن يكتشف خليل أنني المُرسل، فطمأنته وأخبرته عن البريد الإليكتروني المزيف الذي أرسلته منه ثم حذفته فورًا، فأثنى بشدة على ذكائي، وأخبرني أنه سيمهل خليل فرصة لمدة يوم واحد فقط، لكنه على يقين من رسوبه في اختبار الإخلاص، وصدق ظن وجيه ولم يُخبره خليل عن الصورة.

قبل عيد الميلاد بثلاثة أسابيع، أطلعني وجيه على تفاصيل خطته كاملة التي أمليتها على إسماعيل فيما بعد، رسم لي كيفية توطيد علاقتي به، وتَعمّدَ إهانته والإساءة له بصورة متكررة؛ حتى يُصدّقني فيما أقوله له، وشرح لي كيف سيتم استغلال السكين الذي استخدمته ياسمين ليظهر كما لو كان أداة الجريمة، وهو مَن أمر خليل بالاتصال بإسماعيل ليُلحّ عليه بمغادرة الفيلّا ويسجّل له إسماعيل المكالمة، وهو أيضًا مَن عطّل كاميرات مراقبة الفيلّا.

وبخصوص كيفية إدانة وائل في قتل خليل قال:

«فور عودة إسماعيل من هروبه، تتصلين بوائل مستخدمةً صوت رجُل وتبتزينه، وتحددين له موعد اتصالكِ التالي به، ثم تقتلين خليل فـي اليوم السابق لهذا الموعد.

ومن المؤكد أن وائل سيستنتج أن المتصل هو خليل بعد أن ابتزه من قبل بالصورة، ومن معرفتي بشخصية وائل فسيذهب وسيبلغ الشرطة على الفور حتى ينتقم من خليل.

بعد قتل خليل، لا تعاودي الاتصال بوائل، فيدخل الشك لدى الشرطة أن خليل هو مَن كان يبتزه، ثم يعترف إسماعيل من محبسه للمحقق أن خليل وعده بالحصول على ملايين الجنيهات فـي وقتٍ قريب، وهنا يتحول شك الشرطة إلى يقين أن خليل كان يبتز وائل.

ثم يخبر إسماعيل الشرطة عن تسجيل مكالمته لخليل، فتشك الشرطة أن خليل لعب دورًا فـي جريمة قتلي أشركته فيه ياسمين، وأخيرًا تتصلين بالشرطة بعد تغيير نبرة صوتك، وتدفعينهم للبحث فـي كمبيوتر خليل، فعندما يكتشفون صورة وائل وياسمين، سيتأكدون ساعتها أن خليل كان يعرف عنهما الكثير، وحاول ابتزاز وائل فقتله»

فوجئتُ به يعطيني مُسدّسًا مُزوّدًا بكاتم للصوت يمتلكه دون ترخيص له، ويُعلّمني كيفية استخدامه لأقتل به خليل، انتابني الرعب لحظتها، فلم يخطر ببالي أن أُصبح فـي يومٍ من الأيام قاتلة، فأبديت له تخوفـي من فشلي فـي قتل خليل، فلم يحاول إقناعي، ترك معي المسدّس، وأعطاني اسم قاتل محترف ورقم هاتفه، ليتولى قتل خليل مقابل مبلغ مالي، ثم ترك لي خيار ما أفعله.

حدد وجيه موعد قتل خليل متلازمًا مع موعد إرسال السكين الذي يحمل بصمات ياسمين إلى الشرطة، فتتم إدانتها بقتل وجيه، وتتم إدانة وائل بقتل خليل، لينعم فـي قبره برؤيتهما فـي زفافهما معًا إلى حبل المشنقة.

سألته بقلق بعد أنهى شرح خطته:

«وماذا لو لم تتم الخطة كما رتّبتَ لها، لحظتها سيعترف إسماعيل عليّ، فأنا الوحيدة التي يعرفها؟»

ضحك منى ساخرًا وقال:

«أولًا: وجيه الكيلاني عندما يخطط لا تفشل خططه أبدًا! ثانيًا: هل تتصورين أنكِ ستكسبين خمسين مليون جنيه دون مخاطرة! فعليكِ أن تعلمي يا عزيزتي أنه كلّما زادت المخاطرة، زاد الربح».

قبل أن أتركه، سألته لماذا لا يبيع هو الآثار والألماس ويترك لي نقودًا سائلة فـي الخزينة، بدلًا من البحث عن تاجر يشتري مني الألماس ويبخسني حقي، أو يغشني تاجر الآثار فـي قيمتها، فعرّفني أن التاجرين اللذين يتعامل معهما فـي الآثار والألماس خارج البلاد وسيعودان بعد شهر، ثم طمأنني بشأنهما ووعدني بالاتصال بهما، وتوصيتهما عليّ.

عدت وعرضت عليه أن يضع تلك المقتنيات فـي خزينة فـي البنك، ويحضر لي نقودًا من البنك، فانفعل بشدة وقال:

«هل تريدين تلويث سمعتي بعد موتي واكتشاف أنني كنت أتاجر فـي الآثار؟!»

أبديت له اعتذاري الشديد وعدم قصدي لِما فهمه، ولم أتركه إلّا بعد أن هدأ وضحك.

سهرتُ طوال الليل أراجع خطة وجيه، فوجدتُها خطة يستحيل كشفها، لكن أمرًا وحيدًا بات يؤرقني، فلم أقتنع بما برّره لي وجيه بشأن التاجرين! فهل من الطبيعي أن الاثنين يتصادف وجودهما خارج البلاد فـي نفس الوقت؟!

لأول مرة يخالج الشكُّ قلبي نحو وجيه، حاولت جاهدة تفسير تصرفه معي، فجأة.. تذكرتُ خطأً جسيمًا وقعت فيه، هو إخباري لوجيه عن الكيفية التي أرسلت بها الصورة لخليل، وإذا بي أتذكر عبارة وجيه:

«أنه يرى قتل مَن يخدعونه عدلًا».

لم يكُن لدي شكٌّ فـي ذكاء وجيه الحاد، فأيقنت أنه اكتشف أنني مَن أرسلت له صورة ياسمين ووائل، دبّ الرعب فـي قلبي، لم أنَم ليلتها، توصلت لنتيجة وحيدة مفادها:

«لم تعُد أمامي فرصة للتراجع، فتراجعي معناه الحكم بقتلي على يد وجيه».

بعد أيامٍ من التفكير، هداني عقلي لسرقة مذكرات وجيه التي حكى لي أنه بدأ فـي كتابتها قبل اكتشافه لمرضه بفترة وجيزة، فربما أجد فيها ما يُخططه لي، وهنا كانت المرة الأولى التي أخرج فيها عن خطة وجيه، فطلبت من إسماعيل تصوير تلك المذكرات.

قرأتُها، فلم أجد شيئًا ضدي سوى وضعه احتمالية أن أكون

شيطانا، وكان هذا انطباعه عني بعد أول لقاء جمع بيننا، فخفتُ أن يكون استقرّ فـي النهاية أنني شيطان!

قررت أن أطلب منه النقود الموجودة فـي الخزينة مبررةً له تخوفـي من عدم تمكني من بيع المقتنيات الأخرى، وذكّرته أنه سيكون ميتًا فربما لا يهتم التاجران بتوصيته عليّ، لم يمانع وأعطاني النقود عشية عيد ميلاده، ارتحت لحظتها فحتى لو خدعني ولم أجد شيئًا فـي الخزينة، فسأتمكن من إعطاء إسماعيل جزءًا من حقه وأحصل على مبلغ لا بأس به.

أثناء الحفلة، حدث ما لم يكن فـي الحسبان، فوجئتُ بوجيه يخبرني أن ياسمين اعتذرت عن المجيء لظرفٍ طارئ على حدّ قولها له، وأخبرني أننا سنؤجل تنفيذ الخطة لحين تفكيره فـي ترتيبٍ آخر، فوافقته على الفور ولم أعترض، لكن حقيقة الأمر لم أُصدّقه، وساورني الشك فيه خاصةً بعد أن قرأت فـي مذكراته عبارة «لقد قررت أن أقتل»، وهو لم يحكِ لي مطلقًا أنه سيقتل أحدا، فخفت أن يكون قرّر قتلي، لتخويني له وإصراري على أخذ النقود قبل إتمام خطته، وهنا كانت المرة الثانية التي أخرج فيها عن خطة وجيه!

قررت تنفيذ الخطة التي رسمها وجيه بتفاصيلها مع تعديلٍ وحيد، هو إدانة خليل فـي قتل وجيه بدلًا من ياسمين، فقد رأيته الشخص المناسب؛ لأن إدانته مستقبلًا بابتزاز وائل، ستؤكد وجود شراكة بينه وبين وائل فـي قتل وجيه بسبب الوصية، ولم أهتم إن كانت ياسمين ستتم إدانتها أم لا، ونفّذت الخطة كما حكاها إسماعيل فـي اعترافاته.

أمّا بخصوص قتل خليل، فقرّرتُ أن أقتله بيدي، فقد خفت التعامل مع قاتل محترف، وهذا الجزء خططته بنفسي، مستعيرة فقط من خطة وجيه فكرة ابتزاز خليل لوائل وموعد قتله، وتم كالتالي:

فور عودة إسماعيل من هروبه، جعلته يُسجّل على تليفوني الرسالة الصوتية التي أخبركم عنها، وبمجردّ نشر خبر القبض على إسماعيل في الجرائد، اتصلتُ بوائل من تليفون عمومي وأدرت التسجيل ثم أنهيت الاتصال، كنت واثقة من ذكاء وجيه في فهمه لشخصية وائل، فتأكدت من ذهاب وائل للشرطة للإبلاغ عن عملية ابتزازه كما توقع وجيه، لكنني كنت واثقة أنه لن يستطيع اتهام خليل عند الشرطة قبل تأكده من شخصيته، كما أنه لن يستطيع اتهامه بابتزازه سابقًا بخصوص صورته مع ياسمين وإلّا أكّد الشبهات حولهما في قتل وجيه.

اتصلتُ بخليل في اليوم التالي، التقيته في أحد الكافيهات، صارحته في البداية بمعرفتي بخصوص ابتزازه وائل بشأن صورته مع ياسمين، غطاه الذهول ولم يستطع الدفاع عن نفسه، وعرفت منه أنه حصل على ثلاثين ألف جنيه من وائل مقابل هذه الصورة، فسخرت منه بشدة ووصفته بالغبي؛ لأنه امتلك كنزًا ولم يستطع استغلاله بالصورة المثلى، ثم أفهمته أنني أحتاجه في مهمة شبيهة بما فعله مع وائل لكنه سيكسب من ورائها مليون جنيه بعد أسبوع، فكاد يغشى عليه من الفرحة.

عرّفته أنني سأتصل به في غضون أيام قليلة لأُطلعه على المهمة دون أن أُفصح له عن شيء، واشترطت عليه عدم سؤاله عن أي

شيء بخصوص تفاصيل المهمة، ثم تركته بعد أن أعطيته رقم تليفون جديد للتواصل معي لم تكن له بيانات عند شركة الاتصالات، فوافق دون نقاش.

قبل مقتله بيومٍ واحد، التقيته في نفس الكافيه عصرًا، كشفت له عن الخطة، وهي تهديد وائل مقابل خمسة ملايين جنيه، وأفهمته أن دوره مقسم على خطوتين:

الخطوة الأولى: أعطيته هاتفًا ليستخدمه بدلًا من هاتفه يحمل شريحة مجهولة الهوية، ليرسل رسالة إلى وائل عبر تطبيق الواتس اب يهدده بدفع خمسة ملايين جنيه مقابل تسليمه خطاب مكتوب بخط وجيه يُثبت براءة إسماعيل ويُدينه، وإلّا سيُسلمه للشرطة، مؤكدًا لوائل بامتلاكه المستندات الأصلية دائمًا، وهو يعرف عنه ذلك، ثم يتخلص من الهاتف فورًا.

كادت عيناه تخرجان من مقلتيهما وهو يسمعني، أوهمته بوجود الخطاب معي دون الإفصاح عن محتواه، وأفهمته أن دوره فقط هو إرسال الرسالة لوائل، وسأُرسل أنا مَن يستلم النقود منه؛ حتى لا أضعه في خطورة فربما دبّر وائل لأذيته.

الخطوة الثانية: الاتصال من هاتفه الخاص بوائل ليستأذنه في طلب إجازة أسبوعًا لمرض زوجته، وبذلك يُبعد الشبهة عن نفسه أمام وائل أنه هو مَن يبتزه، بعده يتصل بيسري يسأله عن عمل لديه مبررًا أنه قرر ترك الشركة، ثم يتصل بفايز يسأله أيضًا عن فرصة عمل في شركته، وأخيرًا يتصل بي ليخبرني عن إتمام المهمة، ولكن طلبت منه الاتصال بي على رقم هاتفي الأصلي، على أن يتمم هذه

الاتصالات بصورة متتابعة فور إرساله الرسالة لوائل.

كان خليل نبيهًا، فسألني بعد شرحي له الخطة سؤالًا كنتُ أعددتُ له إجابة فـي حال سأله لي:

«لماذا أستخدمه وهو لن يفعل أي شيء له قيمة؟! وحتى رسالة وائل سيرسلها من هاتف أعطيته له!»

تظاهرت بالانفعال الشديد، وذكّرته أنني اشترطتُ عليه من البداية عدم السؤال عن شيء فـي الخطة، وقد وافق، بالإضافة أنه سيربح مليون جنيه مقابل تلك الاتصالات، ولن يشكّ فيه أحد.

اعتذر بشدة وكاد يبكي، فأفهمته أنني سامحته وسأجيبه عن سؤاله، لكن أقسمت له لو سأل مرةً أخرى، فلن يكون شريكًا لي وسأجد بديله فورا، ثم أجبته قائلة:

«صيغة الرسالة ستؤكد لوائل بشكلٍ كبير أنك المُرسل، لكن اتصالك به فور إرسالك الرسالة طالبًا إجازة، سيُدخل الشكّ فـي نفسه، ووائل لديه لقاء عمل فـي نفس اليوم خارج الشركة مع يسري وفايز، لذلك طلبت منك الاتصال بهما فور اتصالك بوائل، ومن المؤكد سيحكيان له عن اتصالك بهما للبحث عن عمل؛ لأنهما يرغبان كسب ودّه هذه الأيام، وهنا ستختلط الأفكار فـي عقله ويتشتت، فأسئلة عديدة ستقفز إلى عقله ولن يجد لها إجابة، مثل: كيف تكون المُرسل وستمتلك خمسة ملايين جنيه وتبحث عن عمل؟ هل تكون المُرسل وتبحث عن عمل لتغطية ثرائك المفاجئ؟ هل من الممكن أن تخبر يسري أو فايز عن الخطاب؟ إذا لم يكُن أنت المُرسل، فمَن؟

هذا التشتت الفكري سيجعله عاجزًا عن التخطيط الماهر الذكي، وسيدفعه للتصرف الأسهل والوحيد، وهو الذهاب فـي الموعد ودفع النقود، ليعرف ساعتها أجوبة الأسئلة التي تفتك بعقله».

انبهر خليل بما قلته، ووعدني بتنفيذ المهمة على أكمل وجه.

اتفقت معه على دفع مِئة ألف جنيه له بعد إتمامه المهمة، وباقي المبلغ فور أن يدفع وائل، مؤكدةً له أنه سيدفع صاغرًا.

اتصل بي يخبرني بإتمامه المهمة بنجاح، أخبرته أنني مشغولة طوال اليوم بسبب زفاف إحدى صديقاتي، ولن أستطيع مقابلته قبل الواحدة صباحًا لأُعطيه المِئة ألف جنيه، ثم خيّرته إن كان يستطيع لقائي فـي هذا الموعد، أو الانتظار لليوم التالي لأُرتب معه موعدًا آخر، وبالطبع كنت أعلم جيدًا أنه لن يستطيع النوم دون أن تكون هذه النقود فـي حُضنه، فردّ باستعداده للقائي فـي أي وقت حتى لو كان عند الفجر، فأخبرته عن مكان عند أطراف القاهرة الجديدة معللةً له أنه قريب من المكان الذي سيُقام فيه حفل الزفاف، وأيضًا قريب من سكني، فوافق على الفور.

ذهبت فوجدته ينتظرني فـي المكان المحدد، ترجلت سريعًا من سيارتي قبل أن يأتيني هو، جلست إلى جواره، أعطيته رزمة نقود وطلبت منه عدّها، وفي غفلة منه، أخرجت المسدّس وأرديته قتيلًا فـي لحظة.

لم أعاود الاتصال بوائل طبقًا لخطة وجيه، وقررت أن أنتظر عدة أيام قبل اتصالي بكم؛ لدفعكم لتفتيش كمبيوتر خليل، لكن للأسف فشلت خطة وجيه واكتشفتم الحقيقة».

نظرت ثريا إلى الأرض، وبصوتٍ يائس أردفت: هذه هي كل الحكاية.

محمود: ألم يضع وجيه فـي حساباته احتمالية عدم حضور ياسمين الحفلة، خاصةً بعد معرفته بعلاقتها بوائل؟

ثريا: ياسمين ظلت تذهب لوجيه مكتبه، وفي أخر زيارة لها دعاها للحفلة، ووعدته بالحضور، وقبل الحفلة بيومين اتصل بها وكرر لها الدعوة، فأكدت له حضورها.

محمود: لماذا تم تنفيذ الخطة على مدار شهرين؟

ثريا: وجيه كان على يقين أن وائل طمّاع ويرغب فـي الثراء وغير جاد مع ياسمين، وإنما فعل ذلك لحقده عليه، فتوقع أنه سيسارع بزواجه بياسمين بعد معرفة أمر الوصية، وإجراءات تنفيذ الوصية ستستغرق نحو شهرين، فأراد أن تبدأ المرحلة الثانية من الخطة وتكون الصورة التي تضع الشبهات بقوة حول ياسمين ووائل مكتملةً أمام النيابة والشرطة وجميع الشهود، فيسهل ساعتها إثبات التهمة عليهما.

محمود: هل عثرتِ على الألماس وقطع الآثار فـي الخزينة؟

بأسى ردّت: نعم، واكتشفت لحظتها أن كل ظنوني فـي وجيه كانت خاطئة، لكن لم أشعر نحوه بأي ذنب، فقد كان يستعجل الموت بشدة، وحتى يستريح فـي قبره حاولتُ إدانة ياسمين كما كان يتمنى، فأخبرت شاكر عن أمر الوصية، وادّعيت أن وجيه فاتح ياسمين فـي أمر زواجه بها، وكان ينوي إخبارها عن الوصية فـي

عيد ميلاده ويعلن خطبتهما، لكنها اتصلت به أثناء عيد الميلاد، وأبدت له رفضها، فقرر إلغاءها يوم السبت، لكن للأسف بدلًا من أن يبلغ شاكر النيابة بالأمر، استغله لنفسه لابتزاز وائل، لكن وائل لم يخَف وطرده من الشركة، فحاول شاكر معك لاحقًا حتى ينتقم من وائل.

باستغراب سألها محمود: هل علاقتكِ قوية بشاكر للدرجة التي جعلته يحكي لكِ عن محاولته ابتزاز وائل، وطرد وائل له؟

ثريا: نعم، فبعد توطد علاقتي بوجيه لم تنقطع علاقتي بشاكر، لكنني كنت أنسحب منها تدريجيًا، وعندما قررت الاشتراك مع وجيه في تنفيذ خُطته، شيءٌ في نفسي دفعني لإعادة توطيد علاقتي مع شاكر، فربما كنت أشعر بالخوف أحيانًا أن تنكشف الخطة، ووقتها لن أجد أفضل منه للوقوف بجانبي.

بعد قتل وجيه، وطدتُ علاقتي به أكثر، بل عشّمته بطريقة غير مباشرة بالزواج، وعندما أخبرته بمعلومة الوصية ونية وجيه إلغائها، تيقن من إعجابي به، وأنني أئتمنه على الأسرار، ثم بدأ يستغلني في عمله الخاص.

بعد طرد وائل لشاكر من الشركة، قرر الانتقام منه، كان يحتفظ بخطابٍ من شركة توكيلات المصاعد التي يتعامل معها وجيه، لو وقع في يد فايز، سيمكّنه من رد صفعة وجيه له، وبالتالي ستقع الصفعة على وجه وائل، لكن شاكر لم يكُن يرغب في الظهور في الصورة؛ حتى لا تتلوث سمعته بين رجال الأعمال ويخسرهم جميعا، فعندما خان فايز وباعه لوجيه، استطاع أن يُقنع الكثيرين منهم

ببراءته من اتهام فايز له، لكن لو تكرر الأمر مع شركة وجيه، فسيثبت تهمة خيانة الأمانة على نفسه.

طلب مني أن أستخدم يسري في هذا الأمر؛ لمتانة علاقته بفايز، ولأن يسري محترفٌ في تخليص صفقات مشبوهة مقابل عمولة مادية، على أن أفهمه أن الخطاب تحت يدي أنا، نفّذت ما طلبه مني وتواصلت مع يسري.

قاطعها محمود وسألها مستغربًا: إذا كان شاكر لديه مصلحة مع يسري، فلماذا وضع لي احتمالية أن يكون يسري هو قاتل وجيه، وخليل كان يبتزه، فقتله؟!

ثريا: يسري طلب مبلغًا كبيرًا مقابل وساطته، فاشتاط شاكر غضبا؛ لذا تعمّد اتهامه أمامك، بعدها طلب مني التفاوض مع فايز بصورة مباشرة، ونفّذت له طلبه، لكن فايز صدّني بشكلٍ مهين؛ واتهمني مباشرةً بوجود علاقة تربطني بشاكر لاحظها يوم حفلة وجيه.

وأنا على يقين أن يسري استنتج ضرورة وجود نسخة من الخطاب عند خليل، فخطط للتعامل معه بصورة مباشرة للحصول منه على الخطاب، بدلًا من لعبه دور الوسيط بيني وبين فايز، فوقتها تصبح الصفقة خالصةً بينه وبين فايز، ويكسب أضعاف ما كان سيأخذه مني، لكن جاء موت خليل ليفشل خطته.

قبل أن يُنهي معها محمود التحقيق ويأمر بإحالتها هي وإسماعيل إلى النيابة، سألها عن الرجُل الذي أعطى الطفل علبة الهدايا ليسلّمها للجندي وبداخلها السكين، فأفادت بأنها هي مَن سلّمت الطفل العلبة بعد أن أعطته عشرة جنيهات ووعدته بتكملة المبلغ لخمسين جنيه

إذا أتم المهمة بنجاح، وحفّظته أن يُخبر الجندي أن رجُلًا أعطاها له، حتى تدور الشكوك حول رجُل.

***

(الفصل الأخير فـي مذكرات وجيه الكيلاني)

«ما أغبى الإنسان! تحنو عليه الدنيا أحيانًا.. وتقسو عليه كثيرًا..
لكنه يتشبث بها.. ولا يريد أن يفارقها أبدًا»

لم يخطر على عقلي أن مذكراتي التي أكتبها بصفة يومية.. ستضمُّ هذا الفصل.. تلك المذكرات التي حرصتُ دومًا ألّا يقرأها أحد.. واليوم بعد أن قررت كتابة هذا الفصل.. فربما يقرؤها كثيرون.. فقد قررت أن.. أقتل.

***

-٣٠-

في المساء، استقبل اللواء الشوربجي فـي مكتبه محمود برفقة عصام، كان شغوفًا لمعرفة كيف توصل محمود لحل القضية، فمنذ سماعه أن وجيه هو مَن خطط جريمة قتله، وهو لا يُصدّق ما سمعه، بدأ محمود حكيه فقال:

- هذه القضية من أغرب القضايا التي واجهتني، فكل احتمال أضعه لتفسير أمرٍ ما، أجد ما يدحضه بسهولة! بالإضافة إلى ذلك، اكتشفت منذ اللحظة الأولى فـي التحقيق أن جميع مَن حققت معهم لا يوجد دليلٌ واحد على إدانة أحدٍ منهم، بينما أدلة براءتهم جاءت من أقوالهم عن علاقاتهم بوجيه، ولن أستطيع التأكد من أقوالهم، لأنهم يستشهدون بميت!

الوحيد الذي استشهد بشخصٍ حي لإثبات براءته كان إسماعيل، لكنه سرعان ما تراجع وشكك فـي تأكده أن خليل هو مَن اتصل به.

بعد قتل خليل، كان أول مَن حققت معه هو إسماعيل، فإذا به ينضم إلى سابقيه، ويأتي بحكاية جديدة شاهدها الوحيد ميتًا أيضًا، لكنه احتفظ بدليلٍ على صدق كلامه، وكان تسجيلًا بينه وبين خليل، عندما سمعت التسجيل مع عصام تأكدنا من أقوال إسماعيل، ولكن فاتنا أن نتأكد من صدقه، وسأشرح هذا لاحقًا.

قَتل خليل، والتيقن أنه كان يبتز أحدهم بدليل رزمة النقود التي كان قابضًا عليها وقت قتله فـي سيارته، وسماع تسجيل يُلخ فيه على إسماعيل مغادرة الفيلّا، كل هذا طرح بقوة فرضية «اشتراك

خليل فـي جريمة قتل وجيه»، واشتراكه سيكون فـي صورة من اثنتين:

الصورة الأولى: خليل قتل وجيه بتحريضٍ من أحدهم، ثم حاول خليل بعد ذلك ابتزازه، فقتله.

الصورة الثانية: خليل لم يقتل وجيه، والقاتل شخص آخر، ثم حاول خليل بعد ذلك ابتزازه، فقتله.

وإذا بالسكين الذي يحمل بصمات خليل يأتيني لينفي بشكلٍ مطلق الصورة الأولى من تلك الفرضية، فكما أوضحت سابقًا لعصام:

«لو أن خليل هو القاتل، فلن يستطيع ابتزاز مَن حرّضه على القتل؛ لامتلاك المُحرِّض أداة القتل التي تُدين خليل».

تبقت الصورة الثانية، لكنني لم أكُن على قناعة تامة بفرضية اشتراك خليل فـي جريمة قتل وجيه بأي صورة، وتجادلت مع عصام طويلًا فـي هذا الأمر (شرح محمود للشوربجي ما شرحه لعصام سابقًا).

بمراجعتي لأقوال الشهود ومفكرتي الصغيرة التي أدوّن فيها ملاحظاتي، اكتشفتُ أمرًا خطيرًا:

«أقوال إسماعيل هي السبب الوحيد وراء إدانة خليل بالاشتراك فـي جريمة قتل وجيه! والدليل الوحيد لدى إسماعيل على صدق أقواله هو التسجيل!»

لكن لفت انتباهي أمرٌ آخر فـي أقواله، فذهبتُ إليه على الفور، واستدرجته لأعرف منه ماذا فعل منذ مغادرته الفيلّا حتى اتصال

خليل به فجرًا، فأفاد بعودته مباشرةً إلى منزله مُنهكًا فنام بملابسه، ولم يتصل بأحد أو يتلقى اتصالًا من أحد، حتى جاءه اتصال خليل فجرًا!

كان هذا هو الخطأ الذي وقع فيه إسماعيل، والتقطت منه طرف الخيط لحلّ القضية! فقد حكى إسماعيل سابقًا، أن خليل أبلغه في المكالمة التليفونية التي سجّلها له بضرورة لقائه في المقهى ليلًا، لمناقشته في أمرٍ هام، فلو كان صادقًا، كان لزامًا أن يغادر الفيلّا مباشرةً إلى المقهى ليلتقي خليل، أو حتى يتصل به هاتفيًا للتأكيد على الموعد بينهما!

هنا تأكدت أن إسماعيل كاذبٌ في أقواله عمّا دار بينه وبين خليل، ومن ثم فهو شريك في جريمة قتل وجيه بشكلٍ ما!

ولأنني على يقين أن إسماعيل يفتقر للذكاء الذي يُمكّنه من التخطيط لمثل هذه الجريمة، فلا بدّ من وجود مُخطِط لها ما زال حرًا بدليل السكين الذي أرسله لنا، وأي ضغط على إسماعيل لن يجعله يعترف، فليس لدي دليل مادي أُواجهه به، وهو على حدّ قوله «رد سجون»، فلن يتأثر بضغط، وهو يعلم أن مصيره ربما يكون حبل المشنقة لو اعترف باشتراكه في جريمة قتل.

وعلى عكس جميع القضايا التي جرت العادة فيها أن «استخلاص الصدق» من أقوال الشهود هو الطريق لحلها، فقد وجدت في هذه القضية أن «استخلاص الكذب» من أقوال الشهود هو الوسيلة الوحيدة لحلها، فكما قلت سابقًا جميعهم يدّعون في أقوالهم على.. موتى!

كنتُ أزور وائل فـي مكتبه، فرأيتُ صورة له مع والده ولم أجد أيّ شبهٍ يجمعهما، وكانت ثريا فـي إحدى تحقيقاتي معها ذكرت أن وائل يشبه والده، فتأكدتُ هنا من كذبها!

ثم اكتشفت أن ثريا حكت عن زواجها من منصور، بطريقة تجعل من المستحيل التحقق من حقيقة أقوالها، فلا توجد وثيقة زواج رسمي يمكن الرجوع إليها، فزواجها عُرفـي سِرّي غير موثق، ولا يوجد أحد يعلم عن هذا الزواج السري، بل إنها لم تحكِ لمخلوق هذا السر إلّا لوجيه، والأهم أن الشخصين الوحيدين اللذين أستطيع التأكد منهما (منصور ووجيه).. كانا ميتين! فوضعتُ حول اسم ثريا دائرة حمراء فـي مفكرتي.

عندما حكت لي شريفة عن تهديدها من مجهول، وذهاب ياسمين لها، استدعيت ياسمين وحضر معها وائل، رأى عصام ساعتها أن وائل يكذب وكان مُحقًا، لكن الأهم أن رواية وائل تطابقت مع رواية ياسمين بشكلٍ تام، مِمّا يؤكد على إعداد هذه الرواية مُسبقًا، فاستغربتُ لأن استدعاءهما جاء بطريقة مباغتة، فكان لِزامًا أن يختلفا فـي بعض التفاصيل، حتى لو اتفقا فـي المضمون! لكن أن تأتي تفاصيل حكايتهما بهذا التطابق فليس له معنى إلّا أن هذا السيناريو مُرتب ومحفوظ جيدًا، ومن تحليلي النفسي للحالة التي ظهرت عليها ياسمين وهي تُدلي بأقوالها مقارنةً بحالة وائل النفسية، تيقنت أن وائل هو مَن يحركها، بل هو مَن وضع السيناريو، لكنه وقع فـي خطأٍ فادح!

بزّر وائل زواجه المتعجل لياسمين برغبته فـي الانتقام لها من

وجيه! بالرغم من ذلك أبقى على زواجهما سريًا، مبررًا برغبته في استرداد أمواله في شركة وجيه قبل معرفة وجيه بزواجهما!

والمنطق يُحتم أن يسترد وائل أمواله أولًا، ثم يتزوج ياسمين، فهناك احتمالية معرفة وجيه بأمر زواجهما حتى لو كان سريًا! والأهم أن بقاء الزواج في السر لن يحقق الهدف منه، ألا وهو الانتقام من وجيه عندما يعلم به! وهنا وضعت الدائرة الحمراء الثانية على اسم وائل.

كنت على وشك الاتصال بياسمين لاستدعيها لأسألها بعض الأسئلة، فإذا بها تفاجئني بحضورها إليّ، ففهمت أنها ترغب في الاعتراف بالحقيقة، فتركتها تحكي ولم أحثّ سؤالها عن شيء، بعدها حضر وائل واعترف بالحقيقة، وبرّر كل أسئلتي بمبررات مقنعة، باستثناء سؤال واحد.

وأثناء حكيه فهمت أن والده أصيب باكتئاب منذ أمدٍ طويل، فتيقنت لحظتها من كذب ثريا.

أخيرًا، بقيَ سؤالٌ راودني كثيرا: كيف حصل الجاني على سكين يحمل بصمات خليل؟ وهنا أعترف بفضل زوجتي ناهد فهي مُلهمتي دائمًا، كنت أُحدّثها صباحًا وأخبرتني عن كيكة عيد ميلاد ابني، على الفور اتصلت بفايز فقد لاحظت أنه قوي الملاحظة، وسألته عمّن قطع كيكة عيد ميلاد وجيه، فأفاد بأن وجيه بدأ التقطيع، ثم ثريا قطعت لنفسها ولشاكر، واختتم بخليل الذي قطّع له وليسري ولنفسه، ففهمت لحظتها كيف حصل القاتل على سكين يحمل بصمات خليل.

طلبت من عصام تقرير من شركة الاتصالات خاص بهاتف إسماعيل

لمدة أسبوع سابق لمقتل وجيه، فتأكدت أنه لم يتلقَ أيّ اتصال من خليل يوم الحفل كما ادّعى، وأنه تلقى منه اتصالًا قبل الحفل بثلاثة أيام فـي نفس توقيت تسجيل المكالمة.

هنا حانت مواجهة إسماعيل، ذهبت وسألته عمّن قطع الكيكة، فوقع فـي خطأٍ آخر، فقد ردّ على الفور باسم خليل، ولم يذكر ثريا أو وجيه كما فعل فايز، إلى جانب أن إسماعيل لو كان موجودًا لحظة قطع الكيكة لكان هو مَن قطعها، لأنه الطاهي وتلك وظيفته! فتأكدت أنه يعلم قصة السكين الذي يحمل بصمات خليل.

فكرتُ فـي حيلة تدفعه للاعتراف، فأوهمته أننا وجدنا سكينًا عليه بصماته ودم وجيه وإدانته أصبحت حتمية، ومن المؤكد أنه ظن لحظتها أن ثريا خدعته، فاعترف تفصيليًا.

سأله عصام: لكنك يا أفندم ذكرت لإسماعيل اسم ثريا قبل اعترافه عليها، فكيف اكتشفت أنها شريكته؟

محمود: فـي البداية كان دافع قتل وجيه الأوضح لي هو وصيته لياسمين، وبعد تأكدي من براءتها هي ووائل من قتله، انتفى أمامي هذا الدافع، ووجدت أن سرقة الخزينة هي الدافع لقتل وجيه، وكما ذكرتُ سابقًا أنني اعتمدت على استخراج الأكاذيب من أقوال الشهود، فكانت ثريا هي الأكثر كذبًا، ثم وقعت فـي خطأٍ جسيم، فتأكدت أنها شريكة فـي الجريمة، فعندما سألتُ وائل ويسري وفايز عن سبب اتصال خليل بهم صباح يوم مقتله أخبروني كلهم بأسباب عادية، بينما جاءت ثريا وكانت الوحيدة التي برّرت اتصاله بها لابتزازها!

والمنطق يُحتم أن أي شخص لم يكن يعترف أن خليل اتصل به يحاول ابتزازه، خاصةً بعد موته، لأنه من المؤكد سيثير حوله الشبهات ليس فـي قتله فقط، وإنما أيضًا فـي الأمر الذي حاول خليل ابتزازه به.

وثريا كانت الأكثر كذبًا، فلم يكن منطقيًا أن تأتي لتخبرنا بالصدق فـي الأمر الذي يستلزم الكذب ولن نستطيع اكتشافه! فأدركت مدى ذكائها، فهي أرادت بهذا الاعتراف أن تقدم دليل براءتها؛ لأننا سنستبعد تمامًا اتهامها فـي قتل خليل بعد أن صارحتنا بمحاولة ابتزازه لها، فليس من المعقول أن تقدّم لنا دليل اتهامها بقتله.

لكنني لم أكُن متيقنًا إن كانت وحدها، أم بالشراكة مع شاكر؟ فقد شككت فيه بعض الأوقات، لذلك نبّهت عليك ألّا تعطيها الفرصة لاستخدام هاتفها وأنت تقبض عليها، خوفًا أن تتصل به، حتى أسمع الحقيقة منها كاملة.

الشوربجي: ما السؤال الذي لم يُقنعك بإجابة وائل يا محمود؟

محمود: السؤال الخاص بسبب اتصاله بشريفة لتهديدها، ودفعه ياسمين للاعتراف على نفسها بدلًا منه!

بدايةً وائل كان يعلم عدم أهمية الصورة الموجودة لدى شريفة على الإطلاق، فخليل لم يبتزه بشأنها إلّا مرة واحدة فـي حياة وجيه، فلم يكن هناك ما يدعوه لتهديد شريفة بشأنها وتعريض نفسه للسجن!

لكنه استغل ذهاب ياسمين لشريفة، ثم اتصل بها يهدّدها، وتعمّد

ألّا يحدد لها ما يريده منها، ليدفعها للاتصال بالشرطة لأنها لا تعلم ما يريده، فربما الشيء الذي يبحث عنه ليس الفلاشة، وساعتها يُنفّذ تهديده بقتل ابنيها، ولذلك توقع استدعاء الشرطة لياسمين لأنه من المؤكد أنها ستصبح المشتبه به الوحيد فـي تهديد شريفة بعد ما فعلته معها (وهو ذكر هذا فـي اعترافه دون أن ينتبه)، وحفّظها أن تعترف على نفسها لتصبح إدانتها دامغة، فيتم سجنها، وساعتها يستطيع دفعها لسرعة عمل توكيل عام له يستطيع من خلاله الاستيلاء على كل أملاكها.

الشوربجي: وماذا ستفعل معه؟

محمود: أردت فقط أن أُعاقبه على نِيّته السوداء بتخطيطه لسجن ياسمين، والقلق الذي سبّبه لشريفة لعدة ساعات، لكن بمجرّد عودتي إلى مكتبي، سأستدعيه من الحجز، وأفرج عنه، فلا أريد تحطيم مستقبله، ويكفيه ما جرى له، ولكن سأجبره أولًا على إعادة الخمسة ملايين جنيه لياسمين.

عاد الشوربجي وسأله: هل تظن يا محمود أن وجيه كان يخطط لقتل أحد، كما اعترفت ثريا أنها قرأت هذا فـي مذكراته؟

ابتسم محمود وردّ: لقد قرأتُ هذا الفصل فـي مذكرات وجيه، فاكتشفت أنه نسيَ وضع علامة «الضم» على حرف الألف، فكتب «أقتل» بدلًا من «أُقتل»، والدليل على أنه لم يَكُن بصدد أي تغيير فـي خطته، ولم يضمر شرًا لثريا، اكتشاف ثريا أنه لم يخدعها، ووجدَتْ ما وعدها به داخل الخزينة، كما أننا تأكدنا من صدقه، عندما أخبرتنا ياسمين أنها اتصلت به أثناء الحفلة واعتذرت له عن عدم تمكنها من

الحضور.

علّق الشوربجي في اندهاش: خطأ في التشكيل تسبب في اتخاذ ثريا قرار قتله!

محمود: ثريا لم تقتل وجيه بسبب هذا الخطأ، ولكن مخاوفها منه، وتأجيل خطته لقتل ياسمين وربما تغييرها فيما بعد، ومن ثم خسارتها للملايين التي حلمت بها هو ما دفعها لقتله، بدليل أنها عندما قرأت المذكرات لم تخشَ شيئًا، ولكن عندما أبلغها وجيه بتأجيل الخطة أثناء الحفلة، اتخذت قرار قتله، واذّعت أمامي خوفها من أن يكون وجيه دبّر لقتلها بحجة ما قرأته في المذكرات، لتبرير قتلها له.

قام الشوربجي، احتضن محمود وهنأه، كما أعرب عصام له عن سعادته البالغة بمشاركته له في هذه القضية، وما تعلمه منه.

غادر محمود بعد أن استأذن من الشوربجي بقيامه إجازة لمدة ثلاثة أيام ليسافر إلى أسرته في الساحل ويلحق بعيد ميلاد ابنه.

***

-٣١-

(السبت - الثالث عشر من يوليو)

على كرسي بحر، تمدّد محمود وإلى جواره جلست ناهد، يحكي لها عن القضية بتفاصيلها، كانت تقاطعه بأسئلة بين الحين والآخر، أنهى حكيه وانتظر منها سماع كلمة ثناء أو مدح له، فلم تُعقّب لكنها بقيت تنظر للبحر، فجأة.. التفتت إليه وحدّثته بنبرة حادة مُستنكرةً ما حكاه فقالت:

- يبدو يا محمود أن ذاكرتك أصبحت ضعيفة! فأنت نسيت أن قصة السكين المزيف حدثت معك فـي قضية سابقة! أمّا بخصوص أن الرجُل قُتل بسبب خطأ فـي تشكيل الحروف، فأنا واثقة أنها فكرة صديقك «الدكتور أغر»، فهو مغرم بالتشكيل فـي رواياته، لكن للأسف الشديد فشلتما فـي نسج قصة تُبرّران بها السبب الحقيقي وراء عدم مجيئك فـي موعدك أول أمس!

نظرت إليه نظرة تحدٍ وأردفت: أُحب فقط تذكيرك أنك قلت لي فـي مكالمة تليفونية لم تستغرق ثلاث دقائق كلمة «أُحبكِ» مرتين، وقد وصلتَ صباحًا فـي وقت مبكر، والآن نقترب من العصر، ولم تقُلها مرةً واحدة!

وقفت وبنبرة خبيثة قالت: عمومًا، قصتكما الخيالية أعجبني فيها أمرٌ واحد قد أحتاجه قريبًا.

غادرت وضحكتها تملأ المكان بينما محمود يتابعها فـي ذهول.

***

في المساء، التفَّ مجموعة من الأصدقاء حول طاولة السفرة يحتفلون مع مازن بعيد ميلاده، وقف مازن وإلى جانبيه محمود وناهد، افتتح مازن قطع كيكة عيد الميلاد، ثم قطعت ناهد بعده لنفسها، أسقطت السكين على الأرض، وبغمزة من عينها أشارت لمحمود على سكينٍ بجانبه لم يُستخدم، وطلبت منه استكمال تقطيع الكيكة.

النهاية